تحرير: أمارتيا سِنْ

السلام والمجتمع الديمقراطي

ترجمة: روز شوملي مصلح

ترجمان

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

السلام والمجتمع الديمقراطي

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى «سلسلة ترجمان» بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس «سلسلة ترجمان» وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

السلام والمجتمع الديمقراطي

تحرير وتقديم

أمارتيا سِنْ

ترجمة

روز شوملي مصلح

مراجعة

غيث الضيقة

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات

Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

السلام والمجتمع الديمقراطي/ تحرير وتقديم أمارتيا سن؛ ترجمة روز شوملي مصلح؛ مراجعة غيث الضيقة.

198 ص.؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)

يشتمل على بيليوغرافية (ص. 193-198) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-081-9

1. السلام. 2. المجتمع المدني - بلدان الكومنولث. 3. العنف - بلدان الكومنولث - وقاية. أ. سن، أمارتيا، 1933- ب. مصلح، روز شوملي. ج. الضيقة، غيث. د. السلسلة.

303.6609171241

هذه ترجمة لكتاب

Peace and Democratic Society

Edited by Amartya Sen

© Commonwealth Secretariat 2007

عن دار النشر

Open Book Publishers CIC Ltd. 2011

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع رقم: 826 - منطقة 66
المنطقة الدبلوماسية - الدفنة، ص. ب: 10277 - الدوحة - قطر
هاتف: 44199777 - 00974 فاكس: 44831651 - 00974

جادة الجنرال فؤاد شهاب - شارع سليم تقلا - بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 - 11 - رياض الصلح - بيروت 2180 1107 - لبنان
هاتف: 8 - 1991837 - 00961 فاكس: 1991839 - 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، شباط/ فبراير 2016

المحتويات

القسم الأول: العنف والمجتمع المدني 7

القسم الثاني: مسارات مدنية للسلام

تقرير هيئة الكومنولث في شأن الاحترام والتفاهم 41

أعضاء هيئة الكومنولث في شأن الاحترام والتفاهم 43

ملخص تنفيذي 49

الفصل الأول: لماذا الاحترام والتفاهم مهمّان؟ 59

الفصل الثاني: طبيعة العنف وتغذيته 79

الفصل الثالث: الفقر واللامساواة والإذلال 89

الفصل الرابع: التاريخ والظُّلامة والنزاع 99

الفصل الخامس: المشاركة السياسية 107

الفصل السادس: دور الإعلام والتواصل 121

الفصل السابع: الفئات الشابة والتربية 127

الفصل الثامن: تعددية الأطراف والنظام العالمي 137

الفصل التاسع: الطريق إلى الأمام 153

كلمة الختام: المقدمة الأصلية 165

رسالة تقديم للتقرير 169

أمارتيا سِنْ 173
مصادر إضافية 175
الثبت التعريفي 177
ثبت الأعلام 181
المراجع 193
المصادر 195
فهرس عام 199

القسم الأول

العنف والمجتمع المدني[1]

أمارتيا سِنْ

يود أمارتيا سِنْ (Amartya Sen) أن يشكر مركز التاريخ والاقتصاد، ولا سيما إنغا هولد ماركان (Inga Huld Markan) ونيشا هارنام (Neesha Harnam)، لدعمهما في مجال البحث. كما يود أن يشكر كورين ثروسبي (Corin Throsby) المحررة الرئيسة لدى ناشري الكتاب المفتوح (Open Book Publishers).

(1) هذه المقالة مبنية على المحاضرة التي ألقيتها في الكلية الجامعية في لندن، في الثاني من حزيران/ يونيو 2009 عن «العنف في المجتمع»، وأيضًا على كتابي الهوية والعنف: وهم المصير *Identity and Violence: The Illusion of Destiny* (New York: Norton and London and Delhi: Penguin, 2006).

(1)

أفضى الانتشار الواسع لهيمنة الإرهاب والعنف السياسي في العالم المعاصر إلى مبادرات كثيرة في السنوات الأخيرة هدفت إلى التخلص من هذا البلاء، ونشرت الأساليب العسكرية التي استخدمت في محاولة لتأمين السلام، بسرعة أحيانًا، مع مبررات متفاوتة الوضوح. وعلى الرغم من ذلك، فإن العنف الذي ترتكبه الجماعة بتحريض ممنهج لا يشكّل على وجه الحصر تحديًا عسكريًا، ولا هو كذلك في المقام الأول. فهو يُعزَّز في عالمنا المنقسم من خلال اقتناص عقول الناس وولاءاتهم، ومن خلال استغلال الانتماءات المختلفة لأولئك الذين اقتنعوا كليًا أو جزئيًا. بعضهم «يوحى إليه» - ويحث - على الالتحاق بحركات مختلفة من أجل ترويج أفعال عنيفة ضد مجموعات مستهدفة؛ لكن عددًا أكبر بكثير من الذين تم التأثير فيهم، لا يشاركون هم أنفسهم في أي من الأنشطة العنيفة. لكنهم في أي حال، قادرون بشكل كبير، على المساهمة في توليد مناخ سياسي يجعل الذين هم الأكثر مسالمة يتقبلون الأفعال الفظيعة من عدم التسامح والقسوة، التي ترتكب بحجج غير واضحة يُنظر إليها على أنها «دفاع عن النفس»، أو «الرد العادل»، أو ضد «العدو» الآثم.

إن تقرير هيئة الكومنولث المُعنوَن مسارات مدنية للسلام الذي نشر في عام 2007، وقدِّم لرؤساء حكومات الكومنولث، ركز أساسًا على الأسباب والطرق لمنع الإرهاب، والعنف المتنامي الذي ما برح في حالة تصاعد منذ بضع سنوات، مقلقًا أو مهددًا حياة نحو مليارَي شخص على الأقل في دول الكومنولث، كما بقية العالم[1]. والتقرير لا يفنّد أن المبادرات العسكرية

(1) = *Civil Paths to Peace* (London: Commonwealth Secretariat, 2007).

يمكن أن يكون لها أحيانًا فائدة محدودة عندما تبنى على معلومات سليمة، وتنفّذ بشكل جيد، وتُدعم دعمًا كافيًا بتدابير مدنية مدروسة جيدًا. لكن عندما تكون تلك المبادرات مبنية على معلومات رديئة وأحكام خاطئة، أو مرتبطة بتدابير مدنية على نحو غير ملائم، فإن هذه المبادرات لن تخفق فحسب في تحقيق أهدافها، بل ستولّد في الحقيقة نتائج عكسية هائلة، متسببة في مزيد من العداوات. إن المبادرات المدنية، على المستوى الوطني، كما على المستوى العالمي، ضرورية لمواجهة العنف المنظم والإرهاب بنجاح في العالم اليوم.

هذه المسارات المدنية، هي جزء من الارتباط بالديمقراطية بالمعنى الواسع للكلمة - التي هي «الحكم بالنقاش» (government by discussion) وفق تحليل جون ستيوارت مِل (John Stuart Mill) بشكل خاص. الديمقراطية هي أكثر من مجموعة من مؤسسات محددة، مثل الاقتراع والانتخابات؛ وهي مؤسسات مهمة أيضًا، لكن كأجزاء من ارتباط أكبر يتضمن الحوار، وحرية المعلومات، والنقاش الذي لا قيود عليه. هذه هي أيضًا الميزات الرئيسة للمسارات المدنية نحو السلام.

تشكل الطرائق والوسائل لتتبع هذه المسارات المدنية أعباء ضخمة كثيرة علينا، لكنها تتضمن، وبشكل مهم جدًا، الحاجة إلى التغلب على القراءات المشوشة والملتهبة للعالم[2]. فبينما لنا، نحن بني الإنسان جميعًا، انتماءات

= هذا هو تقرير هيئة الكومنولث في شأن الاحترام والتفاهم أعيد نشره ثانية في هذا الكتاب. جمعتني الهيئة إلى جون ألدردايس (John Alderdice)، كوامي أنطوني أبيا (Kwame Anthony Appiah)، أدريان كلاركسون (Adrienne Clarkson)، نولين هايزر (Noeleen Heyzer)، كمال حسين (Kamal Hossain)، إيلين سيهواتاني هاورد (Elaine Sihoatani Howard)، وانغاري موتا ماثاي (Wangari Muta Maathai)، رالستون نتلفورد (Ralston Nettleford)، جوان روابيومير (Joan Rwabyomere)، ولوسي ترنبول (Lucy Turnbull). وأنا أنتهز هذه الفرصة من أجل أن أعبّر عن تقديري العميق للعمل الرائع الذي أنجزه كل واحد منهم. أنا ممتن أيضًا لأمانة الكومنولث التي جعلت هذا العمل المشترك ممكنًا.

(2) عن هذا الموضوع، انظر أنطوني أبيا: *The Ethics of Identity* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005); *Cosmopolitanism: Ethics in a World of Strangers* (New York: Norton, 2006); Amartya Sen, *Identity and Violence: The Illusion of Destiny* (New York: Norton and London: Penguin, 2006).

متعددة مرتبطة بالقومية، واللغة، والمهنة، والجوار، وبالتزامات اجتماعية، وارتباطات أخرى؛ فإن تغذية العنف الجماعي تجري من خلال انتقاء انتماء واحد بالتحديد كما لو أنه هويتنا الوحيدة المهمة، وحتى عنف الحرب العالمية الأولى الهائل استند بشكل استثنائي إلى إعطاء الأولوية للتقسيم بحسب القوميات، متناسيًا القواسم المشتركة التي كان من الممكن أن توحد الألمانيين، الفرنسيين، والبريطانيين، عوضًا عن دفع بعضهم إلى قتل بعض. حاليًا، يعتمد الانشقاق المتأتي من هيمنة مبدأ «واحدية الانتماء» (Solitarist)[3] اعتمادًا متزايدًا على تمجيد الهوية الدينية، متجاهلًا جميع الانتماءات الأخرى، وهذا الفهم الفجّ للإنسانية يستخدمه كثيرًا إرهابيو هذه الأيام والآخرون ممن يُغذّون العنف المبني على الجماعة، الذين يزاوجون بين فرادة التصنيف لانتماءاتهم من جهة، والقراءات العدوانية للاختلافات الدينية. هذا الموقف الصدامي يلاقي الدعم لا المقاومة، بسبب الشعبية المتزايدة في الغرب للمعنى الوحيد المفترض للانقسام الديني، الأمر الذي ينظر إليه على أنه يقسم العالم إلى حضارات يزعم أنها متنابذة تسودها النزعة الدينية، وتكتمل هذه الصورة بنوع من حتمية الصدام بين «الحضارات» المختلفة.

من المهم تسهيل الإدراك عوضًا عن إعاقته، بأن البشر، مع تنوع اهتماماتهم وولاءاتهم، لا يحتاجون إلى أن يكونوا على شقاق مستمر بعضهم مع بعض. إذا كانت التغيرات المؤسساتية الضرورية لتتبع المسارات المدنية لدعوى السلام تستدعي وضوح الفكر، فإنها تتطلب أيضًا، كما يطرح التقرير، سياسات منظمة، وبرامج ومبادرات بالتنوّع اللازم. ومن الأهمية بمكان أن يبلغ تأثير ذلك مدى واسعًا. إن التركيز المتعصب على توسيع نطاق الحوار بين المجموعات الدينية (الذي يكثر أنصاره هذه الأيام) من شأنه أن يحبط التزامات مدنية أخرى تتصل باللغة، والآداب، والوظائف الثقافية، والتفاعلات الاجتماعية والالتزامات

(3) مصطلح نحته أمارتيا سِن ويعني به تلك المقاربة للهوية الإنسانية التي ترى أننا يمكن أن ننظر إلى الإنسان بوصفه عضوًا في جماعة مخصوصة واحدة فحسب؛ وهي تتحدد عادة بالتقسيمات الحضارية أو الدينية [المراجع].

السياسية، على الرغم من سلامة النية لدى من ينتهجون هذه المقاربة الضيقة الأفق. وهذا يمكن أن يكون خسارة جدية حتى من وجهة نظر السلام والتغلب على العنف المرتبط بالفروق الدينية، نظرًا إلى أن الانتماءات الأخرى هذه والاهتمامات تساعد على مقاومة استغلال الفروق الدينية التي تبدأ بالتقليل من أهمية الانتماءات الأخرى، واستبعادها. إن المعركة من أجل [كسب] عقول الناس لا يمكن ربحها على أساس فهم منقوص بشكل كبير للفروق الاجتماعية التي تجعل البشر متنوعين بطرائق متميزة. التركيز الحصري على الفروق الدينية - ليس حين يجري بغرض إثارة العداوة فحسب، بل حتى حين يكون من أجل «تعزيز الألفة بين الأديان» - يميل ببساطة إلى توصيف الناس من حيث ديانات كل منهم، وبذلك يقللون من أهمية الانتماءات الأخرى التي تتخطى الحدود الدينية. إن تنوع مشاركات المجتمع المدني يحتاج إلى دعم لا إلى استبدال. وعلى سبيل المثال، إن نجاح بنغلادش في دفن العنف المبني على أساس الدين، وأيضًا في الحد من قبضة التطرف الديني، قد ساهم فيه كثيرًا التركيز على الهوية اللغوية وغنى الأدب البنغالي، والموسيقى والثقافة البنغاليتين، إضافة إلى تشجيع السياسة العلمانية، عوضًا عن عقد حوارات بين الأديان.

هذا لا يشير، في أي حال من الأحوال، إلى أن الحوار المنظم بين مجموعات دينية مختلفة لا يمكن بالمطلق أن يخدم أي غرض مفيد. فإذا كانت هذه الحوارات تنظم وتفهم كنقاشات في شأن جانب معين من الهويات المتعددة للبشر، وإذا كانت تهدف بالتحديد إلى إزالة بعض المصادر الحالية المسببة التوتر من دون إنكار الوحدة التي تعزَّز من خلال التسليم بالانتماءات المختلفة للبشر، عندئذٍ يمكن أن تكون هذه النقاشات، ضمن هذه الشروط، مفيدة في تخفيف التوترات السياسية. وهذا بالفعل المنهج الذي تطور بقوة بواسطة جورجي سامبايو (Jorge Sampaio)، الرئيس السابق للبرتغال الذي هو الآن «الممثل الأعلى للأمم المتحدة لتحالف الحضارات» (UNAOC). وكما يقول سامبايو: «التنوع الثقافي أصبح قضية سياسية رئيسة تمثّل تحديًا للديمقراطيات الحديثة، للتعددية، للمواطنة وللتماسك الاجتماعي، إضافة إلى

السلام والاستقرار بين الأمم»[4]. من الصواب أن نتتبع المساهمة المؤسساتية التي يمكن أن تحدثها الحوارات المنظمة بطريقة جيدة، في معالجة هذا التحدي السياسي. الشيء الأهم هو أن نضع تباين الثقافات والأديان ضمن الإطار الأوسع من الاختلافات المتنوعة للبشر، وهذا ما دعا إليه سامبايو. نحن نختلف بعضنا عن بعض بطرائق كثيرة مختلفة، مرتبطة باللغة، الأدب، المهنة، الطبقة، النوع الاجتماعي، مكان الإقامة، وأشياء أخرى كثيرة، إضافة إلى الدين، وبينما، في بعض الأحيان، قد يساعد الحديث بين المجموعات عن الفروقات الدينية؛ فإن الفروقات، في أحيان أخرى، حتى التي لها خلفية دينية، يمكن أن يُتطرَّق إليها من خلال التركيز على الهويات الأخرى التي تتحدى التفضيل المعزِّز للفروقات الدينية. هناك مجال للمبادرات من كلا النوعين، لكن علينا توخي الحذر في عملية تعزيز الوئام بين الأديان، بأن نكون على يقين، بأننا لن ننتهي بتحجيم البشر، بشكل ظاهر أو ضمني، إلى بعد واحد فحسب؛ وهو في هذه الحالة البعد الديني.

يمكن مقاومة تغذية العداوة أيضًا، بالتشغيل المناسب للإعلام، والماكينات السياسية، ومن خلال الأنشطة التربوية والوسائل الأخرى لتوليد التفاهم المتبادل. وكما يشرح التقرير، بينما يمكن كل حكومة - ويجب - أن تعمل أكثر من ذلك بكثير للمساعدة في نشر المعلومات والوعي، وتفعيل الأنشطة الاجتماعية التي تشمل الجميع، فإن هناك حاجة أيضًا إلى تعاون واسع على المستويين الاجتماعي والسياسي عبر حدود كل دولة.

تتضمن المسارات المدنية للسلام، إلى أقصى حد ممكن، إزالة اللامساواة الاقتصادية الجسيمة، الإذلال الاجتماعي، والحرمان من الحقوق السياسية، التي يمكنها أن تساهم في توليد النزاع والعداوة. فالمقاييس الاقتصادية البحتة للامساواة، مثل نسبة المداخيل للمجموعة التي في أعلى الهرم والمجموعة التي في أسفله، لا تكشف البعد الاجتماعي لانعدام المساواة

---

(4) Jorge Sampaio, *The Road from Madrid to Istanbul and Beyond* (New York: Alliance of Civilizations, 2009), 13.

الاقتصادي المطروح. وعلى سبيل المثال، عندما يكون الأشخاص في مجموعة الدخل الأقل، لهم خواص مختلفة غير اقتصادية، مثل الأصل العرقي (كأن يكون المرء أسود لا أبيض)، أو وضع الهجرة (مثل أن يكون الشخص قد وصل حديثًا، أو مقيمًا منذ زمن)، ترتفع في هذه الحالة أهمية اللامساواة الاقتصادية بشكل كبير بـ «مزاوجتها» مع العوامل الأخرى غير الاقتصادية.

إن أفعال الإرهاب والجريمة، بالطبع، هي نشاطات إجرامية تستوجب تدابير أمنية فعالة، ولا يمكن أن يغفل أي تحليل جدّي لعنف الجماعات عن ملاحظة هذا الفهم الأساس. لكن التحليل لا يمكن أن ينتهي عند ذلك، باعتبار أن من الممكن اتخاذ كثير من المبادرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمواجهة وهزيمة الخطاب الذي يعتمد عليه مثيرو العداوة والإرهاب من أجل استقطاب جنود نشيطين، ومعهم متعاطفون غير نشيطين. ويعتبر النهج التقليدي لهيئة الكومنولث المتعدد الجوانب مسألة محورية في عمل الهيئة، لتحقيق الاستخدام الأمثل الممكن للانتماءات المشتركة، الحوارات الموسعة، والرغبة في النقاش.

(2)

إن وجود العنف والخوف منه كان لهما أكبر الأثر في حياتنا، ورفاهنا وحرياتنا. ومع ذلك، لم يلقيا الدراسة الكافية كظاهرة اجتماعية مقارنة بالموضوعات الكثيرة الأخرى التي كرست لها العلوم الاجتماعية اهتمامًا أكبر بكثير. المسائل المتعلقة بأمان الناس والانتهاكات التي يتعرضون لها، جزئيًا، تكدست بسبب إعطاء الأولوية إلى مسائل أخرى أكثر توسعية، مثل النمو الاقتصادي لبعض الدول والأقاليم، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لأنحاء مختلفة من العالم، وحاجات التقدم الثقافي والتربوي.

لكن الخبر الجيد، في أي حال، هو أن موضوع أمن الإنسان ينال حاليًا اهتمامًا أكبر مما كان عليه في السابق. والأسباب لا تبعث على الراحة دائمًا، خصوصًا إذا ما أخذنا في الحسبان الزيادة في انعدام الأمن الذي يُسمم حياة الناس

والمتأتي من عنف الجماعات وتَراجع الحياة السلمية في المدن وأماكن السكن. وبدأت الحاجة إلى إيلاء بعض الاهتمام للحفاظ على الأمان الإنساني، أكثر من مجرد التوسع، تصبح أكثر وضوحًا.

ربما يكون مفيدًا أن نبدأ بعرض مختصر للموضوعات التي تحتاج إلى تمحيص من أجل أن نفهم فهمًا أوضح انعدام الأمن عمومًا، والعنف خصوصًا. ركزت هيئة الكومنولث التي أنتجت تقرير مسارات مدنية للسلام بشكل خاص على الأسباب والطرائق لمنع انتشار الإرهاب، والعنف المغذّى الذي يبدو وكأنه يجتاح العالم والذي يهدد، بصورة مباشرة وغير مباشرة، أكثر من 1.8 مليار نسمة من دول الكومنولث. وتحليلنا وتوصياتنا للعمل يمكن أن تحظى ببعض الاهتمام، ونأمل أن تلاقي اهتمامًا في أنحاء أخرى من العالم أيضًا.

في الهيئة، نحن قلقون من حقيقة أن الطرائق والوسائل التي يجري التعامل بها مع تهديدات العنف قد تحولت بشكل متزايد باتجاه مبادرات عسكرية، عوضًا عن مبادرات مدنية. كانت المسارات المدنية نحو السلام دائمًا، وستبقى، الطريق الأساسية لمواجهة العنف والإرهاب بنجاح. وقد ركزت الهيئة على الطرائق والوسائل لإنجاز ذلك.

نحتاج إلى التركيز على العمل في نهاية المطاف، لكن من الضروري أن نفهم مسبقًا لماذا وكيف نواجه الصعوبات التي تعترضنا. علينا أيضًا أن نميّز بين ما نفهمه بوضوح وما هو غير واضح تمامًا، باعتبار أن انشغالنا الفكري يتوقف عند الحاضر. وعلينا أن نتريث قليلًا ونتمهل عندما تكون المشكلات التي نواجهها معقدة ويُساء فهمها. وكما قال بوذا منذ أكثر من 2500 عام، إن الحل لمعظم المشكلات يكمن في نهاية المطاف في فهم أكثر وضوحًا، وهذا يتطلب الالتزام الفكري، لا مجرد عمل فوري.

(3)

سوف أبدأ بتناقضين يتضمنان فكرة «الأمن الإنساني»: الأول، بين الأمن الإنساني وما يسمى «الأمن القومي»، والثاني بين الأمن الإنساني والفكرة الأكثر

رسوخًا لـ «التنمية البشرية». ويمكن أن نعرّف مفهوم الأمن القومي بطرائق كثيرة مختلفة، ونظرًا إلى الأهمية التي اكتسبتها دلالة هذا المصطلح، يمكن أن تكون هناك فائدة كبيرة من محاولة توسيع استخدام عبارة «الأمن القومي»، على نحو مناسب. لكن تقليديًا، فإن الأمن القومي الذي يستخدم أحيانًا مرادفًا لـ «أمن الدولة»، يركّز أساسًا على الحفاظ على ما يُنظر إليه بوصفه صلابة قومية، والذي له علاقة غير مباشرة وحصرية بأمان البشر الذين يعيشون في هذه الدول. لقد دُرس الأمن القومي، بهذا المعنى الشمولي والنائي إلى حد ما، عبر القرون، ولحسن حظنا - كشعوب تعيش في دول مختلفة من العالم - أن مطالب الأمن الإنساني الذي يمكن أن يتجاوز اهتمامات الأمن القومي (بمعناه الضيق) تلاقي اهتمامًا عالميًا أكبر هذه الأيام. إن التقديرات لمصادر انعدام أمان حياة الإنسان، المتمثلة في العنف والفقر والمرض والعلل الأخرى المنتشرة على نطاق واسع، تُظهر للعلن الدور بعيد المدى للتأثيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية والثقافية التي لا يستطيع المفهوم المحدود للأمن القومي أن يلتقطها بسهولة. إن مركز اهتمام الأمن الذي يهم الناس يجب أن يركّز على حياة الناس، لا على قوة الدولة.

هذا التناقض قد يكون واضحًا بما يكفي، لكن في تتبع الأمن الإنساني تتبعًا جيدًا، من المهم أيضًا أن نفهم كيف ترتبط فكرة الأمن الإنساني بـمفاهيم أخرى متمحورة حول الإنسان، ولا سيما تلك المتعلقة بالتنمية البشرية، وكيف تختلف عنها. إن فكرة التنمية البشرية ليست منفصلة عن حياة البشر الأفراد بالطريقة التي يرتِّب بها الأمن القومي أولوياته، لكن التنمية البشرية أيضًا لها أولوياتها المتخصصة الخاصة بها، التي يمكن أن لا تكون الاهتمامات نفسها للأمن الإنساني. لذا، يكون مهمًا بشكل خاص أن نسأل ماذا يمكن الأمن الإنساني أن يضيف إلى هذه الأفكار الراسخة الجذور، وخصوصًا التنمية البشرية.

اعتُمدت مقاربة التنمية البشرية أول مرة، من بين مقاربات أخرى، من جانب محبوب الحق ذي الرؤية الاقتصادية، الذي كان لي الشرف أن أكون صديقًا مقربًا منه منذ أيام دراستنا معًا في جامعة كامبردج إلى حين موته

المفاجئ في عام 1998. وهو عمل كثيرًا من أجل أن يثري الأدبيات عن التنمية ويوسّع نطاقها. وأنا أقول مع إعلان اهتمامي ومشاركتي، نظرًا إلى أنني عملت جنبًا إلى جنب مع محبوب الحق، ومن بين أشياء كثيرة أخرى، بأنني ساعدته في تطوير المؤشر الذي يستخدم كثيرًا الآن، وهو مؤشر التنمية البشرية المعروف بالـ HDI. وأنا أزعم أن بصيرة محبوب أنارت بشكل حازم وعميق فهم التنمية عمومًا، واقتصاد التنمية خصوصًا. وبالتحديد، ساعد نهج التنمية البشرية في تحويل مركز الاهتمام التنموي بعيدًا من التركيز الشامل على نمو الأشياء غير الحية التي تسهّل الحياة، مثل السلع المنتجة التي يعبَّر عنها بالناتج المحلي الإجمالي أو بالناتج القومي الإجمالي، باتجاه نوعية الحياة البشرية وغناها والتي تعتمد على تأثيرات عظيمة كثيرة، إنتاج السلع هو مجرد واحد منها[5]. تهتم التنمية البشرية بنزع العراقيل المختلفة التي تعيق الحياة البشرية، وتمنع ازدهارها. ويُترجم بعض هذه المخاوف فعلًا في مؤشر التنمية البشرية الذي استخدم كمِثْل برنامج رئيس لنهج التنمية البشرية، لكن نهج التنمية البشرية ككل هو أكثر اتساعًا من أن يغلّف في مؤشر عددي واحد كمؤشر التنمية البشرية. فمنظور التنمية البشرية الواسع النطاق، وطويل المدى كان دافعًا لكمٍّ ضخم من الأدبيات، مع تغطية متزايدة للمعلومات لجوانب الحياة البشرية كافة.

هناك تساؤل لا بد من طرحه، وهو لماذا لا يمكننا أن ندمج اهتمامنا بالأمن الإنساني وبالعنف في المجتمع ضمن الإطار الواسع لنهج التنمية البشرية؟ لا شك في أن جزءًا من السبب هو أننا كلما أضفنا عناصر أكثر في أحد المؤشرات أو في نهج معين، قلّت الأوزان التي يمكن أن توضع للعناصر الأخرى التي يهتم بها أيضًا المؤشر أو النهج. وعلى سبيل المثال، يُعتبر مؤشر التنمية البشرية مجرد عدد واحد؛ فإذا ما أردنا الالتفات إلى العنف أيضًا، فإن مركز الاهتمام النسبي للعوامل الأخرى المضمنة أصلًا - مثل توقع الحياة، والتعليم،

---

(5) انظر التقرير الأول لـ *Human Development Report 1990* (New York: United Nations, UNDP, 1990), والأجزاء التالية.انظر أيضًا: Sakiko Fukuda-Parr and Shiva Kumar, eds., *Readings in Human Development* (Oxford, New Delhi and New York: Oxford University Press, 2003).

وتجنّب الفقر الاقتصادي - سوف يضعف بالقدر نفسه. وبالتأكيد، يمكننا أن نضمن التغلب على العنف وانعدام الأمان ضمن الصورة الأوسع للتنمية البشرية، لكن إذا ما أردنا أن نكون منصفين لكل من اهتماماتنا التي ندخلها ضمن منظور واحد، يجب علينا إذًا أن نولي اهتمامًا خاصًا لكل واحد من هذه العناصر، عوضًا عن النظر إلى كل عامل على أنه مجرد جزء من كلٍ كبيرٍ جدًا.

يشرح سبب آخر لماذا علينا أن نتجاوز إدماج اهتمامنا بالعنف والأمن، في داخل الرؤية الأوسع، ضمن نهج التنمية البشرية، حتى وإن لم يكن هناك تعارض بين هذه الاهتمامات المختلفة. إن فكرة التنمية البشرية لها بالأخص صفة تفاؤلية، باعتبار أنها معنية بالتقدم والتعزيز. إنها، كما لو خرجت إلى الوجود كي تحتل منطقة جديدة، للمساعدة في تحسين حياة البشر، ولذلك ربما تذهب بعيدًا في التفاؤل، الأمر الذي يصعّب التركيز على الجهد الوقائي الضروري للتأمين على جوانب حياتنا التي يجب أن تكون محروسة. وبذلك تصبح فكرة الأمن الإنساني ملائمة إلى حد كبير. الأمن الإنساني باعتباره فكرة يوفر إضافة ضرورية إلى المنظور الواسع للتنمية البشرية، لأنه يولي اهتمامًا مباشرًا لما يسمى في أدبيات التأمين بـ «مخاطر جانبية». إن إنعدام الأمن الذي يهدد بقاء البشر أو أمانهم اليومي، أو يعرّض البشر لمخاطر المرض والوباء، أو يعرّض الناس من الفئات الهشة لفقر مدقع بشكل مفاجئ بسبب التراجعات الاقتصادية (كالتجارب التي نمر بها اليوم)، يتطلب اهتمامًا خاصًا بالمخاطر التي تنتج من حرمان مفاجئ. يتطلب الأمن الإنساني الحماية من هذه المخاطر، ويدعو أيضًا إلى تمكين الناس من أجل أن يكونوا قادرين على التكيف مع حدوث هذه المخاطر والتغلب عليها ومنع وصولها إليهم، والوقاية منها عندما يكون ذلك ممكنًا.

هنا، أنا مهتم بالتحديد بمشكلات العنف في المجتمع، التي تنتج من البؤس المنظم وغير المنظم، لكن علينا أن نفحص ما هو مرتبط بالعنف - تهديداته والمخاوف التي يولدها - ضمن المنظور الأوسع لأمن البشر بشكل عام. هناك تناقض موجود بين التنمية البشرية والأمن القومي: فالعنف والمصادر

الأخرى لانعدام الأمن الإنساني يتطلبان اهتمامًا أكثر انتظامًا مما دأبت حتى الآن للحصول عليه.

(4)

شغلت مسألة العنف نادين غورديمر (Nadine Gordimer) وكنزابورو أوي (Kenzaburo Oe) في مراسلة بين الكاتبة والكاتب العظيمين في عام 1998[6]. صرّحت غورديمر أنه «ما كان عليها أن تُدهش» لأنهما عند الكتابة أحدهما إلى الآخر، كانا «منشغلين جدًا بمسألة العنف». ومضت في الشرح: «هذا 'اعتراف' بين كاتبين، لكنه يرقى إلى أكثر من ذلك. إنه الاعتراف بحاجة الكتّاب التي لا مهرب منها إلى قراءة الإشارات الخفية التي يُطلقها المجتمع، ومحاولة الوصول إلى فهم ما تعنيه». تلك الحاجة التي لا مهرب منها لفهم أن مسألة العنف لا تؤثر فحسب في الكتّاب أمثال غورديمر وأوي اللذين ينيران عقولنا ببصيرتهما النافذة، بل إنها [تلك الحاجة] تجعلنا كلنا نقلق ونستاء، ونتساءل، في محاولة لفهم ما نلاحظه نحن بأنفسنا وماذا يمكننا أن نتعلم من قراءتنا للآخرين، وماذا يمكننا أن نضيف مما لدينا، إذا ما تمكّنا فقط من معرفة كيف.

إن العلامات التي «يطلقها المجتمع خفية»، على حد التعبير الفطن لغورديمر، تشغلنا جميعًا، بطريقة أو بأخرى. المسائل الخاصة بالعنف وانعدام الأمن هي مسائل عامة ومنتشرة في العالم المحيط بنا. إذا كان السلام موجودًا في أحلامنا، فالحرب والعنف موجودان في أعيننا وآذاننا بشكل دائم. إن التكلفة الرهيبة لانعدام الأمن معروفة في العالم كله[7]. وما يجب أن يُتجنَّب هو الأجوبة

---

(6) Nadine Gordimer, *Living in Hope and History: Notes from the Century* (London: Bloomsbury, 1999), 84-102.

(7) منذ سنوات عدة، عندما شرِّفت بالرئاسة، في الشركة التنويرية للدكتور ساداكو أوغاتا (Sadako Ogata)، هيئة الأمان الإنساني التي يشرف عليها الأمين العام للأمم المتحدة ورئيس وزراء اليابان (الحكومة اليابانية كانت قد أخذت المبادرة في تأسيس الهيئة)، كنا فخورين أن نرى كم هذا الاهتمام بالأمن الإنساني مشترك على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم. انظر: *Human Security Now: Commission on Human Security* (United Nations Publications: New York, 2003).

الجاهزة التي لها صدقية قليلة (أي تلك التي لا تخلو تمامًا من الصدقية، لكنها قليلة جدًا)، والتي تُستخدم في ما بعد للوصول إلى سياسات اجتماعية معقدة، تهمل أجزاء كبيرة جدًا من العلاقات الحقيقية.

وفي ما يتعلق بالموضوع الكبير في شأن الأسباب الجذرية للعنف العالمي المعاصر، تكثر النظريات؛ فالنظريات ميالة إلى ذلك. لكن كان هناك اهتمامان في التنظير يسترعيان الانتباه أكثر من معظم الاهتمامات الأخرى. وأحد هذين الاهتمامين هو في الأساس ثقافي واجتماعي، ويركز في كثير من الأحيان على مفاهيم كالهوية، والتقاليد، والحضارة. أما الآخر فهو في الأغلب اقتصادي وسياسي، ويميل إلى التركيز على الفقر، واللامساواة، والحرمان.

الأطروحة الأساسية التي أود أن أعرضها هنا هي أن المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تحتاج إلى جهد جدي كي تتكامل. وهذا الجهد يرفضه كلٌّ من المنظّرين القَدَريين الداعين إلى الاشتباك الحضاري بفجاجة، والمنظّرين «الاقتصاديين» البسطاء الذين يركزون على الفقر باعتباره سببًا أساسًا للعنف. وعلى الرغم من أن ذلك يحمل جزءًا من الحقيقة، لكنه يمكن أن ينتهي بالوقوع في إغراء التبسيط المبالغ فيه للعالم الذي يرغبون في إصلاحه. وأرى أنه من الخطأ البحث عن أسباب جاهزة لمعالجة انعدام العدالة الاقتصادية، من أجل أن تلائم حتى أولئك الذين لم يهزّهم انعدام العدالة ذاتها لأي سبب من الأسباب، وعلى الرغم من ذلك يكرهون التهديد بالعنف أو أنهم مرعوبون منه.

تميل النظريات الثقافية إلى النظر في النزاعات بارتباطها بأنماط معيشية وأيضًا معتقدات دينية وعادات اجتماعية. هذا النهج في التفكير يمكن أن يقود إلى نظريات كثيرة مختلفة، بعضها أكثر تعقيدًا من غيره. وربما يكون ملاحظًا أن النظرية الثقافية عينها، التي أصبحت الأكثر شعبية في العالم اليوم، ربما هي أيضًا الأكثر فجاجة. هذا هو النهج الذي يرى العنف العالمي نتيجةً لشيء يدعى «صراع الحضارات». هذا النهج يُعَرِّف بعض الكيانات المفترضة التي تدعى «حضارات» بمصطلحات دينية بشكل أساس، ويسلك نهجًا معينًا

يفرّق بين «العالم الإسلامي»، «العالم الغربي المسيحي - اليهودي»، «العالم البوذي»، «العالم الهندوسي»، وهلمّ جرًّا. إنها العداوة المتأصلة بين الحضارات التي تجعلهم يميلون، وهذا ما برهنته هذه النظرية المتعالية، إلى التصارع في ما بينهم[8].

تختبئ وراء نهج صراع الحضارات نظرة مصطنعة غريبة إلى التاريخ، ووفقًا لها نمت هذه الحضارات المختلفة بشكل منفصل، مثل شجر على قطع أراضٍ مختلفة، وبقليل جدًا من التداخل والتفاعل. واليوم، بينما تواجه هذه الحضارات المتباعدة بتاريخها المختلف إحداها الأخرى في العالم أجمع، تميل بحسب هذه النظرية بحزم إلى التصارع في ما بينها. إنها حكاية، حكاية آسرة فعلًا لما يمكن أن يسمى، كما أفترض، «الكره من أول نظرة». هذا الوصف الإيهامي ليست فيه فائدة تذكر للتاريخ الفعلي للتفاعلات التاريخية الهائلة والحركات البناءة للأفكار والتأثيرات عبر حدود الدول والمناطق في حقول كثيرة مختلفة كالأدب، الفنون، الموسيقى، الرياضيات، العلوم، الهندسة، التجارة، والتبادل التجاري وانخراطات البشر الأخرى. ليس منظّرو الحضارات على خطأ كليًا حينما يفترضون أن الناس يقفون غالبًا موقف الشك من الأجانب الذين يعرفون عنهم القليل؛ ومن الممكن أن تكون هذه المعرفة مرتبطة فحسب ببعض المعتقدات والممارسات الغريبة التي من المفترض أن تكون لدى «أولئك الأجانب». لكن المعرفة الأكبر بعضهم لبعض يمكن أن تولّد تفاهمًا عوضًا عن عداوة أكبر. يميل منظّرو الحضارات بهذه الطريقة إلى تغذية الشك الجاهل بـ «الآخرين» من خلال افتراضاتهم الواثقة المسبقة بأن اقترابًا أكثر بعضهم من بعض، باعتبارهم بشرًا، يساهم بطريقة ما في تأجيج تلك الشكوك عوضًا عن المساعدة في تخفيفها.

علاوة على إغفال كثير من تاريخ العالم، يتخذ نهج الحضارات أيضًا

(8) هذه النظرية حازت أفضل عرض لها في كتاب صموئيل هنتنغتون الواسع الانتشار، Samuel Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (New York: and Simon and Schuster, 1996).

طريقًا مختصرة غير مفهومة، في محاولة لفهم إدراكنا المفترض بالهوية بجميع تنوعاتها وتعقيداتها، من حيث الإحساس الواحد فحسب بالانتماء، وبالتحديد، تصورنا المفترض للوحدانية، مع ما هو متعارف عليه في حضارتنا بالمقابل. إنه من خلال هذا التبسيط الهائل، تحوّلت مهمة فهم تنوّع البشر في العالم، في هذا المفهوم الفج للإنسانية، إلى تفحص الحضارات المختلفة: عندئذ، صار يُنظر إلى الفروقات الشخصية كما لو أنها طفيلية على التناقضات الحضارية. وصارت الاختلافات بين الأشخاص تُفسَّر في هذه النظرية الفجة [شبه النظرية]، بصفتها عداوة بين حضارات منفصلة، والتي يُنظر إليها على أنها نوع من خلفية عامة هائلة القوة خلف واجهة العلاقات البشرية. لذا، إضافة إلى اعتماده على تاريخ متخيل للعالم، يستند التفسير الحضاري للعنف العالمي إلى حد كبير على نهج «واحدية الانتماء» إلى الهوية الإنسانية التي ترى البشر فحسب أعضاءً في مجموعة واحدة مُعرّفة بحضارة أو بدين ولادتهم.

إن النهج المسمى «واحدية الانتماء» هو، في الحقيقة، طريقة ممتازة لإساءة فهم كل شخص تقريبًا في العالم. في حياتنا العادية، نرى أنفسنا أعضاء في أنواع مختلفة من المجموعات ننتمي إليها كلها. يمكن الشخص نفسه أن يكون، من دون أي تناقض، مواطنًا من جنوب أفريقيا، من أصل آسيوي، هندي النَسب، مسيحيًا، اشتراكيًا، إمرأة، نباتيًا، عازف جاز، طبيبًا، متباين الجنس، مؤمنًا بحقوق مثليي الجنس، محبًا موسيقى الجاز، وشخصًا يعتقد أن المشكلة الأهم التي يواجهها العالم اليوم هي أن يجعل الكريكيت أكثر شعبية في أنحاء العالم كافة، كاسرًا لعنة الألعاب «السخيفة» مثل البايسبول. كل واحدة من هذه الهويّات يمكن أن تكون مهمة للشخص، ويعتمد ذلك على المشكلة الراهنة والسياق الذي جاء فيه الاختيار، كما أن المفاضلة بين الخيارات يمكن أن تتأثر بقيم الشخص نفسه والضغوط الاجتماعية. ولا يوجد أي سبب للتفكير بأنه مهما كانت الهوية الحضارية التي لدى الشخص - دينية، طائفية، إقليمية، قومية، كونية - يجب أن تسيطر بشكل دائم على العلاقات الأخرى كلها، أو على أي انتماء آخر يمكن أن يكون للشخص.

إن محاولة فهم العنف العالمي من خلال عدسة صراع الحضارات لا تتحمل الفحص الكثير، لأن المنطق فج جدًا. لكن لا بد من أن يكون هناك اعتراف أيضًا بأن تعزيز فكرة فردية الهويات الذي قام به المؤمنون بها كان بالفعل مسؤولًا إلى حد كبير عما يمكن أن يسمى بـ «سفك الدماء» المدبّر في جميع أنحاء العالم. تأخذ تدابيرهم في الأغلب شكل إثارة الآراء الغريبة للفروقات وزرعها. هذه النزاعات هي أكثر من مجرد تبعات تلقائية لصدام «طبيعي ولا يمكن الفرار منه».

ربما يُعلِمنا المحرضون فجأة بأننا لسنا يوغسلافيين فحسب، بل في الحقيقة نحن صربيون («نحن بالتأكيد لا نحب الألبانيين»)، أو أننا لسنا فحسب روانديين أو كيغاليين[9] أو أفارقة، لكن نحن بالتحديد هوتيين يجب أن نرى في التوتسيين أعداءنا[10]. أتذكر من طفولتي في الهند قبيل الاستقلال مباشرة، كيف انفجر الشغب بين الهندوس والمسلمين في الأربعينيات من القرن العشرين، المرتبط بالممارسات السياسية للتجزئة، وأتذكر السرعة التي تحول فيها الناس المنفتحون فجأة من أبناء الصيف، بسبب زرع العداوة الطائفية من دون رحمة، إلى هندوس قساة ومسلمين عنيفين من أبناء الشتاء[11]. مئات الآلاف قُتلوا على أيدي الناشطين الذين انقادوا لمصممي المذبحة، وقتلوا الآخرين بالنيابة عمن اعتبُروا فجأة كأنهم «أهلهم»، أو من أجل قضيتهم مُعرَّفين كليًا على أساس الدين والمجتمع الديني.

---

(9) كيغالي هي عاصمة رواندا [المترجمة].

(10) تمثل قبائل الهوتو في رواندا 80 في المئة من السكان، وقبائل التوتسي 20 في المئة. وعلى الرغم من أن قبائل التوتسي تشكل الأقلية، إلا أنها ظلت تسيطر على قبائل الهوتو سياسيًا واقتصاديًا مئات السنين. وفي عام 1959 ثارت قبائل الهوتو على هذا الوضع غير العادل، وتمكّنت بعد حرب دموية ضارية من السيطرة على الحكم وعلى مقدّرات البلاد الاقتصادية. وقد اضطر كثيرون من أبناء قبائل التوتسي إلى الهرب إلى بوروندي التي تسيطر عليها جماعات التوتسي، وإلى غيرها من الدول المجاورة. وفي عام 1994، دار صراع دموي بين هاتين القبيلتين، استطاعت التوتسي في إثره أن تسيطر على حكومة البلاد [المترجمة].

(11) المقصود هو التشبيه بالتحول السريع في التوجهات من فصل الصيف إلى فصل الشتاء [المترجمة].

(5)

يمكن بالتأكيد أن يُستخدم تسييس الهوية بفاعلية عالية للتحشيد في قضية العنف. لكن يمكن أيضًا أن يقاوَم بفاعلية كبيرة من خلال فهم أوسع لغنى هويات البشر. إن ارتباطاتنا المختلفة يمكن أن تقسمنا بطرائق معينة، لكن هناك هويات أخرى، وانتماءات أخرى، تتحدى أي تقسيم معين. فإذا اختير شخص من قبائل الهوتو في قضية معاقبة شخص من قبائل التوتسي، فهو أيضًا رواندي، وأفريقي، واحتمال أن يكون من كيغالي، ومن دون شك هو بشر؛ وهذه هويات يشترك فيها التوتسيون أيضًا. النظريات الراسخة اجتماعيًا وثقافيًا ليست مخطئة في ملاحظة أن الناس يمكن أن يُدفعوا إلى القتال بعضهم مع بعض من خلال التحريض على العنف عبر تصنيف تقسيمي، لكن عندما يحدث هذا، علينا أن نبحث عن تفسيرات لأسباب التحريض وكيف يحدث، وكيف أمكن أن تبدو هوية واحدة بعينها وكأنها الهوية الوحيدة التي لها أهمية. إن تطور مثل هذا العنف الذي جرت تغذيته لا يمكن رؤيته ببساطة على أنه شيء من مثل تكشُّف مصير الإنسان[12].

في مقالة رائعة من كتابها الكتابة والوجود، تقتطف نادين غورديمر ملاحظة بروست (Proust): «لا تكن خائفًا من أن تذهب بعيدًا جدًا، فالحقيقة تكمن في الأبعد»[13]. تتحدث غورديمر هنا عن ثلاثة كتّاب عظماء: نجيب محفوظ، وتشينوا أشيبه (Chinua Achebe) وعاموس عوز (Amos Oz)، وهم بالترتيب من مصر، ونيجيريا، وإسرائيل. هذه البلدان الثلاثة ليست مختلفة جدًا فحسب، بل هي أيضًا في علاقة نزاع بعضها مع بعض. تقول غورديمر إن «روابط المعارضة موجودة هناك»، لكن تُواصل غورديمر لتشير إلى أن «هؤلاء الكتاب الثلاثة لا يشرحون ما هو واضح، كونهم مقسّمين بحسب العرق، والبلد، والدين، فهم يدخلون بطرقهم المنفصلة أرض المجهول، في بحث مشترك من دون الحاجة إلى الاعتراف به في أي معاهدة».

(12) هذا الموضوع فحِص فحصًا وافيًا في كتابي، *Identity and Violence: The Illusion of Destiny* (2006).

(13) Nadine Gordimer, «Zaabalawi: The Concealed Side,» in *Writing and Being* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1995), 43.

المعركة ضد وهْم القدر الذي لا يرحم تستوجب الوضوح. فالفهم الأكثر وضوحًا لا يتأتى من رؤية الكتّاب نافذي البصيرة فحسب، لكن أيضًا بطرق أكثر عملية من أفكار الناس العاديين جدًا. إن ذلك الفهم هو ما يريد المحرضون تحطيمه، وهنا يمكن أن يمنحنا جميعًا الصوت القوي لمن هم أكثر بصيرة تصميمًا ربما سنجد أن الحفاظ عليه ليس بالأمر السهل. عندما كان المهاتما غاندي يتجول، من دون سلاح وغير محمي على الإطلاق، في المناطق التي مزقتها أعمال الشغب خلال فترة العنف التي رافقت تقسيم الهند، لم يكن يُلقي بأفكار جديدة للبعض فحسب، بل كان أيضًا يساعد في بناء عزم أكبر لدى أولئك الذين تطابقت أفكارهم مع أفكاره، ربما بشكل غير واضح نوعًا ما، لكن الذين لم تتوافر لديهم تمامًا الشجاعة وثقة التحدي اللتين جلبهما غاندي لهم.

(6)

إلى جانب الحاجة إلى دحض الادعاء بأن للنزاعات المفترضة للحضارات والأديان والمجتمعات كافة مسارات طبيعية، من المهم أيضًا أن نثمن أن الفروقات بين الأديان مهما كانت حاسمة في بعض ظروف القتال اليوم، فإن هناك انقسامات أخرى يمكنها أيضًا خلق النزاعات وسفك الدماء. إن عنف واحدية الهوية يمكن أن تكون له تأثيرات هائلة مختلفة. بالفعل، كان الهوس بالديانات وما يسمى حضارات (المستندة أساسًا إلى الاختلافات الدينية) قويًا جدًا في الممارسات السياسية الدولية المعاصرة، إلى حد أن هناك ميلًا شديدًا إلى نسيان كيف استُغلت أوجه أخرى لانشقاقات الهوية في الماضي - ليس منذ زمن طويل - من أجل توليد أنواع مختلفة جدًا من العنف والحرب، متسببة في الملايين من الوفيات.

على سبيل المثال، أدّت الاستغاثة بالدولة أو بالقومية دورًا رائدًا في الحرب الدموية الهائلة في أوروبا بين عامي 1914 و1918، والخلفية الدينية المسيحية المشتركة لم تتمكن من عمل أي شيء من أجل وقف الألمانيين والبريطانيين والفرنسيين من تمزيق بعضهم بعضًا. الهوية التي كانت هي الدافع في ذلك الوقت هي الهوية القومية، مع الحماسة الوطنية الهائلة التي ولّدتها،

قبل أن تأخذ ويلات الحرب العالمية الأولى حياة ويلفرد أوين (Wilfred Owen)، الشاب المجنّد حديثًا، في ساحة المعركة، كان لديه الوقت كي يسجل احتجاجه الخاص على القيم التي تمجد القتال العنيف في سبيل هوية الفرد عبر أمته وأرض أجداده:

يا صديقي، لن تخبر بمثل هذه الحماسة الكبيرة
أطفالًا متحمسين لبعض المجد اليائس،
الكبار يكذبون: الحلو والجميل منذوران
لبلاد الموت

يمكننا أن نرى تأييد هوراس[14] القوي لشرف الموت من أجل (أو بالافتراض من أجل) الوطن، على أنه خدمة لعنف القومية، وهذا التضرع هو بالضبط ما احتج عليه أوين بشدة.

اليوم، يمكن أن يجد الأوروبيون صعوبة في تقدير إحساس أوين الهائل بالإحباط، واحتجاجه. في الحقيقة، ذلك الفهم الذي بدا «أبعد» كثيرًا من «البعيد جدًا» في أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى، أو بسبب المسألة ذاتها خلال الحرب الثانية، أصبح بمجمله اليوم عاديًا وشائعًا في جميع أنحاء أوروبا. فالألمانيون، والفرنسيون، والبريطانيون يختلطون بعضهم ببعض بسلام وهدوء، ويجلسون معًا ليقرروا ماذا يفعلون في قارتهم من دون أن يلجأوا إلى بنادقهم.

نجد هشاشة مشابهة في كثير من الانقسامات الأخرى للهويات التي يمكن، على مستوى معين، أن يتم جعلها تبدو مثل تظاهرة من العنف لا يمكن إيقافها مستندة إلى ادعائها الفريد بالأهمية، لكنها على مستوى أوسع، لا تكون شيئًا أكثر من مجرد إعلان شُجّع بطريقة مصطنعة بحيث يمكن تفنيده، واقتلاعه من طرف تضامنات أخرى كثيرة جدًا، ونيات مخلصة مرتبطة بهويات مختلفة، بما فيها، بالطبع، التقارب الكبير لإنسانيتنا المشتركة.

(14) شاعر روماني 65-8 ق.م، تميزت قصائده بموضوعات الحب والصداقة والفلسفة [المترجمة].

(7)

اسمحوا لي الآن أن أترك المناهج الثقافية جانبًا. ماذا عن النهج الآخر، النهج الخاص بالاقتصاد السياسي؟ هذا النهج من التفكير يرى الفقر واللامساواة أسبابًا جذرية للعنف. وليس صعبًا أن نرى أن الظلم واللامساواة يمكن أن يولّدا انعدام التسامح، وأن معاناة الفقر يمكنها أن تشعل الغضب والضراوة. من الواضح أن ثمة قدرًا كبيرًا من المعقولية في ملاحظة صلة ما بين العنف والفقر. على سبيل المثال، عانت دول كثيرة ولا تزال بسبب تزامن الضائقة الاقتصادية مع النزاع السياسي. من أفغانستان والسودان إلى الصومال وهاييتي، هناك كمٌّ كبير من الأمثلة عن الصعوبات المزدوجة للحرمان والعنف التي يواجهها أناس من أنحاء مختلفة من العالم. وعلى افتراض التعايش، ليس غريبًا على الإطلاق أن نسأل إن كان الفقر يقتل مرتين؛ مرة من خلال البؤس الاقتصادي، ومرة ثانية من خلال المذابح السياسية.

يمكن الفقر بالتأكيد أن يجعل الشخص غاضبًا ويائسًا، والإحساس بالإجحاف يمكن أن يشكل أرضية جيدة للعصيان، حتى حد العصيان الدموي. زد على ذلك، أن ليس من غير المألوف افتراض أن الصفة الأساسية لموقف متنور تجاه الحرب والسلام يجب أن تذهب أبعد من الخصائص السببية الواضحة والمباشرة التي يمكن أن تُرى بوضوح في نزاع ما، ويجب أن نبحث عن أسباب «أكثر عمقًا» في الحرمان الاجتماعي. من خلال البحث عن مثل هذه الأسباب الجذرية، يصبح لاقتصاد الحرمان واللامساواة دعوى منطقية جدًا تستحق الاهتمام. فقد حاز الاعتقاد بأن جذور السخط والفوضى يجب البحث عنها في الضائقة الاقتصادية على قبول جد واسع من المحللين الاجتماعيين، في محاولتهم أن ينظروا إلى أبعد من الظاهر والواضح.

إن الأطروحة المباشرة التي تربط الفقر بالعنف لها أيضًا إغراء آخر: إنها تبدو جاهزة للاستخدام الجيد في المناصرة الإنسانية التي يتضافر فيها الجهد العام لوضع حد للفقر. أولئك الذين يحاولون القضاء على الفقر في العالم، يميلون بطبيعة الحال إلى استدعاء العلاقة السببية الظاهرة بين العنف والفقر،

من أجل الحصول على الدعم حتى من الذين لم يحركهم الفقر نفسه. هناك، في واقع الأمر، ميل متزايد في السنوات الأخيرة إلى مناقشة سياسات تسعى لإزالة الفقر، على أرضية أن تلك الطريقة هي الأكثر ضمانًا لمنع الحروب السياسية والاضطرابات. فاستناد السياسة العامة - الدولية وأيضًا المحلية - إلى مثل هذا الفهم له بعض الجاذبية الواضحة. فهو يقدِّم حجّة قوية سياسيًا من أجل توزيع موارد عامة أكثر وبذل جهد أكبر لمكافحة الفقر، لعوائدها السياسية المفترضة، فيأخذنا هذا بعيدًا عن القضية الأخلاقية المباشرة التي استدعت القيام بذلك.

ولكون العنف الجسدي الواسع الانتشار يبدو مكروهًا ويخافه الناس، ولا سيما ذوو الشأن، أكثر من الغبن الاجتماعي والحرمان - حتى الحرمان المدقع - اللذين يطالان الآخرين، يصبح بالفعل مغريًا أن تتمكن من إخبار الجميع، بمن فيهم الأغنياء، أن الفقر المخيف سوف يولّد عنفًا مرعبًا. ونظرًا إلى إمكان ملاحظة الحروب والفوضى، وبسبب القلق العام، فإن التبرير غير المباشر للقضاء على الفقر - ليس من أجل القضاء عليه لذاته بل من أجل تحقيق السلام والهدوء - أصبح في السنوات الأخيرة، الجزء المهيمن على خطاب مكافحة الفقر.

بالتأكيد ثمة علاقة وارتباط بين الأمرين، لكن هل من المنطق فعلًا أن نبحث عن تفسيرات للعنف من خلال تحليل عامل واحد للفقر والحرمان؟ وبينما السير في هذا الاتجاه مغرٍ باعتبار أنه أسهل للتقدير، تكمن الصعوبة هنا في احتمال أن الصلة السببية ليست متينة بما يكفي، وبناء عليه، فإن الاختزالية الاقتصادية لن تكون قد أعاقت فهمنا للعالم فحسب، بل سوف تؤدي إلى التقليل من أهمية المنطق المعلن للالتزام العام بالتخلص من الفقر. وهذا مقلق جدًا بشكل خاص باعتبار أن الفقر واللامساواة واسعة الانتشار رهيبان بحد ذاتهما، إلى حد أنهما سبب كافٍ من أجل التخلص منهما، حتى وإن لم يكن لهما تأثيرات سلبية أخرى من خلال صلات غير مباشرة. وكما أن الفضيلة هي جائزة نفسها، الفقر هو في الأقل عقابه الذاتي. إن البحث عن بعض الأسباب الخفية لمكافحة الفقر بحسبان تأثيراته في العنف والنزاع يمكن أن يجعل النقاش، كما يبدو، أوسع نطاقًا وتناولًا، لكن يمكن أيضًا أن يجعل المنطق أكثر هشاشة بكثير.

تختلف رؤية هذا الخطر عن إنكار أن الفقر واللامساواة يمكن أن يتصلا - أو يتصلا فعلًا - بالنزاع والصراع، لكن هذه الصلات يجب أن تكون خاضعة للتحقيق والتقويم باهتمام مناسب وبجدية العقل الإمبيريقي. إن سهولة استدعاء الاختزالية الاقتصادية يمكن أن تكون أحيانًا فاعلة في مساعدة ما قد نراه قضيةً عادلةً (ويمكن حتى أن تكون لديها الخاصية المريحة (والقابلة للجدل) المغذية لضعفنا في إرضاء أنفسنا بواسطة تخويف غير المبالين أخلاقيًا بالتلويح لهم بخطر العنف الدموي)، لكنها في الأساس طريقة غير سليمة للتقدم وقد تأتي حقًا بنتائج معاكسة للأخلاق السياسية.

(8)

إن الأطروحة البسيطة التي تربط الفقر بالعنف لا تتعرض للخطر فحسب بالاستخدام المشكك به أخلاقيًا، بل هي أيضًا، في الحقيقة، ممتلئة بالمشكلات المعرفية. إن الادعاء بأن الفقر مسؤول عن العنف الجماعي هو على المستوى الإمبيريقي فج جدًا، لأن الصلة بين الفقر والعنف هي أبعد من أن تلاحَظ عالميًا، وأيضًا لأن هناك عوامل اجتماعية أخرى مرتبطة بالفقر والعنف.

عندما ألقيت محاضرة في مركز لويس مامفورد (Lewis Mumford) في سيتي كوليدج (City College) بمدينة نيويورك في عام 2007، وعنوانها «الرُقِي في كالكوتا»، كان لي فرصة للتعليق على الحقيقة المذهلة أن كالكوتا (Calcutta) أو كالكوتا (Kolkata)، كما نشجِّع نحن اليوم على لفظ الاسم بالإنكليزية في البحث عن مرادف أكثر اقترابًا من اللفظ البنغالي، ليست واحدة من أفقر المدن في الهند فحسب - وبالتأكيد في العالم - بل يصادف أيضًا أن نسبة الجريمة فيها قليلة جدًا. في الواقع، تمثل الجرائم الكبيرة في مدينة كالكوتا الفقيرة النسبة الأقل من الحوادث في المدن الهندية جميعها. ويبلغ معدل حوادث الجريمة في المدن البالغ عددها 35 مدينة في الهند 2.7 لكل 100,000 نسمة، منها 2.9 في دلهي. أما النسبة في كالكوتا فهي لا تتجاوز 0.3[15]. الانخفاض

(15) هذه الأرقام مستندة إلى المعلومات الموجودة لدى الجهاز الوطني لتسجيل الجرائم في =

نفسه في الجرائم العنيفة يمكن ملاحظته من العدد الإجمالي لجميع الانتهاكات المتعلقة بقانون العقوبات الهندي مجتمعة. وهذا ينطبق على الجرائم ضد النساء، حيث تنخفض انخفاضًا ملاحَظًا جدًا في كالكوتا مقارنة بالمدن الأخرى الكبيرة في الهند.

يظهر أيضًا أن معدلات حوادث الجرائم العنيفة منخفضة انخفاضًا يسترعي الانتباه، بحسب المعايير العالمية، في المدن الهندية عمومًا، وتبدو كالكوتا كأنها الأقل في نسبة القتل ليس في الهند فحسب، بل في العالم أيضًا. ففي عام 2005، كان معدل جرائم القتل في باريس 2.3، وفي لندن 2.4، وفي نيويورك 5.0، وفي بوينس أيرس 6.4، وفي لوس أنجلوس 8.8، وفي مدينة المكسيك 17.0، وفي جوهانسبرغ 21.5، وفي ساو باولو 24.0، والنسبة المفاجئة هي ريو دي جانيرو التي بلغت 34.9[16]. وحتى في مدن اليابان الشهيرة بانخفاض معدلات الجريمة، يعتبر معدل جرائم القتل أكثر بثلاثة أضعاف من كالكوتا، أي معدل 1.0 لكل 100,000 نسمة في طوكيو، و1.8 في أوساكا، ويقترب المعدل من معدل كالكوتا في هونغ كونغ وسنغافورة فقط (على الرغم من أنهما أعلى بنسبة 60 في المئة)، بمعدل 0.5 لكل 100,000 لكل منهما، مقارنة بـ 0.3 في كالكوتا.

إذا كان هذا كله يبدو لنا وكأنه أحجية عصية على الفهم، نظرًا إلى الفقر في كالكوتا، فهو قد يكون انعكاسًا لمحدودية تفكيرنا، أكثر منه تناقضًا في الطبيعة. لا يزال أمام كالكوتا، بالطبع، مسيرة طويلة كي تقضي على الفقر وتنظم اقتصادها. ومن المهم أن نتذكر أن معدل الجريمة المنخفض لا يجعل تلك المشكلات السيئة تختفي. وعلى الرغم من ذلك، هناك شيء مهم يجب ملاحظته - وحتى الاحتفاء به - في الاعتراف بأن الفقر لا يُنتِج بالحتمية عنفًا بمعزل عن الحركات السياسية والتفاعلات الثقافية والاجتماعية أيضًا.

= الهند، The National Crime Record Bureau of India, *Crime in India 2005* (New Delhi: Government of India, 2007).

(16) جُمِعت المعلومات عن الجرائم في المدن المختلفة من المنشورات الوطنية والبلدية ذات العلاقة، وأنا ممتن لبيدرو راموس بينتو (Pedro Ramos Pinto) لمساعدته البحثية الرائعة في ذلك وفي ما له علاقة بهذا العمل.

ليس شرح الجريمة موضوعًا سهلًا قابلًا للتعميم الإمبيريقي، وحتى وإن كان هناك بعض محاولات حديثة من أجل فهم طبيعة الجريمة وانتشارها من منطلق خصائص المجتمعات المختلفة، فمن الواضح تمامًا أن أمامنا طريقًا طويلة نقطعها من أجل فهم أكمل للصورة[17]. في محاضرتي في مركز مامفورد، حاولت أن أفسّر أن كالكوتا استفادت، من بين عوامل مسببة أخرى، من حقيقة أن لها تاريخًا طويلًا في كونها مدينة مختلطة بكل ما في الكلمة من معنى، حيث لم تكتسب الأحياء ملامح الفصل العرقي الحاد التي لبعض المدن، في الهند كما في أماكن أخرى. هناك أيضًا ملامح أخرى اجتماعية وثقافية مرتبطة من دون شك بفهم العلاقة بين الفقر والجريمة. فعلى سبيل المثال، في محاولتنا فهم المعدلات العالية لجرائم العنف في جنوب أفريقيا، من الصعب التغاضي عن الصلة بإرث الفصل العنصري (Apartheid). وتتضمن الصلة ليس إرث النزاعات العرقية فحسب، بل أيضًا التأثيرات الرهيبة في فصل الأحياء وفي الأسر التي تفرقت بسبب التدابير الاقتصادية التي تماشت مع فلسفة الفصل العنصري. لكن لن يكون سهلًا تفسير لماذا كان للمحاولات المتأخرة لتوليد مجتمعات مختلطة التأثير الفوري في تشجيع الجريمة في داخل الأحياء الجديدة المختلطة في جنوب أفريقيا. ربما إرث تاريخ طويل يمكن أن يمحى فقط ببطءٍ شديد نسبيًا.

أخشى أننا لا نعرف ما يكفي عن العلاقات الإمبيريقية لنكون واثقين تمامًا من مسألة أي الصلات السببية صحيح هنا، وأنا مدرك تمامًا أن هناك حاجة إلى التواضع الذي تدعو إليه العلوم الاجتماعية دائمًا، ولا تحصل عليه غالبًا. لكن يبدو واضحًا إلى حد كبير أن الميل إلى رؤية علاقة عالمية ومباشرة بين الفقر والعنف سيكون أمرًا صعب الإثبات جدًا. بالتأكيد هناك صورة أكثر تعقيدًا تكمن أبعد من صفة المباشرة المفترضة للعلاقة بين العنف والفقر.

بشكل أكثر تحديدًا، إذا ما نظرنا خصوصًا إلى العنف المرتبط بالدين، والأصل العرقي والمجتمع (الاتجاه الذي أرسَلْنا فيه من قبل كثيرون من

---

(17) انظر على سبيل المثال، مجموعة المقالات الغنية بالمعلومات في: Per-Olof H. Wilkstrom and Robert J. Sampson, eds., *The Explanation of Crime: Context, Mechanisms and Development* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006).

أصحاب النظريات الاجتماعية)، فإن دور السياسات الواعية كعائق لنشوء هذه الصلة يتطلب أيضًا اعترافًا أكمل بأهميته. فعلى سبيل المثال، مالت السياسة الغالبة في كالكوتا وفي غرب البنغال، التي هي إلى حد كبير جدًا سياسة يسار الوسط، إلى التركيز على الحرمان المرتبط بالطبقات، وفي الفترة الأخيرة، على استخدامات السلطة السياسية وتعسفاتها. هذا التركيز السياسي المنفصل جدًا عن الدين وعن المجتمع المرتكز على الدين، جعل استغلال الفروقات الدينية من أجل التحريض على الشغب ضد الأقليات أكثر صعوبة، كما حدث، بكثير من القسوة، في بعض المدن الهندية، مثل بومباي (أو ممباي) وأحمد أباد. حظيت كالكوتا بنصيبها الكامل من أعمال الشغب بين المسلمين والهندوس، المرتبطة بتقسيم الهند، والتي كانت منتشرة في أنحاء شبه القارة الهندية كافة، لكن بعد مرور عقود عديدة، ما عاد هناك مثل أعمال الشغب هذه في تلك المدينة الكبيرة، على خلاف الحال في تكتلات مدينية أخرى عديدة في الهند. بالفعل، يبدو كأن التغلب على كامل الأجندة الطائفية في تعزيز الانقسام الطائفي قد تم بواسطة الأولويات الاجتماعية السياسية الجديدة التي تهيمن على المدينة.

وفي هذا التطور السياسي، يبدو أن التركيز على الفقر الاقتصادي واللامساواة قد أدّى دورًا بنّاء في الكشف عن عدم أهمية الفروقات الدينية بالمطلق في منع الانسجام الاجتماعي. وفي الإقرار بالهويات البشرية المتعددة، ساهم التشديد المتزايد على الطبقات والمصادر الأخرى لعدم المساواة الاقتصادية في جعل تحفيز المشاعر الطائفية والعنف صعبًا جدًا في كالكوتا على غرار التقسيم الديني؛ وهي آلية سبق استثمارها وصارت تبدو بتزايد بدائية بشكل غريب وفجّة. إن الأقليات، كالمسلمين والسيخ أساسًا، لديهم شعور بالأمن في كالكوتا وهو ما لم يكن في إمكانهم التمتع به دائمًا في بومباي أو أحمد أباد أو دلهي.

إذا كانت الهويات المتعلقة بالسياسات اليسارية وبالطبقات لها التأثير الكبير في إضعاف العنف المبني على التقسيم الديني والتناقضات المجتمعية في الجزء الهندي من البنغال، فإن تأثيرًا بنّاءً مشابهًا يمكن أن يُرى على الجانب الآخر من

الحدود، في بنغلادش، ناتجًا من قوة هويات اللغة، والأدب والموسيقى التي لا تقسم المسلمين والهندوس معسكرين مختلفين وقابلَيْن للاستغلال في العداء. النقطة العامة الأساس هنا هي أن فهم تعددية هوياتنا يمكن أن يشكّل قوة هائلة في مكافحة التحريض على العنف المبني على الهوية المفردة، خصوصًا الهوية الدينية التي هي الشكل المهيمن للتفردية المزروعة في العالم المضطرب اليوم.

(9)

إن الصلات الاقتصادية بين الفقر والعنف مسألة معقدة تمامًا وبالكاد يمكن أن تلتقطها بساطة الاختزالية الاقتصادية. وعلى سبيل المثال، لا يمكن أن لا يكون للتاريخ العنيف لأفغانستان علاقة بالفقر والحرمان اللذين عاناهما الشعب، وعلى الرغم من ذلك فإن اختزال العلاقة السببية للعنف هناك كليًا بهذا العامل الاقتصادي الوحيد يعني أن تُغفل دور الطالبان وسياسة الطائفية الدينية والتطرف. كما يعني ذلك أيضًا أن تحذف الجزء الذي اضطلع به تاريخ الدعم العسكري الغربي - والتحريض - لتقوية المتطرفين دينيًّا في أفغانستان ضد الروس، بينما رأى القادة الغربيون في الاتحاد السوفياتي شيئًا أشبه «بمحور الشر» الوحيد. في الوقت نفسه، سيكون من الخطأ أيضًا أن نعزل نهوض الأصولية والعنف الطائفي عن الصلات الاقتصادية كافة. يجب علينا أن نفهم العلاقات المتداخلة المختلفة التي تعمل معًا، وتقتل معًا. نحن في حاجة إلى مهارات تحليلية متطورة لفهم أي جزء تؤديه المكونات الاقتصادية في البنية الأكبر للإطار الاجتماعي التفاعلي.

تعتمد الصلات الإمبيريقية بين الفقر والعنف بشكل واضح ومهم على ظروف كثيرة أخرى. لا يوجد بالطبع نقص في الأدلة على نزاعات ومواجهات في الاقتصادات التي فيها كثير من الفقر ومن اللامساواة. لكن، في الوقت عينه، هناك أيضًا اقتصادات أخرى ليست أقل فقرًا أو أقل إجحافًا تبدو كأنها باقية في أعماق الشِدّة الاقتصادية وغارقة تمامًا، من دون إحداث اضطرابات سياسية جدية. يمكن الفقر أن يتعايش مع السلام ومع الهدوء الظاهر، والمنطق

السببي الذي يربط الفقر بالعنف له ثغراته التي يجب الإقرار بها. فالإفقار يمكنه، بالطبع، أن يولد الاستفزاز لتحدي القوانين والقواعد الراسخة، لكنه ليس بالضرورة قادرًا على منح الناس المبادرة، والشجاعة، والقدرة الفعلية لعمل أي شيء عنيف في الأخص.

بالفعل، يمكن أن يترافق الحرمان ليس مع عدم القدرة الاقتصادية فحسب، بل أيضًا مع العقم السياسي وعدم القدرة السياسية. إن الضحايا الذين أنهكهم الحرمان يمكن أن يكونوا ضعفاء جدًا وبائسين جدًا إلى حد العجز عن النضال والتعارك، وحتى عن الاحتجاج والصراخ. وليس مفاجئًا أن المعاناة الشديدة والإجحاف قد زامنهما سلام مثير للعجب وصمت قاتل غالبًا. على سبيل المثال، كانت سنوات المجاعة في أربعينيات القرن التاسع عشر في إيرلندا من أكثر السنوات هدوءًا، ومحاولات الجماهير الجائعة للتدخل شبه معدومة حتى عندما كانت السفينة تلو السفينة تبحر في نهر شانون (Shannon) محملة بالطعام المنقول بعيدًا عن إيرلندا المصابة بالجوع، إلى إنكلترا المتخمة، بفعل قوى السوق (إذ امتلك الإنكليز نقودًا لشراء اللحوم والدجاج والزبدة والمواد الغذائية، أكثر من الإيرلنديين الذين ابتلوا في الواقع بالوباء). وبناء عليه، لم يكن للإيرلنديين سمعة استثنائية في الخضوع أو الاستكانة، وعلى الرغم من ذلك كانت سنوات المجاعة سنوات نظام وسلام، بوجه عام. وتمكنت لندن ليس من التهرب من حكمها السيئ جدًا لإيرلندا فحسب، بل لم يكن عليها أيضًا أن تواجه عنف الغوغاء الإيرلندية (على الرغم من أن معدل الوفيات من مجموع السكان بسبب المجاعة الإيرلندية كان الأكبر مقارنة بالمجاعات التي توافرت عنها معلومات). وكما قال كالغاكوس (Calgacus) القائد الاسكتلندي المتمرد عن سيطرة الرومان على بريطانيا في القرن الأول: «يصنعون برّية ويسمونها سلامًا».

هذا لا يشير، في أي حال، إلى أن مظاهر الفقر والمجاعة والإجحاف التي رافقت المجاعات الإيرلندية لم تؤثّر في العنف في إيرلندا على المدى البعيد. بالفعل، فقد كان لذاكرة الإجحاف والإهمال تأثير في النفور الشديد للإيرلنديين من البريطانيين، وساهما مساهمة كبيرة في العنف الذي اتسمت به العلاقات

الإنكليزية – الإيرلندية على مدار أكثر من قرن ونصف. ربما لم يؤد الحرمان الاقتصادي إلى عصيان مباشر، لكن سيكون من الخطأ الافتراض من هذا أنه لا توجد أي صلة بين الفقر والعنف. هناك حاجة مهمة هنا إلى مراقبة الصلات مدة من الزمن – وعادة تكون مدة طويلة جدًا – وأيضًا الكيفية التي تتداخل فيها مظالم الحرمان وسوء المعاملة في عوامل أخرى، من ضمنها، في حالة القضية الإيرلندية، مناصرة الهوية الوطنية التي تسعى إلى الابتعاد عن الإنكليزية. إن الطبيعة المنفرة للرسوم الكاريكاتيرية الإنكليزية عن الإيرلنديين، والتي تعود في الزمن إلى الوراء إلى قصيدة سبنسر (Spenser) **ملكة الجنيّات** (*Faerie Queene*) في القرن السادس عشر، سوف تعزَّز بقوة من خلال خبرات المجاعات في أربعينيات القرن التاسع عشر تحت الحكم البريطاني، مولدة كرهًا عميقًا لأقوى جيران إيرلندا التي لم تفعل شيئًا لوقف المجاعة، بل إنها ساعدت على تفاقمها، وبطرائق كثيرة.

يوجد شبه هنا بتجربة الشرق الأوسط. وهناك، بالطبع، تأثيرات كثيرة جعلت الوضع صعبًا فيها، كما كان في العقود الأخيرة، ومن ضمنه الصعوبة الظاهرة لدى بعض قادة العالم في التفكير بوضوح في الموضوع. لكن من بين الروابط الكثيرة يصعب تجاهل المعاملة السيئة للشرق الأوسط من طرف القوى الغربية خلال الحقبة الكولونيالية، عندما تمكّن الأسياد الجدد من إخضاع أمة بعد أخرى ومن أن يرسموا الحدود – وأن يعيدوا ترسيمها – بين الدول تمامًا كما شاؤوا. هذا الاستغلال للقوة لم يسبب أعمال شغب كثيرة في حينه، في القرن التاسع عشر، لكن ذلك الصمت للمهزوم – السلام للمسحوقين – لا يشير إلى أن المسألة قد انتهت إلى الأبد، وأنها لن تترك وراءها ذاكرة رهيبة من المعاملة السيئة. وكما أشارت فلورا غوفورث (Flora Goforth) بطلة مسرحية **قطار الحليب لن يتوقف هنا بعد الآن** (*The Milk Train does not Stop Here Anymore*) لتينيسّي وليامز (Tennessee Williams)، فـ «الحياة كلها ذاكرة باستثناء اللحظة الواحدة التي تمر من قربك بسرعة هائلة حتى بالكاد تلتقطها حينما تمر». وبالمثل، المسلسل الجديد من السحق والتدمير، اليوم، في العراق وفلسطين وفي أماكن أخرى، لن يتم نسيانه بسهولة، كما أخشى، لزمن طويل في المستقبل.

على الرغم من عبء التاريخ، هناك الآن فرصة كبيرة للعالم لتأدية دور إيجابي في الحفاظ على الحركات الشعبية القوية من أجل الديمقراطية التي أصبحت بسرعة حقيقة جديدة للشرق الأوسط على مر الشهور القليلة الأخيرة (حتى وأنا أكتب هذه المقدمة). ويبدو أن الرغبة القوية للديمقراطية في العالم العربي، التي ناقشتها في كتابي *Identity and Violence* (2006)، ناضلت من دون توقف ضد الحواجز السلطوية بأكثر الطرائق شجاعة، وهناك كثيرًا مما يمكن عمله في اللحظة الراهنة من أجل توفير الدعم الدولي لهذا التطور الواعد في واحد من أكثر المناطق إشكالية في العالم. فالمسارات المدنية للسلام في أنحاء العالم كلها يمكنها أن تساعد المبادرات الاجتماعية الفعالة التي تحدّت الطغيان والقوة العسكرية للأنظمة الراسخة بالوسائل السلمية، وأن تستفيد منها، معًا، لمصلحة الديمقراطية و«الحكم بالنقاش» التي أُجلت طويلًا (بالعودة إلى مِل في مناصرته الفكرة الأساسية للديمقراطية)[18].

(10)

إذا كانت للرابط القوي ولكن غير الفوري بين الفقر والظلم، من جهة، والعنف من جهة أخرى، معقولية ضعيفة نوعًا ما (كما أعتقد أنه كذلك)، علينا إذًا أن نرى كيف للأفكار المتعلقة بالهوية والثقافة أن تساعد على نشر هذه القضايا الخاصة بالاقتصاد السياسي، عوضًا عن المنافسة مع تأثيرها على طريقة «إما هذا وإما ذاك». وللتصنيفات التي من الممكن أن يلتف حولها العنف المستفَز خصائص اجتماعية وثقافية خاصة بها (مرتبطة بالأصل العرقي أو القومية أو الخلفية الاجتماعية)، لكن إمكان التحريض على الغضب يمكن أن يتزايد تزايدًا كبيرًا، وأن يُضخَّم بربطه تاريخيًا بالإجحاف السياسي والاقتصادي. بالفعل، حتى الوحشية التي تَعامل بها ناشطو الهوتو ضد قبائل التوتسي استخدمت استخدامًا فعالًا حقيقة أن قبائل التوتسي في رواندا تتمتع

(18) في شأن هذا الموضوع انظر كتابي: *The Idea of Justice* (London: Penguin and Cambridge, MA: Harvard University Press, 2009), Chapters 15-18.

بامتيازات أكثر مما لدى الهوتو؛ وهذا الوضع ما كان له أن يبرر ما حدث، لكن وجود تلك الصلة الإمبيريقية هو جزء من دراسة العنف الذي يجب علينا أن نلاحظه. ولا بد من أن للفقر واللامساواة دورًا في تعزيز العنف والإبقاء عليه، لكن ذلك الدور، برأيي، يمكن أن يُبحث ليس بالتركيز الحصري على الحرمان والفقر المدقع بمعزل عن المجتمع والثقافة، لكن من خلال البحث عن إطار أكبر اتساعًا وعمقًا مع أدوار متقاطعة للفقر والسمات الأخرى للمجتمع.

بالمثل، وبينما لا يمكن تبرير الشر الرهيب للقاعدة ضد الأهداف الغربية من خلال أي استحضار تاريخي، فإن حقيقة أن أولئك الذين يعمل باسمهم الإرهابيون قد مروا بمعاملة غير منصفة في الماضي مارسها المستعمرون الغربيون، تجعل الدعوة إلى العمل الوحشي أكثر سهولة للترويج. إن غياب التبرير الأخلاقي لمثل هذه الصلة لا يلغي حقيقة أنها تستطيع، في أي حال، أن تكون لها قوة كبيرة في إدخال الناس في غضب أعمى.

بالفعل، إن قبول السكان المسالمين بالإرهاب في ظروف مختلفة، هو ظاهرة غريبة أخرى في أجزاء كثيرة من العالم المعاصر، خصوصًا عند أولئك الذين يشعرون بأنهم عوملوا معاملة سيئة في الماضي.

إن التفاوت في القوة العسكرية وفي فرص المشاركة في السلطة السياسية والاقتصاد يمكن أن يترك خلفه ميراثًا ضخمًا من الاستياء. وهذا صحيح تمامًا حتى عندما لا تبدو العملية مرتبطة ارتباطًا واضحًا بالقوة وبالسلوك العنيف. ومثالًا على ذلك، الظلم في ترك مئات الملايين خارج الاقتصاد العالمي والتقدم الاجتماعي، أو الحكم بالموت على ملايين آخرين ممن يعانون عللًا طبية ولم يتمكنوا من الخضوع لأي علاج من الأمراض التي كان في الإمكان القضاء عليها أو التحكم بها بفاعلية، لو أن الآلية الاقتصادية العالمية لم تهمل التزويد بالأدوية الضرورية للحفاظ على حياة أولئك الذين هم في أمس الحاجة إليها.

(11)

تستلزم القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية جهدًا جديًا للتكامل؛

هذا التكامل الذي تَعامَل معه بازدراء المنظرون القدريون لاشتباك الحضارات والمدافعون المتسرعون عن الاختزالية الاقتصادية. العوامل الثقافية والاجتماعية وأيضًا سمات الاقتصاد السياسي كلها مهمة في فهم العنف في العالم اليوم. لكنها لا تعمل بمعزل بعضها عن بعض، وعلينا أن نقاوم إغراء الطرائق المختصرة التي تدّعي أنها تمنح التبصّر من خلال تركيز الفكر على عامل واحد أو آخر، مهملين السمات الأخرى المهمة للصورة المتكاملة. ربما الأكثر أهمية، أن لنا عقلًا لنفهم أن تلك الحالات السابقة من العنف المختلفة الأسباب ليست أشياء جامدة يمكن أن تتحدى وتدمر الجهد البشري كله لخلق نظام اجتماعي أكثر تسامحًا. هذه الصلات تمت دراستها في تقرير هيئة الكومنولث، مسارات مدنية للسلام، الذي تشكّل هذه المقالة مجرد مقدمة له.

من المهم بالفعل أن نلحظ الصلة التي تُهمل غالبًا بين وضوح الفهم والطريقة التي يقوم بها المجتمع بوظائفه ويعمل بها. بالفعل، لولا الرؤية السياسية التي ألهمت الحركة المعادية للعنصرية في جنوب أفريقيا، التي قادها نلسون مانديلا وأيضًا دزموند توتو (Desmond Tutu)، كان من الممكن أن تكون دولة جنوب أفريقيا اليوم مغطاة ليس بالمصالحة بل بالانتقام العنيف ضد ما كان يُعتبر واحدًا من أكثر الأنظمة التمييزية قسوة في العالم. وبشكل مماثل، مهدت وحشية الحروب العالمية في بداية القرن العشرين الطريق لذلك النوع من التحليل الاجتماعي الذي أفضى، من بين أشياء كثيرة، إلى الحركة الأوروبية التي سوف تقود في النهاية إلى طيّ النزاعات القومية في داخل أوروبا في النصف الأخير من القرن الماضي. إن الناتج الذي يبدو عاديًا جدًا الآن، لم يكن تخيله سهلًا في الخنادق وساحات المعارك في الأيام المظلمة لفترة 1914-1918. وبالمثل، فإن التعبير الكبير عن المطلب العام للديمقراطية الذي يتكشف في بلد تلو الآخر في الشرق الأوسط (تونس، مصر، ليبيا ودول أخرى) يمكن أن يكون بداية الولادة لهوية مختلفة جدًا - مختلفة عن اتخاذ الدين أولويةً ومختلفة أيضًا عن الخضوع للاستبداد - وسوف تُحدث تغييرًا رئيسًا في سياسات الشرق الأوسط، إذا لم تُخضعها القوة المنظمة لحكومات الدول أو للتطرف الديني.

وليس صعبًا أن نرى أن الانقسامات يمكن استغلالها من أجل توليد العنف، وفي بعض الأحيان، يمكن جعلها أكثر حدة وشراسة من خلال اقتران اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية بالفروقات العرقية والثقافية. وليس مستغربًا في الواقع أن هذه المسارات الانشقاقية في التفكير يمكن التغلب عليها في حال توافر بعض الوضوح في الرؤية والفهم. والشيء العظيم عمومًا هو أن ما يبدو بعيدًا وغير قابل للتحقيق اليوم يمكن أن يصبح غدًا، بجهدنا الشخصي، قابلًا للتحقيق تمامًا، وعاديًا بكل ما في الكلمة من معنى. ويمكننا أن نستمد القوة من بروست وغورديمر: «لا تكونوا خائفين من الذهاب بعيدًا جدًا، فالحقيقة تكمن في الأبعد». هذا الاعتراف، المهم عمومًا، ربما يكون كذلك ولا سيما في لحظات البؤس التي نمر بها بسبب انعدام الأمان في عالمنا المضطرب.

القسم الثاني

مسارات مدنية للسلام

تقرير هيئة الكومنولث
في شأن الاحترام والتفاهم

أمارتيا سن (الرئيس)
جون ألدردايس
كوامي أنطوني أبيا
أدريان كلاركسون
نولين هايزر
كمال حسين
إيلاين سيهواتاني هاورد
وانغاري موتا ماثاي
رالستون نتلفورد
جوان روابيومير
لوسي ترنبول

أعضاء هيئة الكومنولث
في شأن الاحترام والتفاهم

معالي السامي المقام اللورد جون ألدردايس (The Right Honourable John Alderdice) (المملكة المتحدة): كان قائدًا لحزب التحالف عبر المجتمعي الإيرلندي الشمالي، وأدى دورًا أساسًا في مفاوضات اتفاق بلفاست في عام 1998. كان الناطق الأول لاجتماع شمال إيرلندا (1998-2004)، عُيِّن بعدها واحدًا من أربعة أعضاء مبعوثين بصفة مراقبين دوليين للإشراف على استتباب الأمن في إيرلندا. في مجلس اللوردات يمثّل الليبراليين الديمقراطيين، ومنذ عام 2005، الرئيس المنتخب للدولية الليبرالية، أي الاتحاد العالمي للأحزاب السياسية الليبرالية. يدير مركزًا للعلاج النفسي في بلفاست، وهو بروفسور زائر في الطب النفسي والرئيس المشترك لمجموعة تحليل الحوادث الحرجة في علم نفس الإرهاب والنزاع السياسي العنيف.

البروفسور كوامي أنطوني أبيا (Kwame Anthony Appiah) (غانا): هو أستاذ الفلسفة في جامعة لورنس س. روكفلر (Laurence S. Rockefeller) والمركز الجامعي للقيم الإنسانية في جامعة برنستون (Princeton). نشر له على نطاق واسع في الأدب الأفريقي والأدب الأفريقي - الأميركي، والدراسات الحضارية. وفي عام 1992، نشرت له مطبعة جامعة أكسفورد في بيت أبي (*In My Father's House*) الذي يتناول، جزئيًا، دور المثقف الأفريقي والمثقف الأفريقي - الأميركي في تشكيل الحياة الثقافية الأفريقية المعاصرة. آخر منشوراته تتضمن

أخلاقيات الهوية (The Ethics of Identity) (2004)، والكوزموبوليتانية: أخلاقيات في عالم من غرباء (2006) (Cosmopolitanism: Ethics in a World of Strangers).

معالي السامية المقام آدريان كلاركسون (The Right Honourable Adrienne Clarkson) (كندا): صحافية بارعة، كانت حتى عام 2005 الحاكم العام السادس والعشرين لكندا، فكانت المرأة الكندية الصينية الأولى، والمرأة الثانية التي استحقت هذا المنصب. وهي أيضًا الأولى (وحتى الآن الوحيدة) التي استحقت وسام كندا الوطني (order) في كندا قبل أن تكون في المنصب، من بين الذين تبوأوا منصب الحاكم العام كافة. كلاركسون معروفة جدًا بعملها في البث الإذاعي، وأيضًا في استضافة عروض عدة لـ CBC [هيئة البث الإذاعي الكندي] وإنتاجها في فترة 1964-1982.

الدكتورة نولين هايزر (Dr. Noeleen Heyzer) (سنغافورة): هي المديرة التنفيذية الأولى من الجنوب التي ترأس صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة (اليونيفام)، وهو الوكالة التنفيذية الرائدة في الأمم المتحدة لدعم تمكين النساء والمساواة الجندرية. اضطلعت هايزر بدور مهم في اعتماد قرار مجلس الأمن 1325 في شأن النساء، والسلام والأمن. قبل ذلك، عملت مستشارة سياسية للحكومات الآسيوية، وبين عامي 1994 و1995 اهتمت بالتحضير للمؤتمر العالمي الرابع الذي انعقد في بيجين عن النساء، بما فيه تنظيم 1000 منظمة غير حكومية في منطقة الباسيفيك الآسيوية لتطوير أول خطة عمل من نوعها للمنظمات غير الحكومية. الدكتورة هايزر عضوٌ مؤسسٌ لعديد من شبكات النساء الإقليمية والدولية وحازت جوائز عدة عن دورها القيادي، من بينها ميدالية داغ همرشولد في عام 2004.

الدكتور كمال حسين (Kamal Hossain) (بنغلادش): هو وزير سابق للعدل ووزير سابق للشؤون الخارجية لبنغلادش، يسجَّل له أنه كان واحدًا من واضعي الدستور الوطني الأساسيين في بلده. كان أيضًا راعيًا مشاركًا (وسابقًا الرئيس) لمبادرة الكومنولث لحقوق الإنسان، وقبلها، المقرر الخاص للأمم المتحدة لحقوق الإنسان في أفغانستان. يعمل حاليًا على إبراز محنة اللاجئين الأفغان ووضع قضيتهم على أجندة المساعدة الدولية.

إيلاين سيهواتاني هاورد (Elaine Sihoatani Howard) (تونغا): هي المديرة التنفيذية لمجلس الشباب الوطني في نوكو ألوفا، عاصمة تونغا، ورئيسة برنامج الشباب للكومنولث - تجمُّع شباب جنوب الباسيفيك الإقليمي (هونيارا، جزر سليمان). حصلت على جوائز: جائزة أفضل عرض للبحث الأصلي في مؤتمر التنمية الدولي في نيوزيلندا (2004)، وجائزة الجامعة العامة من جامعة أوكلاند لبحوث الدراسات العليا في معرض 2004.

البروفسور وانغاري موتا ماثاي (Wangari Muta Maathai) (كينيا): هي المرأة الأفريقية الأولى التي حازت جائزة نوبل للسلام (في عام 2004). بدأ دور بروفسور ماثاي باعتبارها ناشطة بيئية وأكاديمية في عام 1977، عندما شكلت منظمة - من النساء بشكل أساس - عُرفت بحركة الحزام الأخضر، فحشدت النساء الفقيرات من أجل زرع 30 مليون شجرة في أنحاء أفريقيا كافة. ولأنها انتُخبت عضوًا في البرلمان بنسبة ساحقة بلغت 98 في المئة من الأصوات في عام 2002، عيّنها الرئيس في منصب وزير مساعد للبيئة، والموارد الطبيعية، والحياة البرية في برلمان كينيا التاسع.

معالي رالستون نتلفورد (The Honourable Ralston Nettleford OM) (جمايكا): المعروف أكثر باسم ركس نتلفورد، وهو باحث جمايكي، ناقد اجتماعي ومصمم رقصات. باحث سابق حاز منحة «رودس» التي سميت باسم مانحها سيسيل جون رودس. يشغل حاليًا منصب نائب الرئيس الفخري لجامعة وست أنديز (West Indies)، حيث تابع شهادته الجامعية الأولى في التاريخ قبل التقدم للدراسات العليا في جامعة أكسفورد كباحث (رودس). وباعتباره فنانًا مبدعًا، أسس في عام 1962 شركة مسرح الرقص الوطني في جمايكا، والتي قامت بجهد كبير تحت إشرافه في دمج الموسيقى والحركات التقليدية الجمايكية/الكاريبية ضمن تشكيلات رقص وموسيقى الباليه. ألّف كتبًا عدة منها مرآتي مرآتي: **عرق الهوية والاحتجاج في جمايكا**، وفي عام 1971 جمع، وحرر، ووضع إضافات توضيحية وقدّم خطابات نورمان مانلي وكتاباته في **مانلي وجمايكا الجديدة**. بنى نفسه باعتباره مؤرخًا جماهيريًا، وناقدًا اجتماعيًا جادًا، وقد منحته

الدولة جائزة وسام الاستحقاق اعترافًا منها بإنجازاته البحثية والثقافية. عيِّن منذ مدة وجيزة سفيرًا متجولًا لبلده جمايكا.

معالي جوان روابيومير (Joan Rwabyomere) (أوغندا): هي المفوض السامي لأوغندا في المملكة المتحدة وفي إيرلندا. وباعتبارها محامية قديرة، عملت عملًا جادًا في الأعمال التجارية، وفي الحكومة أيضًا. من المواقع التي شغلتها: نائبة رئيس مجلس إدارة الشركة الوطنية للمشروعات (1999–2000)، نائب المدير العام في الأمن الخارجي (1996–1998)، وزيرة الدولة للزراعة (1995–1996)، ومديرة مجلس إدارة كهرباء أوغندا (1989–1995)، ورئيسة مجلس المديرين في سلطة الملاحة المدنية الأوغندية (1989–1995)، ومندوبة مجموعة الاتحاد الأوروبي ودول أفريقيا والكاريبي والمحيط الهادئ للتعاون الإنمائي EU-ACP (1989–1995)، وعضو برلمان (1989–1996). شغلت روابيومير منصب المفوض السامي للمملكة المتحدة لأنها كانت المفوض السامي لأوغندا في نيجيريا بين عامي 2001 و2005. وهي أم لأربعة أطفال.

لوسي ترنبول (Lucy Turnbull) (أستراليا): سيدة أعمال أسترالية وعمدة مدينة سيدني. عملت سنوات عدة محامية في المجال التجاري وفي الخدمات المصرفية الاستثمارية. وهي عضو في مجلس إدارة سلطة ردفرن واترلو (Redfern Waterloo Authority)، التي تأسست في عام 2005 لمساعدة حكومة نيو ساوث ويلز (NSW) في تطوير خطة شاملة (اجتماعية ومكانية) لمنطقة ردفرن – واترلو في سيدني التي تعتبر واحدة من أكثر الضواحي المحرومة اجتماعيًا واقتصاديًا في أستراليا. كانت بين عامي 1999 و2004 عضوًا في لجنة التخطيط المركزية لسيدني. وترأست «نداء الدرع الأحمر لجيش الخلاص» (Salvation Army Red Shield Appeal) في سيدني [الذي يقدِّم المساعدات لأكثر من مليون أسترالي من أجل خدمات مجتمعية أفضل]، وهي أيضًا عضو في مجلس المحافظين لمعهد وولكوك للبحث الطبي (معهد بحوث التنفس والنوم)، وعضو مجلس إدارة تكنولوجيا المعلومات المحدودة في ملبورن، وهي شركة خدمات إنترنت عامة مسجلة، وعضو مجلس إدارة لشركات خاصة عدة أخرى في مجالي التكنولوجيا وصناعات الخدمات المالية.

مشاركون آخرون في الاجتماعات:

شاميت ساغار (Shamit Saggar)، بروفسور علوم سياسية، جامعة ساسكس (Sussex) وأستاذ زائر، جامعة تورونتو.

ساره لادبري (Sarah Ladbury)، مستشارة في مجال التنمية الاجتماعية.

أمانة الكومنولث:

معالي السامي المقام دونالد ماك كينون (Donald McKinnon)، الأمين العام

فلورنس موغاشا (Florence Mugasha)، نائبة الأمين العام

أميتاف بانرجي (Amitav Banerji)، مكتب الأمين العام

ماثيو نيوهاوس (Matthew Neuhaus)، قسم الشؤون السياسية

ألكسندرا جونز (Alexandra Jones)، مديرة قسم التخطيط الاستراتيجي والتقويم.

ديزي كوبر (Daisy Cooper)، مديرة التخطيط، قسم التخطيط الاستراتيجي والتقويم.

صبحيتا راجو (Sabhita Raju)، مديرة الشؤون السياسية، قسم المساعي الحميدة، قسم الشؤون السياسية.

تعرب اللجنة عن الشكر لشاميت ساغار وساره لادبري على أوراق المعلومات الأساسية التي قدمت مساعدة كبيرة في نقاشاتنا.

ملخص تنفيذي

استرشد هذا التقرير الذي يتضمن تحليل هيئة الكومنولث في شأن الاحترام والتفاهم والنتائج التي خلصت إليها، بالحاجة إلى تطوير توصيات خاصة بالسياسات لرؤساء حكومات الكومنولث، مستندًا إلى معلومات واضحة لأهمية المفاهيم المضمنة التي تعطي الهيئة اسمها. لذا، فإن هذا التقرير متعلق بأمرين: التوصيات والسياسات التي ستُتابع، والطرائق التي يُفترض أن يتكيف التفكير السياسي من خلالها مع حقائق العالم الذي نعيشه. إذا كانت تنمية الاحترام والتفاهم مهمة بذاتها، ويترتب عنها التقليص من العنف والإرهاب في العالم، فإن الصلة بين الإثنين تكون في فهم حقيقة أن العنف المغذّى يولّد بإثارة عدم الاحترام والعداوة وتعزيز سوء التفاهم التي تؤدي إلى المواجهة. وبينما يشرح هذا التقرير اتجاهات السياسات المتعددة، وأيضًا إجراءات سياسية محددة، طلبت الهيئة من الأمين العام متابعته بواسطة تحديدات إضافية لبرنامج عمل بالتشاور مع الحكومات المعنية.

أسّست الهيئة استجابة لقرار اجتماع رؤساء حكومات الكومنولث (CHOGM) في عام 2005 لمطالبة أمين عام الكومنولث «بالبحث عن مبادرات من أجل تعزيز التفاهم المتبادل والاحترام بين المعتقدات والمجتمعات كافة في الكومنولث». اجتمعت الهيئة التي عيّنها الأمين العام، والمؤلفة من 11 خبيرًا من مجموعة واسعة من الخلفيات المهنية والتخصصات، مرتين في عامي 2006 و2007 لتحضير هذا التقرير، إضافة إلى المراسلات المستفيضة وتبادل الأفكار والمقترحات.

وإذا ما أخذنا في الحسبان أن ثلث سكان العالم هم أعضاء، فإن الكومنولث هو بيت الغني والفقير، الصغير والكبير، وللناس من أي لون ومن أي معتقد. وهو أيضًا منظمة تبذل جهدًا من أجل جعل الديمقراطية طريقة حياة. وتكوينها شامل جميع التشكيلات السياسية والاقتصادية، فأعضاؤها الثلاثة والخمسون[1] يأتون من المناطق الجغرافية كلها، ويمثّلون كل مرحلة من مراحل التطور، ويضمون أناسًا من جميع الديانات الرئيسة.

إن التاريخ والتقاليد المشتركة لأعضاء الكومنولث أديا إلى دروس تربوية وقانونية توفر أرضية خصبة لتبادل الأفكار والممارسة الأفضل. وقد استخدم الكومنولث هذه من أجل إحداث تأثير جيد، ولا سيما في دعمها الأكثر فقرًا والأكثر تهميشًا (النساء، فئة الشباب، السكان الأصليون، وفقراء الريف) وبشكل خاص أولئك الذين يعيشون في الدول الأقل تطورًا، بما في ذلك دول الجزر الصغيرة.

تعتقد الهيئة أن الاستجابة لمشكلات المواجهة يجب أن تجد جذورها في التوكيد الأساس المتفق عليه في شأن حقوق الإنسان، الحريات، المجتمعات الديمقراطية، المساواة الجندرية، سيادة القانون والثقافة السياسية التي تعزز الشفافية، والمساءلة والتنمية الاقتصادية. ومن المهم أيضًا أن نقدّر أن الكومنولث ليس عائلة مكونة من دول، بل إنه أيضًا عائلة من شعوب. عدا ذلك، يوفر الكومنولث منتدى مشتركًا يلتقي فيه المجتمع المدني كشركاء ومتساوين. وتتواصل عائلة الكومنولث مع 85 مؤسسة مهنية من عموم دول الكومنولث ومنظمات المجتمع المدني، من خلال الروابط المؤسساتية والروابط الشخصية على حد سواء، وتعمل من خلال الانتماءات السياسية، والاجتماعية والاقتصادية.

بالاستناد إلى التشاركية والتشاور مع شركائه في المجتمع المدني، يتخذ الكومنولث قراراته على أساس التفاوض، والحوار، أو قياسًا على سابقة، وبالإجماع. وهذا المتفق على تسميته «نهج الكومنولث» في العمل يضمن أن

---

(1) يوجد الآن 54 دولة عضوًا: رواندا التحقت بالكومنولث في عام 2009.

الأعضاء يحترمون بعضهم بعضًا ويحاولون قدر المستطاع تفهم وجهات النظر الأخرى. وإلى ذلك أشار القائد العظيم لعصرنا - والرئيس السابق لجنوب أفريقيا - نلسون مانديلا في عام 1994 عندما طرح بقوة أن «الكومنولث يجعل العالم آمنًا للتنوع».

الحاجة إلى تفكير جديد في شأن النزاعات في العالم

اكتسبت الشروحات الثقافية - والصحيح «الحضارية» - للنزاع في العالم شعبية أكبر حاليًا، متأثرة إلى حد كبير بأطروحة صموئيل هنتنغتون عن حتمية «صراع الحضارات». حظيت هذه الأطروحة بشعبية أكبر منذ أحداث 11 سبتمبر الرهيبة. وقد حصل نقاش كبير في شأن ما كان يبدو انقسامًا غير قابل للمصالحة ما بين قيم الـ «نحن» وقيم الـ «هُم»، وهي الأكثر ظهورًا بين «الغرب وبقية العالم»، بين المسلمين وغير المسلمين. وبينما كان كثيرون يقولون، قبل أحداث 11 سبتمبر وبعدها، إن الثقافة ليست العامل المحدِد ولا الصدع الوحيد الذي يتنازع عليه الناس، فإن كيفية التعامل مع الأسباب الجذرية للنزاع أصبحت مسألة ملحة.

ركز هذا التقرير تركيزًا خاصًا على قضايا الإرهاب، والتطرف، والنزاع والعنف، لأنها في تصاعد في العالم المعاصر وتؤثر في دول الكومنولث وفي بقية العالم أيضًا. يفحص التقرير الطرائق المختلفة التي تبرز فيها مثل هذه النزاعات والعنف وتغذيتها وتوسّعها. وفي حين أن المؤثرات الثقافية هي من بين العوامل التي يمكن أن تساهم في عدم الاحترام، وعدم التفاهم والعنف، إلا أنها ليست العوامل المسببة الوحيدة، ولا هي غير قابلة للدحض أو لا يمكن مقاومتها. في الواقع، يمكن عمل الكثير لمنع العنف الذي قد يوجهه نحونا مُروّجو أجندات معادية. لهذا نحتاج إلى الافتراق عن الطرائق القديمة في التفكير في شأن المركزية والحصانة المزعومة أمام المواجهات الثقافية.

بدلًا من ذلك، يمكن أن يوضع التركيز على فهم الآليات التي من خلالها يغذّى العنف بواسطة التحشيد والتنسيب، وعلى اللامساواة الموجودة مسبقًا،

والحرمان والإذلال اللذين يستند إليهما التحشيد. هذه التشخيصات تمهد أيضًا الطريق لأساليب مواجهة عدم التعاطف والعنف المعززين. وفي الفصول المختلفة، سوف يتم استكشاف الروابط المختلفة وفحصها للوصول إلى توصيات لسياسةٍ عامة.

اللامساواة والظُلامة والتاريخ

بدءًا بالعلاقة بين الاحترام والتفاهم من جهة، والقلق والعداوة والعنف من جهة أخرى (الفصل الأول)، يستكشف التقرير الطرائق المتعددة التي من خلالها يولِّد العنف وأحيانًا يغذّى عن عمد (الفصل الثاني).

إن دور الفقر واللامساواة في تعزيز القلق والكره، والعنف بشكل خاص، يستدعي بعض التعمق في التحليل، باعتبار أن الصلات ليست بأي حال ميكانيكية وثابتة. وعلى الرغم من ذلك هناك صلات موجودة سوف نتحدث عنها في التقرير (الفصل الثالث). وإضافة إلى اللامساواة الظاهرة، تتطلب الأبعاد النفسية للإذلال أيضًا بعض العمق في التحليل.

إن تاريخ العالم مهم لفهم المشكلات المعاصرة، باعتبار أن تأثيرات التعامل السيئ في الماضي يمكن أن تستمر مدة طويلة من الزمن (الفصل الرابع). لذلك، يجب أن تتضمن المسارات المدنية معالجة إذلالات الماضي كما الحاضر. فالصلات على مر الزمن، على سبيل المثال عبر التاريخ الاستعماري، مهمة لفهم جذور الاستمرار الفعلي لانعدام المساواة والتصورات للظلم التي ظهرت كأنها أنيطت بالمناطق الأقل حظًا من الإنسانية. وفي بعض الأحيان، تكون مصادر الشعور بالإجحاف والإذلال حقيقية، وتستدعي معالجة (وهنا نقتطف تقرير سكارمان الذي ترأسه لورد سكارمان في عام 1982 كمثال جيد لتوصيات السياسات التي تلي تشخيصًا نابعًا من رؤية لكنه تشخيص تفصيلي). وكما هي الحال في بعض الأحيان، يبالغ في تصورات المواجهة بسبب سوء الفهم (أو تُضخّم بتحريض المتطرفين)، وهذه التفسيرات الخاطئة لا بد من أن يتم التعامل معها من خلال الوسائل المدنية، مع استخدام جيد للنقاش، مع إمعان النظر

المنفتح ورغبة من جهة الآخرين في الاستماع إلى الشكاوى والمظالم. ويجب أن يقوّم الناتج من هذه التغيرات بانتظام، وبطريقة منهجية، باعتبار أن المشكلات المعقدة التي تستمر مدة طويلة من الزمن لا تُزال بسهولة.

المشاركة والإعلام والتعليم

إذا كانت المشاركة جزءًا مهمًا من النهج المتعدد الجوانب الملائم للسلام العالمي (في حذو ما يسمى بنهج الكومنولث)، فإن الدور الحاسم للمشاركة السياسية ضمن حدود بلد ما بالكاد يمكن المغالاة فيه (الفصل الخامس). يجب أن يولى الانتباه إلى مدى وصول منتديات النقاش، من المركزي إلى المحلي، ولضمان أن الأشخاص المحرومين لم يُستثنوا من فرصة الالتحاق وإيصال أسئلتهم وهمومهم.

على الرغم من أن بعض المناصرين لما يسمونه التعددية الثقافية يكنّون عداوة كبيرة لفكرة الهوية القومية، لا يوجد في هذا المفهوم السياسي ما يقلل من أهمية الثقافة، أو الدين، أو اللغة، كل في مجاله الخاص. وبالفعل، يمكن أن تستخدم الهوية القومية من أجل أن تعطي كل شخص مساواة معترفًا بها في المشاركة السياسية، بغض النظر عن الدين، والعرق، واللهجة، أو المجتمع، أو - لأغراض تلك المسألة - تاريخ هجرتهم إلى البلد (عندما يكون ذلك موضوع نقاش).

إن تطور المجتمع المدني مجال آخر يجب أن يولى اهتمامًا خاصًا. وإن تنوّع المجموعات، المستند إلى انتماءات مختلفة، يحتاج إلى تشجيع ودعم: فتنوّع المؤسسات يساعد في تقديم الشواغل المهملة لانتباه الرأي العام. وعلى الحكومات ومنظمات المجتمع المدني أن تضمن أن أولئك الذين يُستشارون يمثّلون على نطاق واسع الأفكار والمشاعر التي يمكن أن تعزى إلى حد ما إلى المجموعات المعنية. ويمكن أن يكون للمشاركة السياسية الصوتية والسلمية دور مزدوج؛ أولًا، لتؤدي إلى وضع سياسة عامة أكثر استنادًا إلى المعلومات، وثانيًا، لوضع نهاية لاستياء الذين لا تسمع آراؤهم، الأمر الذي يمكن أن يصب في النهاية في الغضب والعنف.

وتعتقد الهيئة بأهمية إيلاء المشاركة السياسية للنساء اهتمامًا خاصًا، باعتبار أن هذا الأمر يُغفل غالبًا إغفالًا كبيرًا. وفي هذا المجال، يمتلك الكومنولث ثروة من المبادرات والتجارب (ناقش التقرير بعضها)، ويمكن الدول المختلفة الاستفادة بعضها من تجارب بعض.

تقترح الهيئة أن من المهم جدًا رؤية دور الإعلام غير المقيد والمزدهر في المساعدة على المشاركة السياسية والحوار، وفي السماح ببث التظلمات على الهواء ووصولها، وفي تسهيل الاستماع إلى تقدير الناس وشكاواها (الفصل السادس). وبتحديد أكبر، يمكن الإعلام، بتشجيع من الحكومات والمجتمع المدني، أن يوصل نهجًا أكثر إيجابية لتعزيز التفاهم، وأن يعالج أسباب المظالم والإذلال الذي يكمن وراء مناشدة الرسائل المتطرفة والتحريضية، وأن يتيح تجاوز الحدود المتحاربة ويعزز التفاهم، وأن يطور فهمًا أكمل للقضايا الدولية. وتشدد الهيئة على أهمية دعم الإعلام في جهده البنّاء؛ ابتداء بعملية تدريب المؤسسات حتى التطبيق الفعلي اليومي للصحافة المسؤولة.

تدرك الهيئة، بالطبع، أن تصوير وسائل الإعلام يمكن أن يؤدي في بعض الأحيان إلى إثارة مشاعر الاستياء لخطاب القوى المضادة، وأن يعزز المظالم والكراهية بدلًا من أن يضعفهما. ويمكن الإعلام أيضًا، بما فيه الكفاية في كثير من الأحيان، أن يبسّط تعقيد المشكلات الحاضرة. وهذه المخاطر موجودة وعلينا أن نحترس منها (الضبط يجب أن يأتي بشكل أساس من الانضباط الداخلي للصحافة الجيدة)، لكن هذه المخاطر لا تقلل بأي حال من أهمية الدور البنّاء لوسائط الإعلام في منح الناس معلومات أكثر وتفهمًا أكبر بعضهم لبعض، وفي جعلهم أيضًا أكثر تسلحًا للتعامل مع المصادر المحتملة للتوتر.

فئة الشباب والتعليم

تطرح الهيئة أن من الصعب المبالغة في أهمية التربية غير الطائفية وغير المنغلقة التي توسع، بدلًا من أن تقلل، الوصول إلى الفهم والمنطق (الفصل السابع). وتعتقد الهيئة، كمسألة في غاية الضرورة، أن الحكومات يجب أن

تعطي أولوية للاستثمار الضروري من أجل تحقيق تعليم أساسي متين على صعيد عالمي. إن اللامساواة في توزيع التعليم يشكّل حدوث الإقصاء، الذي هو مصدر الغبن بحد ذاته ويمكن أيضًا أن يكون مقدمة للعداوة.

يرتبط المحتوى التربوي ارتباطًا مصيريًا بتعزيز الاحترام والتفاهم، أو العكس. المنهاج التربوي محوري في تجسيد القيم والرسائل وإيصالها في شأن العلاقات والتفاهمات بين مجموعات الهوية المتنوعة وعبرها المتعلقة بالمجموعات المتمايزة على أساس الهوية والمرتبطة بأنظمة تقسيمية مختلفة. إن معرفة تاريخ العالم مهمة بشكل خاص للمساعدة في نسخ الهويات العالمية كما هو الحال في تعليم الأطفال عن التراث الثقافي لعدد من الإثنيات، والأعراق، والقوميات، والمجتمعات القبلية والدينية. وبالمثل، فإن تعليم الأطفال عن قيمة التماسك الاجتماعي المبني على المساواة المتبادلة والغرض منه، هو هدف مهم آخر. ويمكن التعليم المخطط جيدًا أن يساعد أيضًا في عملية تكيف المهاجرين إلى البلاد مع مضيفيهم أو مع مجتمعات الوطن الجديد.

إن اهتمام فئة الشباب وانخراطها مهمان ليس في عملية التعليم فحسب، بل أيضًا بسبب مساهمتها في تطوير مجتمع يعيش في وئام. وعلى الرغم من حقيقة أن الاهتمام الذي يتطلبه التعليم يجب أن لا يُهمل أبدًا، سيكون من الخطأ أن نعامل الشباب كأنهم مجرد مستقبلين لخطط التعليم التي أعدّها لهم آخرون، عوضًا عن النظر إليهم بصفتهم كائنات قادرة على التفكير الذي يمكن أن يُثري اهتماماتهم وحماستهم للحياة الاجتماعية بقوة.

تؤكد الهيئة أيضًا الدور الخاص للرياضة التي ينخرط فيها الشباب عادة. ويجب أن تكون الرياضة هواية مفتوحة لجميع الناس، بغض النظر عن العرق، والدين، والجنس أو الظروف الاقتصادية. ومع بعض الترتيبات الاجتماعية لأحداث خاصة، يمكن أن تصبح الرياضة حقيقة حتى لمن لديهم إعاقة. والتدريب الجدي للشخص والتزامه ربح الميداليات لأمته يمكن أن يساعدا في التغلب على انقسامات كثيرة متوقعة في داخل تلك الأمة. إن مباريات الكومنولث، أو ما صار منذ عام 2000 يسمى مباريات شباب الكومنولث، هي سمات مؤسساتية قائمة

حيث يمكن أن تجد خطة تعزيز احترام الآخرين وفهمهم مكانها بيسر، إضافة إلى المساهمة غير المباشرة التي تقوم بها هذه المباريات بشكل تلقائي.

المناهج المتعددة الأطراف

كثيرًا ما استرشدت الهيئة بالتقدير الإيجابي للمحاجات التي استند إليها استخدام المناهج المتعددة الأطراف، وسجلّها المقنع. ويمكن أن تكون للاستشارات متعددة الأطراف والتفاعلات أهمية طاغية، وفائدة في تحديد الوسائل المناسبة من أجل السعي لتحقيق السلام والأمن. تولي الهيئة اهتمامًا بالغًا لدور الكومنولث في وضع تأكيدات بناءة على استخدام النهج المرتكز على الحوار، والمبني على تحقيق الإجماع، والذي قد يقدِّم فوائد أفضل للجميع ويمكنه أيضًا أن يتعامل بفاعلية أكبر مع القضايا المتعلقة بالعنف المبني على الجماعة في عالم اليوم.

الفائدة الممكنة لهذا النهج واسعة النطاق، وربما حتى في كل مكان. إذا أخذنا في الحسبان حالة صعبة بشكل خاص، توصي الهيئة بقوة أن لا يستمر جهد الكومنولث في زيمبابوي فحسب، بل يجب أن تُقوّى. وتعتقد الهيئة أيضًا أن «نهج الكومنولث» في الحوار وفي بناء الإجماع يمكن أن تكون له علاقة بمناطق أخرى من العالم؛ فقد استطاعت حكومات الكومنولث اعتماد مثل هذا النهج في العراق، حيث توجد حاجة هائلة ومتنامية إلى مشاركات متعددة الأطراف، وفي أفغانستان، حيث تمكّن المجتمع الدولي من تقوية المبادرات الشاملة (ويشرح التقرير هذه المسألة ببعض التفصيل)، وفي النزاعات بين إسرائيل وفلسطين، حيث استمرار الحوار ورعاية التفاهم المتبادل مهمان بدرجة بالغة. وتطرح الهيئة أيضًا أن تعددية الأطراف لها علاقة بمحاربة الظلم على المستوى الدولي حيث لم تستفد مناطق ودول من إعادة هيكلة نظام التجارة العالمي، وحيث يستمر انعدام تأثيرها في القرارات المتخذة في هذا الصدد.

تقترح الهيئة أن عمل «المساعي الحميدة» الذي يقوم به الأمين العام

للكومنولث يجب أن يتوسع ليشمل التصدي للمظالم على الصعيد الدولي. وبالتحديد، تحث الهيئة الكومنولث على استخدام تجربتها المهمة في الدفع باتجاه استعمال أكبر للمناهج المتعددة الأطراف في النزاعات الدولية والمواجهات، والعمل مع الأمم المتحدة ومنظمات دولية أخرى.

نحو مسارات مدنية

تطرح الهيئة أن المسارات المدنية لبلوغ السلام، مهمة ويمكنها أن تكون فاعلة. وبمعزل عن السياسات الفردية التي عبِّر عن بعضها ببعض التفصيل في هذا التقرير، توجد حاجة كبيرة عامة إلى فهم مدى تأثير المسارات المدنية ومسوغات استخدامها، علمًا أن الحاجة إلى إجراءات أمنية مشددة لا تقلل، بأي حال، من أهمية التزام تتبع المسارات المدنية.

تطرح الهيئة أن الحاجة ملحة، بشكل خاص، إلى حوار ونقاش أكثر بكثير في شأن غنى هويات الإنسان والطبيعة ذات النتائج العكسية التي تضع الناس في أطر ذات هويات منفصلة بحدة بعضها عن بعض، مرتبطة بالدين أو بالمجتمع المحلي (بغض النظر عن مقدار الوصف الإيجابي لكل دين أو لكل مجتمع محلي). إن أهمية الهوية العالمية للناس تتطلب أيضًا اعترافًا أكبر مما تميل إلى الحصول عليه، من دون إنكار أهمية الهويات الأخرى التي يمكن أن تتعايش بشكل مريح مع نظرة أكثر شمولية.

على المستوى العالمي، ستكون المسارات المدنية مرتبطة حتمًا بالمناهج المتعددة الأطراف عبر الحدود. وعلى المستوى الوطني، يمكن أن يكون تجنّب الانقسامات الطائفية في داخل أمة مكونًا مهمًا جدًا للنهج المدني للسلام، ويجب أن تحظى المزايا الإيجابية لهوية غير مجزأة وطنيًا وسياسيًا باعتراف واضح وصافي النية، كما تعتقد الهيئة. وقد وافق الأمين العام على عدد من المبادرات بالتشاور مع رؤساء حكومات دول الكومنولث، التي نأمل أن تكون مواردها مقبلة. ويمكن هذه المبادرات أن تبني على عمل الكومنولث الحالي، أو أن تكمّل أولويات المنظمات الأخرى، ومن ضمنها تلك المتعلقة

بالأمم المتحدة (مثل توصيات تحالف الحضارات للأمم المتحدة). برنامج العمل هذا يمكن أن يكون خطوة مقبلة مهمة وضرورية لتقرير الهيئة.

إن قبول التنوع، واحترام كل البشر، وفهم غنى وجهات النظر المختلفة التي لدى الناس لها أهمية كبيرة في جميع دول الكومنولث، ولسكانها البالغ عددهم 1.8 مليار نسمة. وهذه القيم مهمة أيضًا لبقية العالم. تُعرض المسارات المدنية للسلام هنا كي تُستخدم في داخل الكومنولث، وفي خارج حدودها أيضًا. لقد نجا الكومنولث وانتعش، على الرغم من العداوات المرتبطة بالتاريخ الكولونيالي السابق، من خلال استخدام عدد من المبادئ الإرشادية بعيدة النظر. وتطرح الهيئة أن لتلك المبادئ أهمية مستمرة اليوم ولمستقبل الكومنولث، وللعالم أجمع أيضًا.

أمارتيا سِنْ

كوامي أنطوني أبيا

جون ألدردايس

نولين هايزر

آدريان كلاركسون

إيلاين سيهواتاني هاورد

كمال حسين

رالستون نتلفورد

وانغاري موتا ماثاي

لوسي ترنبول

جوان روابيومير

الفصل الأول

لماذا الاحترام والتفاهم مهمّان؟

1. أصبح العنف صفة دائمة للحضارة البشرية، والعالم المعاصر ليس استثناء في ما يتعلق بانتشار الاعتداء والغضب في كل مكان. لكن العالم الذي نعيش فيه اليوم يتسم أيضًا بعنف الجماعات المنظم الذي تُستخدم فيه الانقسامات الدينية أو العنصرية أو العرقية أو المناطقية من أجل إثارة العنف، وفي بعض الأحيان الإبادة الجماعية. إن مشاهد الاستهداف والإرهاب المتكررة تجعل الحياة غير آمنة بتاتًا لأولئك الذين يقفون على الجانب «الخطأ» من الخط الفاصل المستهدف. وبالفعل، فإن للعنف العالمي المتمركز حول الانقسامات التي غُذيت بشكل ممنهج حضورًا وازنًا في الحياة المعاصرة. كما أن التقدم في العلوم والتكنولوجيا قد زاد أيضًا إمكان التدمير الكارثي الذي يحدثه مثل هذا العنف، وكما بينت أحداث 11 سبتمبر، فإن التدمير الكارثي لا يحدث حصرًا في سياق الحرب النووية أو الكيماوية أو البيولوجية.

2. أدت خطورة العنف العالمي إلى قيام مبادرات كثيرة هدفت إلى التغلب عليه. ونوقشت الوسائل العسكرية من أجل تأمين السلام نقاشًا مستفيضًا، ونُشرت بسرعة أحيانًا على نطاق واسع، بتبريرات أكثر عقلانية واطلاعًا في بعض الحالات مقارنة بغيرها. وعلى الرغم من ذلك، فإن عنف الجماعات الذي يحركه التحريض الممنهج ليس حصرًا - أو ربما في المقام الأول - تحديًا عسكريًا، فهو يُعزِّز في عالمنا المنقسم بواسطة القبض على عقول الناس وولاءاتهم، واستغلال انتماء أولئك الذين يكونون مقتنعين تمامًا أو بشكل جزئي.

يُحَثّ «المجندون»، حثًا مباشرًا أو غير مباشر، على الالتحاق بالحركات المختلفة التي تعزِّز الأفعال العنيفة ضد المجموعات المستهدفة. وتتأثر أعداد أكبر بكثير من الناس لكن لا يشاركون بأنفسهم في أي من الأفعال العنيفة، ويساهمون عوضًا عن ذلك من خلال توليد مناخ سياسي يصبح فيه حتى الأكثر مسالمة متقبلًا الأفعال الفظيعة من عدم التسامح والقسوة، على أرضية استيعاب بعض الأفكار بضبابية مثل «الرد العادل» أو «الدفاع عن النفس».

3. يمكن أن تكون للمبادرات العسكرية فائدة محدودة في بعض الأحيان، وذلك عندما تكون مبنية على حسن الاطلاع، ومدروسة جيدًا، وتنفَّذ تنفيذًا جيدًا، وعندما تولي انتباهًا للشؤون المتنوعة التي يجب أخذها في الحسبان عند أي استخدام للقوة. لكن كثيرًا من التدخلات لا يصل إلى هذه التمنيات، وكما نطرح في هذا التقرير، لا تتطرق هذه التدخلات إلى الأسباب العميقة للعنف، ويمكنها أن تُوَلِّد نتائج عكسية هائلة أيضًا، بخلق عداوات جديدة وإعطاء مبرر لجماعات العنف المختلفة للتعاون معًا في «مقاومة العدوان».

4. لدى البحث بعمق أكثر في السيرورات المسببة للعنف، وفي الطرائق والوسائل الكفيلة بالتغلب عليها، علينا أن نفحص كيف أن التشويهات، وأيضًا سوء الفهم المشروع، مثل الشعور بالانعزال عن مجتمع «الأغلبية»، يمكن أن يغذّيا التطرف والعنف. وإذا خففنا وطأة الظروف التي تولّد الإحساس بالبؤس والعزل من خلال مبادرات مدنية عوضًا عن العسكرية، وإذا حاولنا استعادة الأسس التي فُقدت، فإن السيرورات الواقعية لتوليد فهم أفضل لها دور كبير لتؤديه. إن تعزيز الاحترام (بالمعنى الواسع للكلمة) بعضنا لبعض يجب أن يكون حيّزه مهمًا جدًا في أي مشروع معقول من أجل إرساء السلام.

5. علينا أن نميّز احترام الأشخاص (متضمنًا ذلك، بالطبع، حقهم في الاحتفاظ بآرائهم) من «احترام أي عقيدة» يؤمن بها أي شخص من دون تمييز. إن احترام الناس لا يتطلب بالضرورة قبول وجهات نظرهم، والإجماع للقيام بشيء مشترك، ونظرًا إلى الآراء المختلفة التي يتبناها الناس، لا يتطلب أن يكون هناك إجماع على الآراء الموضوعية للناس المختلفين.

6. يتطلب الاحترام، في أي حال، فهم وجهات النظر ولماذا جرى اعتمادها، وتقدير الاهتمام المشترك لدى المجموعات المتنوعة في تطوير أهداف مشتركة، وإيجاد أرضية مشتركة، مثل السلام والرفاه. ويقترح هذا النهج مجموعة متنوعة من الإجراءات العملية التي يمكن أن تساهم في توليد مقاومة للعنف بالوسائل الاجتماعية المتوافرة لنا. تستند المسارات المدنية للسلام التي يفحصها هذا التقرير ويعرضها، إلى تقديرٍ أساسٍ لدور الاحترامِ والتفاهم بهذا المعنى الواسع والبنّاء.

ماذا نقصد بالاحترام والتفاهم؟

7. يُستخدم المصطلح «احترام» في الحياة اليومية، بطرائق مختلفة. فيعزى أحيانًا إلى التقدير أو التكريم الذي يمنح للشخصيات الكبيرة تقديرًا لعمرهم الأكبر أو لخبرتهم. هذا يشير إلى الاحترام، ويُستدل منه أن العلاقة غير متساوية على الرغم من ضرورة التمييز بين الاحترام المكتسب (بالخبرة مثلًا) والسلطة الملحوظة (مثل المال أو المنصب). لكن ضمن سياق مشترك بين الثقافات، يُستخدم مصطلح «الاحترام!» بطريقة مختلفة تمامًا، تراه مطلبًا من أجل الحقوق والمعاملة على قدم المساواة. وهنا يجري استخدامه نقيضًا لعدم الاحترام، ومثال على ذلك تجربة اعتقال شخص، أو ممارسة التمييز ضده، أو التعامل معه بطريقة مهينة لسببٍ ما، مثل العرق أو اللون أو الثقافة.

8. يُفترَض منطقيًا في إطار الكومنولث أن تُعرَّف الاحترام بالرجوع إلى الحقوق والمعاملة بالتساوي، لكن من المهم أن توسعه أبعد من قضية العرق ليشمل كيفية التعامل مع الآخرين، مهما يكن عمرهم أو عرقهم أو نوعهم الاجتماعي (Gender) أو جوانب أخرى من هويتهم، بإنصاف وكرامة. إن النظر إلى الاحترام بهذه الطريقة يجعل مصطلح الاحترام يعكس المبادئ التي يمثلها الكومنولث المعاصر: حقوق الإنسان، الحريات، الديمقراطية، المساواة الجندرية، سيادة القانون والثقافة السياسية التي تعزز الشفافية والمساءلة والتنمية الاقتصادية.

9. ويتعلق الاحترام أيضًا بالإقرار بالإنسانية المشتركة، والاستعداد لمعاملة أي شخص بالكرامة التي يستحقها لكونه بشرًا، بغض النظر كم تختلف وجهات نظره عن العالم. إنه يتعلق أكثر بكيفية معاملة أولئك الذي يحتلون مواقع اجتماعية أدنى، كما أنه يتعلق، بالقدر نفسه، بكيفية معاملة أولئك الذين هم أعلى مرتبة. وثمة تمييز مهم يجب أن نقوم به بين احترام الأشخاص (وحقهم في الاحتفاظ بآرائهم) والاحترام من دون تمييز لما يؤمنون به أو للطريقة التي يتصرفون بها. يمكننا أن نظهر الاحترام للآخرين من دون الموافقة على معتقداتهم الخاصة أو أفعالهم.

10. يتضمن التفاهم القدرة على استيعاب ما يقوله شخص ما للوصول إلى جوهر ما يحاولون نقله. يتطلب القيام بذلك الاستعداد لوضع أفكاره الخاصة المسبقة جانبًا من أجل أن يقدِّر وجهات نظرهم عن العالم. لذلك يتضمن التفاهم الاعتراف بأن ثقافة الإنسان الخاصة وتجربته ليستا النموذج الوحيد للتفكير والتصرف.

11. ومثل الاحترام، لا يتضمن التفاهم بالضرورة الموافقة على وجهات النظر أو المعتقدات التي يحملها الآخرون. فالإجماع على عمل شيء مشترك ليس شرطًا مسبقًا بالضرورة لأي إجماع في وجهات النظر، باعتبار ما يحمله الناس من وجهات نظر مختلفة. ولا أحد يجوز له أن يضع فيتو يتطلب إخضاع الجميع لوجهة نظر واحدة، أو معتقد واحد.

12. من المهم أيضًا أن نفهم عدم الاحترام وكيف هو الشعور بعدم الاحترام. عدم الاحترام لفرد ما أو لمجتمع ما يمكن أن يعبَّر عنه ببساطة بالرفض السلبي، بمعنى تجاهل حضورهم وحاجاتهم. والناس الأكثر فقرًا - أولئك المهمشون بسبب فقرهم، ووضعهم الاجتماعي، أو بسبب نوعهم الاجتماعي أو الإعاقة - في أحيان عديدة، تكون قدرتهم هي الأضعف على التحشيد ورفع المطالب. وقد تكون الخدمات المحلية ذات نوعية عالية لكن عندما تقدَّم يجري ذلك بطرائق تجعل النساء الفقيرات يشعرن بأنهن مجرد قطيع، أو أسوأ. وأن تكوني امرأة يمكن أن يعني أن تكوني أكيدة من استلام خدمة دون المستوى،

وأن تُعاملي كأنك غير مرئية، أو لا مكان لك في عيادة، أو في الحافلة، أو في الدكان، وهذا مؤشر إلى عدم الاحترام. وبالمثل قد يُعامل أولئك الذين يوضعون في مواقع سلطة بعدم احترام، ليس بسبب طريقة تصرفهم، لكن ببساطة لأنهم في السلطة. الاحترام يجب أن يكون سمة جميع علاقاتنا.

13. الاحترام والتفاهم مترابطان ترابطًا وثيقًا بحقوق الإنسان التي يعبَّر عنها بالحريات الأربع العظيمة (التحرر من الجوع والمرض والجهل والخوف)، ويمكن أن يضاف إليها التحرر من النزاع العنفي. هذه الحريات لا يجري الحصول عليها من فراغ، فهي تتطلب بالضرورة الأخذ في الحسبان طبيعة القيم الأساس التي تكمن وراء الأفعال الضرورية لتحقيق الحريات.

الاحترام والتفاهم والكومنولث

14. قيم الاحترام والتفاهم هي في قلب ما يمكن أن نسميه «نهج الكومنولث». ويتضمن هذا النهج تقليدًا يقضي بإنجاز الأشياء بالحوار، حيث يكون لكل واحد الحق في الكلام، وفي أن يُسمع، وفي أن يُستشار للوصول إلى وجهة نظر مشتركة. كما يتضمن الإيمان بعملية المشاركة وبقدرة الناس - جميع الناس، بغضّ النظر كم هم متنوعون - على الإفادة من تلك العملية. في الجوهر، نهج الكومنولث هو محاولة للبحث عن إجماع وتثمين للعملية التي أدت إلى الوصول إلى وجهة نظر مشتركة.

15. يمكن أن يُنظر إلى منطلق الحوار باعتباره جزءًا من احترام بعضنا لبعض ومن الرغبة في الوصول إلى تفاهم عوضًا عن نصرٍ أحادي الجانب. في التطبيق العملي، لم يتضمن الحوار بين أعضاء الكومنولث، دائمًا، موافقة. ويصح القول إن النهج الذي استخدم يمكن حتى وصفه بتدبر الأمر من دون منظور مشترك، لكن ببعض المبادئ العامة المتفق عليها والمعترف بها عن كيفية القيام بالأشياء.

16. إن إعلان مبادئ الكومنولث الذي اتُّفق عليه في سنغافورة في عام 1971، ثم جرى تأكيده مرة ثانية في هراري في عام 1991، يعكس الأهمية

التي أولتها دول الكومنولث للاحترام والتفاهم. هذه المبادئ تؤكد وجوب حقوق الإنسان لجميع المواطنين بغضّ النظر عن الجندر والعرق واللون والعقيدة أو المعتقد السياسي، كما تؤكد الحاجة إلى معارضة التحيز العرقي كليًا وأشكال القمع الاجتماعي كافة. إنهم يدركون الحاجة الملحة إلى التنمية الاجتماعية الاقتصادية والحاجة إلى إزالة الفروق بالتدريج في مستويات المعيشة من أجل تحقيق مجتمع دولي أكثر تكافؤًا. وهم يؤكدون أيضًا أهمية المشاركة النشطة للمجتمع المدني، ومنه النساء والفئات الشابة، من خلال العمليات الحرة الديمقراطية.

17. للأفراد والدول في الكومنولث خبرات قيّمة في وضع الاحترام والتفاهم موضع التطبيق، لأنهم أدوا أدوارًا محفزة في المساعدة في تحرير الشعوب من الكولونيالية والتمييز العنصري. تشمل التعددية العرقية والدينية بين أعضاء الكومنولث تنوعًا في المعتقدات والثقافات والمجتمعات التي تتميز بالانقسام بين الأغنياء والفقراء، والأقوياء والذين لا قوة لهم، وبين الطبقة الاجتماعية والطبقة الاقتصادية. وبناء عليه، الكومنولث هو صورة مصغرة عن التحديات التي تجري مواجهتها في عالم محمّل بالنزاع اليوم، وأيضًا عن التصميم على إيجاد حلول، ليس بالمواجهة، بل بالاتفاق على أن لجميع الأطراف حق أساسٌ في أن تشارك بشكل كامل في عمليات الحوار.

18. هناك أيضًا طرائق راسخة للعمل في الكومنولث أثبتت أنها أساسية في وضع الاحترام والتفاهم موضع التطبيق. وتسعى المنظمة إلى الإجماع عوضًا عن جدل المواجهة. إنها تسعى باتجاه تلك المبادئ التي يمكن أن توافق عليها الدول الأعضاء؛ سواء أكانت عن الديمقراطية والحكم الرشيد، وحقوق الإنسان، متضمنة الحقوق الخاصة بالنساء، أم عن أهمية تطوير عدالة اقتصادية. فالمنظمة غير رسمية، ولا تهديدية بأسلوبها، وتميل إلى العمل من خلف الواجهة بطرائق غير معلنة.

19. في الوقت نفسه، يعمل غنى الصلات غير الحكومية في المنظمة، من خلال المجتمع المدني في دول الكومنولث، بعيدًا في المضمون الثقافي الذي يكون فيه لهذه القيم معنى وتطبيق، لتعزيز الاحترام والتفاهم. هناك

أمثلة عملية كثيرة للكيفية التي تساهم بها مؤسسات الكومنولث والجمعيات في النقاش وتبادل وجهات النظر بين أعضاء الدول المختلفة في الهيئة لبناء الاحترام والتفاهم، ومنها الفئات الشابة[1].

20. إن الانتقال من البنى التراتبية إلى الشبكات هو أحد التغيرات الاجتماعية اللافتة التي يُعمل بها حاليًا في أنحاء العالم كلها. وهذا ما نشعر به بشكل كبير في عمل الإنترنت، لكن هذا مجرد مثال واحد من الظاهرة. وقد حاول الكومنولث دائمًا أن يكون متقدمًا في الطليعة في هذا المجال باعتبار أنه عمل دائمًا كشبكة، وبناء عليه، هو ليس تشكيلًا مناسبًا للعلاقات الدولية المستقبلية فحسب، بل له خبرة قيّمة ليشرك بها التشكيلات الدولية والتشكيلات بين الحكومات الأكثر تقليدية.

21. ولكون الأمر كذلك، تدرك الدول الأعضاء ومنظمات الكومنولث كافة التحديات الحقيقية التي واجهها الكومنولث، وسوف يستمر في مواجهتها، للتمسك بمجموعة المبادئ الأساسية، وممارسة هذه القيم والتعامل مع مواقف تتعرض فيها هذه القيم للاستهزاء وتُنتهك. وعلى مر السنوات، كانت هناك اختلافات حتمية في الرؤى في داخل الكومنولث، ليس أقلها في مجال حقوق الإنسان. وكان الانفتاح في النقاش والجدل سببًا في بعض الأحيان لتظهير الانقسامات العميقة في الرؤى، من دون أن يكون قد جرى حلها بالحوار المستفيض.

22. هناك دعم قوي جدًا للديمقراطية البرلمانية في داخل الكومنولث، وهي مستوحاة إلى حد كبير من التجربة البريطانية، لكن تبنى أيضًا على تقاليد الجدل والنقاش في دول أخرى للكومنولث.

---

(1) Royal Commonwealth Society, Submission to the Commonwealth Commission on Respect and Understanding, 16 February, 2007.

تتضمن الأمثلة «مسابقة الكومنولث للمقالة» التي تنظمها الجمعية الملكية للكومنولث (المفتوحة للطلبة كافة في الفئة العمرية 8-18 عامًا)، و«محاكاة الشباب لاجتماع رؤساء حكومات الكومنولث»، و«مشروع نوادي الكومنولث في المدارس الثانوية» التابع وحدات الكومنولث لدراسات السياسات.

23. ما نوع السلوك الذي يتماشى مع مبادئ الكومنولث وقيمه أو لا يتماشى معها؟ الأساس في الكومنولث هو الصراحة والنقاش المفتوح مع حق الجميع في الكلام، وفي أن يُستمع إليهم. ونتيجة ذلك، فأن يُنكَرَ على الناس حرية المشاركة في الحياة العامة في بلادهم، سوف يبقي باستمرار توترًا مع عضوية الكومنولث[2].

24. بينما للكومنولث طرائق لاتخاذ إجراءات ضد السلوك غير المقبول سياسيًا من جانب الحكومات، يُبذل الجهد كله من أجل الحفاظ على قنوات الاتصال مفتوحة (مثلًا، مع دول علِّقت عضويتها). يهدف هذا الإجراء إلى ضمان وجود قنوات لدعم جهد أولئك الذين يناضلون من أجل إعادة تأسيس الممارسة القائمة على الديمقراطية والاحترام في داخل بلدهم.

25. تولّدت نتائج مهمة وإيجابية من نهج الحوار المتبع في الكومنولث في كثير من الدول، حتى إنه حقق إجماعًا بين الانقسامات التي كانت سابقًا راسخة. إن الانتقال السلس لجنوب أفريقيا من التمييز العنصري إلى الديمقراطية الحديثة هو مثال معبّر عن كيفية وضع هذا النهج موضع التطبيق، وليس أقله التأكد من أن المنتقدين السابقين للعقوبات ضد نظام حكم أقلية بيضاء، قد استُحضروا من أجل دعم استراتيجية مشتركة. أيضًا، كما سنشرح لاحقًا في الفقرات 224-226، لو أن أولوية أكبر أعطيت للنهج المدني التفاعلي بعد الهزيمة الأولى لنظام الطالبان في أفغانستان، لكان من الممكن تجنّب بعض المشكلات المترسبة هناك، التي على العكس من ذلك، عادت إلى السطح ونمت بقوة أكثر على مر السنين.

لماذا الاحترام والتفاهم مهمان الآن؟

26. الاحترام والتفاهم يهمان الآن لثلاثة أسباب ذات شأن تجعل هذا التقرير يأتي في الوقت المناسب:

---

(2) Amartya Sen, «Human Rights: Is there a Commonwealth Perspective?» First Commonwealth Lecture, delivered 7 May 1998, London.

• أولها، بسبب انتشار النزاع العنيف وتأثيراته الواسعة المدى في عالم اليوم والاستمرار الواضح للعنف، حتى بينما العالم ينمو ليصبح أكثر تواصلًا بعضه ببعض، أو ربما بسبب ذلك.

• ثانيها، أن الاحترام والتفاهم في العالم أصبحا حاسمين الآن في ظل استمرار الإرهاب والخوف منه.

• وثالثها، كما كنا قد أشرنا سابقًا، أن قدرتنا التكنولوجية المتزايدة على الدمار بأسلحة الحرب المعقدة والقوية التي لم يسبق لها مثيل، تجعل تجنّب الكارثة البيئية والبشرية، كنتيجة للحرب، مسألة ملحة وفي حاجة إلى تفكير عميق.

27. يسبب العنف قلقًا عميقًا، وحتى العنف قليل الحدة على المستوى المجتمعي له آثار هائلة. وقد يمنع الخوف من استمراره الناسَ من الذهاب إلى العمل أو من إرسال أطفالهم إلى المدارس. ويمكن أن تنقطع علاقات الثقة بين الجيران، علاوة على عزل مجموعات هشة مثل كبار السن. وإذا تدخلت الشرطة من دون فهم ما يجري، أو تصرفت بطريقة يفهم منها دعمها طرفًا ضد طرف، سوف يتزايد خطر العنف، مع النظر إلى الشرطة على أنها مجرمة محتملة. في المدى الأبعد، يُدمِّر العنف الاقتصاد بكامله، من خلال تقليص الاستثمار الداخلي مثلًا، ورفع تكلفة العمل التجاري، وانتقال المهارات والمدخرات إلى أولئك الذين في إمكانهم أن يرحلوا.

28. تكلفة النزاع العنيف ضخمة على الفقراء وعلى آفاق تقليص الفقر. فمن أربع وثلاثين دولة هي الأبعد حاليًا عن الوصول إلى أهداف الألفية التنموية (MDG)، هناك 22 دولة تعيش وسط نزاع عنيف، أو خرجت منه. ويقع العبء الأثقل للتبعات عادة على النساء والأطفال الذين يشكلون أغلبية من الناس المقتلعين من أماكنهم. وفي أوقات النزاع العنفي، غالبًا ما تتعرض النساء والفتيات للاغتصاب، والعنف الجنسي، والحمل المفروض بالقوة، إضافة إلى الخطف والأذى.

29. لا مناعة لدى الكومنولث ضد النزاعات المحلية الداخلية أو في ما بين الدول الأعضاء. ففي نهاية عام 2003، كان حوالى نصف النزاعات المسلحة البالغ عددها ثلاثة وعشرون نزاعًا مسلحًا بين الدول وفي داخل الدول حول العالم، في دول الكومنولث. وللكومنولث تجربة واسعة النطاق في التعامل مع النزاعات، والأكثر أهمية، نزع فتيل التوترات التي تولّدها.

30. الاحترام والتفاهم في العالم في وضع حرج الآن بسبب استمرار الإرهاب والخوف من الإرهاب. وكان لبعض الطرائق التي استُخدمت تأثير في إثارة العنف، لا في تقليصه، وفي زيادة الأفعال الإرهابية واستمرارها، كما يبدو. لذا هناك حاجة ماسة إلى نهج جديد، أو على الأقل مكمل.

31. الهيئة مقتنعة بأن بعض الإجراءات المتعلقة بالسياسة التي اتخذت لحماية المواطنين من هجمات إرهابية أخرى كانت محدودة من حيث بنائها المفاهيمي وفاعليتها. وبسبب الأهمية التي توليها الحكومات جميعها لتهديد الإرهاب في وقتنا الحاضر، من المفيد توضيح فهمنا لمحددات المناهج الحالية.

ما يسمى بـ «الحرب على الإرهاب»

32. إن المناهج الحالية لـ «الحرب على الإرهاب» مدعاةٌ للتساؤل على عدد من الجبهات. والأكثر أهمية، وجود ميل إلى مقاربة الإرهاب باعتباره تهديدًا عسكريًا في الأساس، أو تهديدًا أمنيًا يتطلب، بشكل أولي، ردًا عسكريًا وأمنيًا. وحيثما جرى تجريب التدخل العسكري، أو بُذل جهد لتحقيق الديمقراطية بالوسائل العسكرية كما في حالة العراق، واجهت هذه المحاولات الفشل، إن على الصعيد العسكري، أو لجهة القيادات القادرة على المحافظة على الدعم من أجل تدخُّل مستدام بواسطة جماهيرها محليًا أو دوليًا. وفي أفغانستان، حيث كانت المسوغات للتدخل هي إنهاء النظام الذي شكّل واجهة لتهديد المجتمع الدولي وأمنه بسبب دعمه المفرط للإرهاب، قُوِّض الجهد من أجل بناء دستور جديد ديمقراطي - كان من الممكن أن يشكل تحديًا في ظروف أخرى - بسبب تحويل الموارد كافة إلى العراق.

33. اتخذ الرأي العام العالمي موقفًا ضبابيًا من هذا النهج وأثار أسئلة كثيرة، ليس أقلها التساؤل هل الحرب على الإرهاب نفسها تساعد في استمرار مشاعر الظُلامة، وبناء عليه، تساهم بدورها في احتمال حدوث هجمات مستقبلية، وفي الوقت نفسه، في جعل نسبة العنف أعلى في دول مثل أفغانستان، وباكستان، والعراق. كانت هناك نتائج كثيرة غير مقصودة بسبب اعتماد استراتيجية «الحرب على الإرهاب»، ليس أقلها أن جوانب من هذه الاستراتيجية يبدو أنها زادت في تأجيج المشاعر في أنحاء العالم كله. وليس مستغربًا أن يتلاشى الأمل وتسود سخرية متزايدة من الخسارة المحسوسة للقيم الدولية المشتركة والمعايير التي تلتزمها جميع الأمم من حيث المبدأ.

34. قد يُحاجّ أن المحاولات التي جرت في بريطانيا وأميركا للمشاركة في مكافحة الإرهاب من طريق المعتقد والدين، قد كان لها في بعض الأوقات تأثير ضار في تضخيم صوت الإسلاميين المتطرفين، في وقت كانت فيه الأدوار المدنية والسياسية للمسلمين في المجتمع المدني، بما في ذلك ممارسة الديمقراطية، في حاجة إلى تركيز ودعم أكثر بكثير. وتجعل المناهج المبنية على المعتقد من الصعب على المسلمين العلمانيين سياسيًا (الذين لا يتخذون مواقف، أو الذين لا يملكون أي مساندة، أن يتحدثوا في نقاشات مستندة إلى المعتقد) أن يحتجوا ضد الإرهاب والعنف. ومثل أي شخص آخر، يشعرون بأنهم «لا صوت لهم» في وسط النقاشات المستندة إلى المعتقد. لقد جعل التطرف الديني المواطنين، بغضّ النظر عن انتمائهم الديني، أقل قدرة على القيام بأي فعل سياسي مسؤول، أو انتقاد العنف. وهذا التوجه جرت تقويته غالبًا، عوضًا عن إضعافه، بالمحاولات لمكافحة الإرهاب من طريق تجنيد المؤسسات الدينية للطوائف المختلفة إلى «جهة الصواب»، بينما تصبح الفئات الشابة غير مهتمة بالناطقين باسم المؤسسات الدينية الأقدم عندما يصطفون مع الحكومات الغربية. يحتاج المجتمع المدني حاليًا إلى تعزيزه بجميع الموارد الإيجابية التي في متناول اليد. وبينما يمكن الإفادة من الهويات الدينية بطريقة إيجابية جدًا، مثلًا، من خلال وضع مدونة أخلاقية، ومنهج حياة، فإن إعطاء الهويات الدينية وزنًا يفوق الهويات السياسية والاجتماعية يمكن أن يقلل من أهمية الجهد

لتقوية المجتمع المدني وتماسك المجتمع. لقد تم التقليل من شأن الجوانب الغنية ثقافيًا وغير الدينية للتعددية، عند اللحظة الخطأ بالتحديد. وهذا يسهّل على المتطرفين العدوانيين الحصول على الدعم وكسب موطئ قدم في بلدان كثيرة.

35. ثمة خسائر أخرى لاستراتيجية «الحرب على الإرهاب». ففي الدول التي خبرت بنفسها هجمات الإرهابيين، طوِّر تطويرًا كبيرًا نظام عمليات مراقبة إضافي، ومجموعة من القوانين المضادة للإرهاب التي أثارت تساؤلات عن قدرة الدولة على التمسك بسيادة القانون والحقوق الفردية. وتكمن الصعوبة في التوازن الذي على هذه الإجراءات الجديدة والقوانين أن تحققه من أجل أن تتيح للشرطة وأجهزة الأمن العمل على إيجاد المشتبه بهم ومحاكمتهم في جرائم جنائية، وفي الوقت عينه الحفاظ على ضمانات قانونية في نظام العدالة الجنائية تحمي الحريات الفردية وتعتمد سيادة القانون.

36. يكمن تخوف أساس في أن استراتيجية «الحرب على الإرهاب» قد تساعد في زيادة دعم رسائل القمع والإذلال وعدم الاحترام التي تنشرها المجموعات المشاركة في الهجمات الإرهابية. وحيثما تتضمن ردات فعل الدولة تدابير خارجة عن اختصاص القضاء تسمح للحكومة بالالتفاف حول القانون الوطني والدولي، أو إذا اعتبرت ردة الفعل العسكرية غير متناسبة وتفسر كانتقام، أو إذا اعتبرت التدابير المقترحة للتصدي للإرهاب ببساطة غير قابلة للتطبيق في حينه، كل هذا يمكنه، على عكس المبتغى، أن يزيد الدعم الجماهيري لرسالة المتمردين، إن لم يكن لطرائقهم. وقد يمقت الناس استخدام تكتيكات الإرهاب، لكنهم مع ذلك يبدون بعض التعاطف مع أولئك الذين يظهر أنهم أخضعوا لقوانين يرون أنها قاسية وغير ديمقراطية، ونتيجة ذلك يظهرون اهتمامًا بحقوق هؤلاء الناس كوسيلة للتعبير عن معارضتهم التأثيرات التي تتركها الاستراتيجيات المضادة للإرهاب. يمكن الجمهور أن يُستفز بسبب الأثر السيئ للتدابير الأمنية الرسمية المتسرعة، خصوصًا إذا لم تكن متناسبة. ومن جهة أخرى، توافق الهيئة على أهمية التدابير الأمنية الفاعلة وتصادق عليها من أجل منع الجريمة العنيفة، بغضّ النظر عن أسبابها. إن قوة الأمن التي ندعمها بشدة يجب -

في كل حال - أن لا تُخلط بصورة القسوة العشوائية التي تعطي إحساسًا كاذبًا بالأمن.

37. يمكن هجمات الإرهاب التي نفِّذت باسم هوية معينة استقطاب مجتمعات حتمًا. والمحزن أن الاستراتيجيات المضادة للإرهاب الذي تلا 11 أيلول/ سبتمبر قد عززت كرهًا خاصًا للذين يُعتبرون مهاجرين في دول كثيرة، ولا سيما المهاجرين من أصل مسلم[3]. كانت ردة فعل مسلمين كثيرين الانسحاب من النقاش العام، في وقت كانت فيه حاجة إلى أصوات أكثر من المسلمين. وعندما فُرضت التدابير الأمنية الجديدة بسرعة بعد الهجوم الإرهابي، مع غياب الخطاب اللازم، والنقاش والتفاهم، كان ذلك كفيلًا بأن يقسّم الناس أكثر، فيما كان المطلوب مشاركة أكبر.

38. هذه المجتمعات التي كان يُعتقد أنها تشترك بجزء من هويتها مع المعتدين، أصبحت هشّة بشكل خاص. والزيادة في الهجمات العنيفة المرتبطة بالكراهية ضد الأقليات موثقة بالتفصيل في جميع الدول التي مرّت بتجربة الإرهاب. وساعد كثيرًا الجهد لحماية وطمأنة مجتمعات الأقليات التي يسودها شعور حاد بهشاشتها، وقد نفِّذ بواسطة استراتيجيات حفظ النظام والأمن المجتمعي والحوار مع القياديين المجتمعيين. لكن كان من الممكن تخفيف المشكلة بشكل أفضل بردٍ يجمع في الوقت عينه ما بين استشارة الأقليات، والجماعات المحلية والمجتمع المدني في شأن التبعات القريبة المدى والبعيدة المدى لجوانب الفعل المضاد للإرهاب كافة، فيما يجري اتخاذ تدابير أمنية معقولة، مدروسة جدًا، ويجري إيصالها من دون لبس، على الصعيدين الداخلي والخارجي.

39. لا يشبه الإرهاب ببساطة الأشكال الأخرى من العنف. والهيئة ترى الإرهاب تكتيكًا، وجريمة أيضًا. وقد يستخدمه اليسار أو اليمين، والمتطرفون الشعبويون أو القوميون. يتضمن الإرهاب استخدام العنف مع سبق الإصرار

(3) United Nations, Department of Economic and Social Affairs, *Social Dimensions of International Migration* (New York, 2004), 2.

من أجل إنشاء مناخ من الخوف، لكنه يستهدف الوصول إلى هدف أوسع من الضحايا الفوريين، إذ يمكن أن تكون للضحايا أهمية رمزية، لكن الهدف الفعلي ليس الضحية. الهدف هو «السلطة المسؤولة»، وعلى سبيل المثال، حكومة أو مجموعة مسيطرة. إن هدف عديدٍ من المجموعات الإرهابية هو استجرار ردة فعل - أو ردة فعل مبالغ فيها - من السلطة المسؤولة ضد الأعمال الإرهابية وأولئك الذين يرتكبونها. إن هذا الرد «المبالغ فيه» هو ما يجعل ممكنًا، اعتبار الحكومة، أو السلطة المسؤولة، الشرير الأكبر.

40. يُنظر إلى «السلطة المسؤولة» (أو من سبقوها تاريخيًا) كأنها ارتكبت ظلمًا. ويرى الإرهابيون ومن يدعمونهم أنفسهم كأنهم يصححون خطأ رهيبًا: الإذلال، أو عدم احترام شديد مورس عليهم، أو على مجتمعهم أو شعبهم من الحكومة أو الدولة المتسلطة. ويعتقد الإرهابيون ومن يدعمهم أنهم «مقاتلون من أجل الحرية»، يباشرون عملهم بشجاعة كبيرة، ويخاطرون بأنفسهم للقيام بمهمات بطولية، وبالتحديد من أجل تصحيح ذلك الخطأ المرئي.

41. لكن طبيعة هذا الظلم، «الخطأ الرهيب» الذي يطمحون إلى تصويبه، لم تُفحص فحصًا كافيًا. هناك عدم رغبة لفهم أولئك المنخرطين أو عدم اهتمام بالتحدث إليهم، وذلك بسبب الوسائل التي يجري من خلالها التعبير عن مظالمهم. والرغبة على المستوى الوطني لإقصاء مجموعات مصنفة إرهابية من العملية السياسية، بوضعهم في قائمة أعمال الإرهاب وقوانين العقوبات (Terrorism Acts and Criminal Codes) (TACC)، هو النقيض للعملية المستندة إلى الحوار. حين يكون الحوار ممكنًا، وحين يكون الهدف المذكور للإرهابيين هو إنهاء القمع والهوان والحصول على مستوى أعلى من الإدماج في المجتمع وعملياته السياسية؛ فالحوار إذًا أساسٌ، وصعبٌ بقدر ما هو صعب أن تشارك في مكان يكون فيه عنف وخوف. وحيثما لا يكون ذلك ممكنًا، هو حيث يكون هناك هدف عسكري لتدمير المجتمع الديمقراطي أو أسلوب الحياة المستند إلى سيادة القانون. في تلك الحالة، يكون ضروريًا أن نخلق الظروف حيثما توجد قدرة أقل لدى المتطرفين لكسب قلوب الآخرين وعقولهم لقضيتهم:

هذا وحده قد يُنجز بخلق وعي بأنه يمكن أعضاء الأقليات أن يشعروا أنهم جزء من المجتمع ولديهم إحساس بوحدة المصير ضمن مستقبل مشترك.

42. إن الحوار مع المجموعات على طرفي نقيض من المنظور السياسي، أو مع أولئك الذين يحملون أفكارًا يرى معظم الناس أنها بغيضة، هو اختبار استكشافي غير مريح للدول التي مرت بتجربة الإرهاب. وعلى الرغم من ذلك، من الضروري القيام بذلك، أو المحاولة، في حال كانت أهداف الإرهابيين لا تتضمن التدمير الكامل للدولة الديمقراطية التي تحكمها سيادة القانون. ومن دون التقليل من أهمية الصعوبات في تجربة الكومنولث، تبقى الحقيقة الأساس أن الرغبة في الاستماع والمشاركة في حوار لا تساعد فحسب، بل إنها الطريقة الوحيدة من أجل أن تؤدي بأي شكل من أشكال العنف السياسي إلى نهاية مستديمة. كما أن الحوار يتعامل مع الانتقاد بأن السلام غير ممكن من دون التركيز على العدالة.

فهم الأسباب الجذرية يتطلب تحدي النظريات الثقافية المختلفة

43. إن الميل إلى عرض أسباب النزاع أو الإرهاب وكأنها تجد جذورها في صراع الحضارات، قد سيطر على الخيال الشعبي. وتعتقد الهيئة أن مثل هذه النظريات الثقافية ناقص على المستوى المفاهيمي ومسبب للخلاف في التطبيق العملي.

44. لسبب واحد، فإن تقسيم العالم على أساس حضارات منفصلة بعضها عن بعض يفترض أن: أ) الملايين من الأفراد المصنفين ضمن كل مجموعة يُعرّفون أنفسهم بحسب المواصفات التي «أعطيت لهم»، وب) هناك تجانس كافٍ في داخل كل مجموعة محددة لكي يصبح للتصنيف معنى.

45. أيضًا، كانت هذه النظريات الثقافية تميل إلى افتراض أن المجموعات المحددة كذلك سوف تشتبك حتمًا. وترفض الهيئة رفضًا جازمًا هذا الادعاء، ولا يوجد ببساطة دليل كافٍ على ذلك. ملايين من الناس يمكن أن يصوَّروا إما أنهم من «العالم الإسلامي» وإما من «الغرب» (لنأخذهما مثالًا لهذه التصنيفات الثقافية)، لكن لا المسلمين ولا الغربيين يفكرون، أو يتصرفون أو يؤمنون

بشكل أو بشيء موحد. إن للأفراد في هذه المجموعات السكانية المتباينة بحدة انتماءات متعددة، وهويات متعددة. فهناك تباين في المعتقدات، والموقف السياسي، والممارسات الثقافية في داخل كلٍّ من المجموعات السكانية المشار إليها، وأيضًا في ما بينها.

46. أن تكون مسلمًا أو غربيًا لا يمكن أن يكوّن هوية جامعة تقرر كل شيء يؤمن به الشخص أو يكون مهيّأ للإيمان به. إنه لأمر مهم أن لا يُضلَّل قادة العالم بالاعتقاد أن هذه التصنيفات التي تمثّل هذا التنوع الواسع من الناس، قد تلتقط بدقة مشاعر أولئك الذين صنِّفوا على هذا النحو وقيمهم، وعلى نحو أقل بكثير، أن يكون لديها المقدرة على «تفسير» العنف. إن اختصار الناس بمثل هذه التصنيفات لا يشمل إلا جزءًا منهم، عوضًا عن كليّتهم، ويخفق في إدراك الوضع المركب لانتماءاتهم وهوياتهم المختلفة[4].

47. إن القيام بهذا التحدي حاليًا مهم جدًا؛ فالنظريات مثل نظرية «صراع الحضارات» انتشرت بالفعل على نطاق واسع في الصحافة، ووجدت طريقها في مجموعة من الأطر التفسيرية التي تؤثر بدورها في السياسة العامة. وسوف تجد طريقها حتمًا في نقاشات غرف الصف، وفي نهاية المطاف، في الكتب المدرسية، وبذلك فإن تمأسس طريقة في التفكير سوف يؤثر تأثيرًا غير مباشر في الفئات الشابة. بالنسبة إلى الكومنولث، يُفترض أيضًا تجنّب انكفاءات غير مقصودة إلى عقلية تسبب الانقسام[5].

48. لذلك، إن القضايا التي نوقشت في هذا التقرير هي اهتمامات جوهرية تمس حق الدول الشخصي حول العالم. والكومنولث ليس مستثنىً من تلمس النتائج الأكثر حساسية في ما يتعلق بالهوية العرقية والدينية، وتأثيرات الإخفاق في التعامل مع المظالم.

(4) انظر: Amartya Sen, *Reason before Identity: Romanes Lecture 1998* (Oxford University Press, Oxford); Amartya Sen, *Identity and Violence: The Illusion of Destiny* (New York: Norton; London: Penguin, 2006).

(5) انظر: K. A. Appiah, *Cosmopolitanism: Ethics in a World of Strangers* (New York: W.W. Norton & Company, 2006); Appiah, 2004; Sen, *Identity and Violence: The Illusion of Destiny.*

49. يعمل هذا التقرير ضمن هذا الإطار الأوسع الذي يتقدم ويتطور باستمرار، جزئيًا من خلال عمل الحكومات والمنظمات الدولية، لمخاطبة القضايا الأساسية. يجدر في الواقع بأولئك الذين يملكون السلطة الاقتصادية والسياسية أن يقوموا بتطبيق العلاجات المناسبة إلى أقصى درجة ممكنة، حتى مع الفهم الشديد والمشترك للمشكلة. هذا يتطلب جهدًا إضافيًا لضمان ما يلي:

• مسوغات التدخل في حالات خاصة تكون واضحة ويمكن التثبت منها، ولذا يكون في إمكانها أكثر أن تعزز الإجماع (أو شيئًا قريبًا من الإجماع) في شأن ما يجب القيام به.

• يُنظر إلى ردات الفعل المحتملة في إطار الأهداف المتنوعة الموجودة لدى الكومنولث وفي ما بين الحكومات (تتضمن وضع نهاية للنزاع العنيف، تعزيز التنمية، توسيع نطاق الديمقراطية، الاهتمام بالاستمرارية، التعامل مع التطرف وتحديد الأسباب العميقة للتطرف [الراديكالية]).

• يوجد فهم أفضل للتحديات الناشئة، مثلًا، من خلال السياسات التي استهدفت الوصول إلى المجموعات المنعزلة كثيرًا والتي هي مهددة بالسقوط في انعزال أكبر و/ أو في أنواع أخرى من الانعزال.

• تقدِّر الحكومات بشكل خاص محدودياتها، وتعترف تمامًا بالدور الذي يمكن أن يؤديه آخرون (مثل رجال الأعمال، ومؤسسات المجتمع المدني). إن تأثير الجيران من الدول العملاقة أو القوى العظمى، ووسائط الإعلام الجماهيري، ونشاط السوق قد يعني أن دور الحكومات الخاص محدود في جميع الأحوال.

• يجري التنويه بالفجوات المُعتبَرة في المعرفة والفهم، من أجل تأسيس أولويات لعمل المتابعة بين الممارسين وأيضًا بين الباحثين.

50. مع الأخذ في الحسبان المحاذير السالفة الذكر، من المهم أن نتذكر أنه في حالات عدة يوجد أكثر بكثير مما يمكن أن تقوم به الحكومات من أجل تأمين احترام أكبر وتفاهم أكبر. وهذا بالطبع يجب أن لا يتضمن مطلقًا غض النظر

عن التمييز الهائل والإيذاء، بل يمكن أن يتضمن توضيحًا قابلًا للفهم بأن الحكومة نفسها تدعم مبادئ احترام الأفراد بوصفهم بشرًا، وأن لجميع الناس الحق في أن يعامَلوا بعدل وبكرامة. وقد تقوم الحكومة أيضًا بما يلي: أ) اعتماد سياسات تعالج انعدام العدل والظلم الهائل، ب) خلق أنظمة تعطي المواطنين وأولوياتهم دعمًا قويًا، وج) الاعتراف بدور المجتمع الدولي في تشكيل قيم عالمية وتعزيز التغيير الإيجابي.

51. هناك أشياء أخرى لتقوم الحكومات بها، كرسم السياسات في موضوعات كثيرة، لتنمي بين المجموعات أنواع الاتصالات الأساسية من أجل تجنّب العنف. حتى العمليات العسكرية يمكن أن تساهم فيه [تجنّب العنف]. وتوفر الجيوش وقوات الشرطة آلية ذات شأن يستطيع الناس متنوعو الأصول أن يجتمعوا معًا بواسطتها في محيط يدفع الاحترام والتفاهم إلى الأمام. يدخل معظم الناس في القوات المسلحة والشرطة في عمر مبكر، تكون فيه توجهاتهم لا تزال في طور التشكل. والعسكر والشرطة هما مؤسستان، بحكم طبيعتهما، يجب أن تمارسا سيطرة على حيوات الأعضاء العاملين فيهما وتوجهاتهم أكثر من أي مؤسسات حكومية أخرى. فالإصرار الحازم على عدم التمييز، والترقية بغضّ النظر عن العرق، ومبدأ أن على الجميع أن يكونوا مستعدين لأخذ الأوامر من المسؤولين مهما تكن أصولهم الاجتماعية، ينشئ محيطًا يمكن أن يقتنع فيه، غالبًا، حتى أولئك الذين يلتحقون ولديهم توجهات تمييزية بأن يتغيروا إلى الأفضل. إن نهج العسكر في التعامل مع الناس في المجتمعات التي يعملون فيها مهم أيضًا. الآن أكثر من أي وقت مضى، يبدو أن الصراع العسكري الفعلي هو على قلوب الناس وعقولهم، بدلًا من مجرد السيطرة على المناطق، وهذا يتطلب مجموعة مختلفة جدًا من المهارات. أما التزام الرياضة الجدّي في فرق متعددة الأعراق، على المدى البعيد، فقد يكون له تأثيرات جيدة مشابهة.

52. يؤكد علماء النفس الاجتماعي ما يطرحه الفهم الشائع: يميل الناس الذين يعملون معًا في الصغر، في ظروف من المساواة والاعتماد المتبادل بين

الأجناس والأديان والأعراق، إلى أن يكونوا أقل تحيزًا من أولئك الذين لا يعملون معًا[6]. وفي مجال التوظيف أيضًا، قد يؤدي الدخول إلى أماكن العمل الحكومية ووضع قوانين غير تمييزية موضع التنفيذ في القطاع الخاص إلى تطوير صلات بين المجموعات خارج نطاق مكان العمل[7]. وفي إطار السياسة التربوية، يتيح تشجيع الصغار على ألا يقتصروا على الدرس معًا فحسب، بل أن يقوموا بالرياضة معًا، ويشتركوا في الأنشطة المجتمعية، ويؤلفوا الموسيقى، وبكلمات أخرى العمل معًا عبر المجموعات، وتبادل تأثيرات مماثلة مفيدة. في جميع تلك الحالات - أي العسكر، الحكومة والتوظيف في القطاع الخاص، والتعليم - هناك فرص لتشكيل سياسات وتطوير مقترحات عملية ستشجع على الاحترام والتفاهم.

53. على الرغم من أن للآخرين دورًا مهمًا ليؤدوه، يبقى دور الحكومة في دعم الاحترام والتفاهم متميزًا. ولسبب وحيد، وعلى الرغم من العراقيل، غالبًا ما تكون الحكومة في موقع أفضل بكثير لتوفير معايير للمساواة والمعاملة المتساوية. ويمكن الحكومة أيضًا متابعة أهداف استراتيجية للسياسة العامة لمعالجة الإجحاف والظلم. وبالطبع، فإن حكومة خاضعة للمساءلة كما يجب هي في موقع يلزمها أن تكون مسؤولة عن أعمالها وتقاعساتها.

(6) Charles Moskos, «Success Story: Blacks in the Military,» *The Atlantic* 257, no. 5 (1986): 64-72.

(7) Cynthia Estlund, *Working Together: How Workplace Bonds Strengthen a Diverse Democracy* (New York: Oxford University Press, 2003).

الفصل الثاني

طبيعة العنف وتغذيته

طبيعة العنف

54. العنف هو الشكل الأكثر وضوحًا لعدم الاحترام، وهو مؤشر مجتمعي بامتياز بأن الاحترام والتفاهم قد تحطما. يتخذ العنف أشكالًا متعددة، لكن من المفيد تحديد نوعين من التمييز:

• **أولًا**، بين العنف الممارس في مسار الجريمة العادية من أجل الكسب الشخصي (السرقة وما شابه)، والعنف السياسي. وما يقلقنا هو الثاني، لكن الأول مهم أيضًا؛ فالسرقة بحد ذاتها تشير إلى عدم احترام الشخص الذي نُهبت ممتلكاته أو سُرقت، أو لشخصه الذي تأذى. وليست الجريمة العادية والعنف السياسي منفصلين بالضرورة، بل يمكن أن يندمجا: صحيح أن الدافع العام للقادة قد يكون سياسيًا، لكن مؤيديهم ومن يتبعهم قد يتصرفون بمزيج من الدوافع الشخصية (النهب يمكن أن يتم لمكاسب مالية، أو أعمال وحشية أو يستخدم السمعة من أجل تحسين الوضع الشخصي، وقد تُمارس الجريمة المنظمة باعتبارها طريقة لتمويل حركة تمرد غير شرعية أو حملة إرهابية).

• التمييز الثاني الضروري هو بين العنف الذي هو في الأساس جسدي والعنف الذي لا يتضمن أي اتصال جسدي لكن قد تكون له تأثيرات نفسية. العنف من هذا النوع يمكن أن يظهر باعتباره شكلًا صامتًا من عدم الاحترام الشديد. والناس الأكثر فقرًا، أولئك المهمشون بسبب فقرهم، ووضعهم

الاجتماعي، والجندر، العمر أو الإعاقة، قابلون لأن يمروا بهذا الشكل من «عدم الاحترام العنيف» بشكل أقوى. عدم الاحترام هذا يُعبَّر عنه، ببساطة، بالرفض السلبي لوجودهم، أي بمعاملتهم كأنهم غير موجودين أو لا علاقة لهم بالحياة اليومية. وغالبًا ما يكون ذلك واضحًا حيثما تكون اللامساواة منتشرة وممأسسة. عندئذٍ تصبح المعاملة غير الحقة جزءًا من البنية الاجتماعية[1].

• غالبًا ما يتحد العنف الجسدي والعنف النفسي. ونادرًا ما يكون العنف «مجرد» هجوم جسدي يستهدف تسبيب الأذى أو الألم. إنه أيضًا هجوم على شخص الإنسان، على إنسانية الآخرين، على إحساس الفرد والمجتمع أو المؤسسة بقيمتهم الذاتية، وعلى الهوية.

• اغتصاب النساء في الحرب هو مثال متطرف للهجوم على شخص الإنسان. وفي حين أنه فعل جسدي يهدف إلى التسبّب بالألم العقلي والجسدي للنساء كأفراد، هو أيضًا فعل رمزي يعكس الفكرة بأن النساء هن تجسيد للهوية الوطنية والثقافية التي يمكن انتهاكها من خلال أجسادهن. لذلك فإن العنف ضد النساء يروم تدمير الشرف والاحترام الذاتي للمجموعة ككل، ليس في الحاضر فحسب، بل بفعل الدور الخاص للنساء في حمل الجيل القادم؛ فالاغتصاب يرمي إلى تدمير آمال المستقبل.

55. إن أنواع العنف هذه، على الرغم من أهميتها في سياقات عدة، وكما أشرنا مرارًا إلى رمزيتها من نواحٍ مختلفة، يجب تمييزها عن العنف المرتبط بالإرهاب. فضحايا الهجمات الإرهابية يمكن أن يكونوا من مجتمع الإرهابيين أنفسهم، أو حتى جسده أو جسدها بينما الهدف هو السلطة. وتكسر أشكال العنف الإرهابي بطريقة مقصودة القواعد الإنسانية الأساسية

(1) على سبيل المثال، يواجه «الداليت» (Dalits) (تصنيف اجتماعي)، أو «المنبوذون» في الهند، والقبليون (تصنيف قبائلي)، وتصنيفات طبقية أخرى، والمسلمون الفقراء والمحرومون، مستويات شديدة من العزلة في بعض دول جنوب شرق آسيا، من حيث إمكان حصولهم على دخل، وتعليم، وخدمات اجتماعية ومشاركتهم في العمليات السياسية وصنع القرار.

في السلوك، لذلك فهي بانتهاكها الأعراف الاجتماعية كافة، تثير الغضب، ولا يمكن تجاهلها. قد تكون الدوافع معقدة: فمن خلال أفعاله أو أفعالها، قد يحاول الإرهابي فرض مطالب، والتأثير في الرأي العام، أو جذب الانتباه إلى قضيته. ويمكن أن يقوم بفعل مردُّه اليأس. لكن في بعض الحالات، يوجد عامل رمزي أقوى بكثير لا يمكن إنكاره: فالمجموعة الإرهابية «الضعيفة» التنظيم تروم، علاوة على جذب الانتباه إلى الظلم الواقع عليهم، أن تثير السلطات «القوية» عبر ردة فعل مبالغ فيها، الأمر الذي سيدمر مكانتها وسلطتها المعنوية على الصعيدين المحلي والدولي.

56. من هم أكثر حرمانًا يمكنهم حتى أن يستوعبوا حرمانهم ويشعروا بانعدام القيمة. ويمكن حتى، وهُم مدركون وضعهم البالغ الحساسية، أن يُستضعفوا بشدة بسبب ذلك، بشكل خاص، إذا باءت المحاولات السابقة لتغيير وضعهم بالإخفاق. وقد يتحملون وضعهم من دون احتجاج في حال أثارت مطالبتهم بالعدالة قمعًا أكثر سوءًا. هذا الشكل من العنف نادرًا ما يجري الحديث عنه بصوتٍ عالٍ. ويتحمل ملايين من الناس في العالم هذا الوضع كجزء من النظام «الاعتيادي» للأشياء.

57. تعاني النساء، اللواتي يمثلن نصف سكان العالم، بعض أنواع الظلم الأكثر انتهاكًا للحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. ويمكن أن تُغفل الفئات الشابة أيضًا لأن لا قابلية لها لتكوين قيادات لمجتمعاتها المحلية أو صوتًا في مؤسسات هذه المجتمعات. لذا تفتقر هذه الفئة إلى القوة لتشكيل خطط مستقبلية. وحتى عندما تُسمع أصواتهم، لا تجد طريقها للدخول بشكل منهجي في النقاشات الوطنية. وعلى النساء والفئات الشابة أن يناضلن بصلابة واضحة لفرض الاحترام في الدول حيث مبادئ المجتمع الأبوي والأقدمية تحدد من يملك السلطة، وحيث الأذى الذي يعانين منه ينتقل عبر الأجيال. مرة أخرى، هذا العزل ليس عنفًا بالمعنى الجسدي، لكنه انتهاك لحقهم في إسماع صوتهم وحقهم في الاحترام، وهو مكملٌ للظلم والهمجية الفعلية للعنف الجسدي والجنسي، والأذى ضد النساء والشباب من جانب الرجال. هذه قضية لها أولوية في جعل العالم مكانًا أكثر عدلًا.

58. يُغذى العنف السياسي بعوامل نفسية وأيضًا مادية. فمن أجل أن يحافظ على العنف، يجب أن يُصوّر «الطرف الآخر» مختلفًا، وأيضًا مرتبطًا بمعتقدات أو أفعال تعتبر عدائية لطريقة حياة أو لقيم عزيزة. باختصار، يجب أن يُرى الطرف الآخر باعتباره تهديدًا. عندئذٍ، يمكن أن يُصوّر العنف ضد الآخر كأنه حماية لأسلوب الحياة الشخصية. إذا نُظر الى العنف على أنه شكل من أشكال الدفاع عن النفس، فإن الناس العاديين، يصبحون على الأرجح أكثر قبولًا له بوصفه مبررًا أخلاقيًا.

59. هناك خطوة أولى ولها أهميتها على الطريق إلى العنف، ألا وهي اختصار الهويات في نوع واحد. وليس صعبًا أن نرى كيف يساعد ذلك على رسم خطوط المعركة الممكنة. واحدة من الوسائل المستخدمة غالبًا لخلق تضامن في داخل مجموعة مصدرها تصوير المجموعة الخارجية بوصفه مهدِّدًا، طفيليًا أو أسوأ (هو شكل من أشكال جعل الآخر «كبش فداء»). هذه المشاعر تظهر بواسطة إنكار القواسم المشتركة والاهتمامات التي تمتد في داخل المجموعة وبين المجموعات. وفي حالة العنف الطائفي الممنهج والمنظم، يصبح هذا العامل محوريًا لقدرة القادة على جمع مؤيدين واستهداف عدو مشترك واحد.

60. تبرز ملاحظتان عند التفكير في هذه المشكلة بشكلها الأكثر تطرفًا:

• الملاحظة الأولى هي أن الظروف القصوى تُصبَغ بسياسات ترفض المفاوضات. وهذا يعني أن رغبة طرف ما في مناقشة وبحث شكل الظُّلامة التي يشكو منها الطرف الآخر أو شؤونه عمومًا يضعف تمامًا بسبب عدم قدرة كل طرف على رؤية الطرف الآخر بصورة واضحة أو لها قيمة بذاتها. والرؤية الأكثر تطرفًا، بالطبع، هي أن يُصوَّر الطرف الآخر بصفات غير إنسانية، مما يغني عن الحاجة إلى تبرير الكره أو العنف.

• الملاحظة الثانية هي أن الهوية الأحادية البعد تسطيحية أساسًا في غرضها وفي نتائجها. إنها مصممة من أجل تقديم عدسة مطلقة القوة يُرى

العالم من خلالها، على الرغم من أن ذلك ليس لزامًا لكي يُفهم. ولابسو العدسة يُزوّدون بنظرة إلى العالم تشمل الجميع بما يكفي لتحيل الخيار الفردي جانبًا. وفي الظروف القصوى، توفر مصدرًا وفيرًا للتغذية بالكره وبنائه والمحافظة عليه. إن الصعاب التي تواجه التبادلية، أو خطوط التشابك للتعاطف والتضامن، متراكمة بشدة نتيجة ذلك.

سياسات الهوية وتشويهها

61. إن ازدهار سياسات الهوية من هذا النوع ليس أمرًا جديدًا على الإطلاق. فحتى في الأزمنة الحديثة، لا يوجد أي نقص في الصور الإيضاحية الحية لسياسات الهوية القوية التأثير والتي تحركها الكراهية وحدها والحركات التي أنكرت حتى الحد الأدنى من القيم لدى الآخرين. يمكن القول إن الاشتراكية القومية في ألمانيا في منتصف القرن العشرين هي المثال الأفضل من حيث التوثيق. إن تجزئة الهند في أربعينيات القرن العشرين كانت تتميز بالعوامل نفسها، وأبرزها الاختفاء المفاجئ للصلات والروابط في ما بين المجتمعات المحلية (Cross-community)، وإنكارها في حالات كثيرة. وقصة العبودية الأفريقية في «العالم الجديد» (فضلًا عن القصة المماثلة للعمل بالسخرة في أنحاء العالم الإمبريالي الأوروبي كافة)، من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، هي مثال لا يمكن إنكاره لوظيفة الهوية العنصرية الواحدة باعتبارها وسيلة لخلق سيطرة سياسية وثقافية.

62. لكن حتى عندما ننسب هذه الأمثلة الكبيرة إلى جهة واحدة، من المهم، بالقدر نفسه، أن نلاحظ اتجاهًا عامًا إلى تنامي سياسات الهوية أحادية البعد والأصولية، لوحظ هذا في كلا العالمين المتطور والنامي. وكنتيجة جزئية (لردة الفعل السلبية) للعولمة، انتشرت بسرعة أنواع معينة من النزاع المستند إلى الهوية في عدد من المجتمعات شديدة التباين. مثلًا، برزت في السنوات الأخيرة أشكال للهوية الجماعية المثيرة للجدل، والتي تقوم بحملات دعائية تركز على محاربة «قوى العولمة الساعية إلى فرض التجانس». هذه الهويات وجدت أن من

السهل نسبيًا أن تندمج أو أن تجد قضية مشتركة من خلال مخاوف مشتركة ذات علاقة بالسيطرة الاقتصادية للشركات العالمية، والتهديدات المتصلة بالتدهور البيئي، والإخفاق في معالجة الظلم الذي تعانيه المنطقة. وغالبًا ما توحِّد حملات المناهضة لجميع هذه الأشياء الآراء المختلفة، فيدير ذوو هذه الآراء الحملة معًا ضد السلطات التي يعتبرونها «ملامة»، على الرغم من أن هذا الاتحاد يكون، في أحيان كثيرة، لأجل أسباب مناقضة تمامًا.

63. تجري رعاية الهويات الأحادية البعد، بشكل خاص، حيثما يوضع نظام قيم جامع يبرر العداوة لكل واحدة من هذه القوى، أو لجميعها. إن خطاب الحركات المناهضة للعولمة بسيط، والبساطة طريقة جاهزة لتغذية هذا الخطاب، وهذا له تأثيرات قوية ومدهشة في تشكيل الفهم الشائع. وإذا ما أخذنا في الحسبان أن ديناميات الاقتصاد العالمي هي أبعد من أن تُفهم فهمًا كاملًا، يصبح واضحًا أن ردة الفعل هي في الحقيقة عاطفية أكثر مما هي عقلية منطقية، مع اعتبار الخوف الشعور المتضمن السائد. في أي حال، برز شكل مثير للإعجاب للبعد الأحادي للهوية وساهم في اجتذاب الهويات المتعددة التي تعزو القلق والمعارضة إلى عوامل العولمة المختلفة. ومن الصادم أن عددًا من الحركات المناهضة للعولمة كان فاعلًا في القيام بهذا وحده.

المعتقد الديني والهوية

64. كان المعتقد الديني دائمًا قوة وازنة بشكل خاص في بناء الهوية. فالدين غايته الخير، في كثير من الأحيان. وتعزز القيم في جميع الأديان الرئيسة في العالم الحب والتفاهم، والاحترام والأمل، ورعاية القوي للضعيف، والمجتمعات المبنية على العدالة والإنصاف والتعايش والانسجام[2].

---

(2) Charles Clarke, «Global Citizens and Quality International Education: Enlarging the Role of the Commonwealth,» Speech delivered to the Royal Commonwealth Society, 15 November, 2006 (London, 2006).

65. أطلقت مؤسسة الكومنولث مؤخرًا مشروعًا مبتكرًا يدرس المعتقد الديني وعلاقته بالتنمية والتماسك الاجتماعي. يهدف المشروع إلى ما يلي:

• تشجيع النقاش والنهوض بالتعلم في شأن التعاون بين مجموعات تستند إلى المعتقد الديني في التعامل مع التنمية والقضايا الاجتماعية،

• تفحُّص قيمة التعاون بين الأديان وأهميته، ولا سيما الأدوار التي يمكن أن يؤديها هذا التعاون في المساعدة على التعامل مع التنمية والقضايا الاجتماعية.

66. تركّز هذه المبادرة على وجهات نظر (استندت بشكل أساس إلى خلفية غير حكومية) في التعاون ما بين الأديان. وهذه [وجهات النظر] تُستخدم من أجل التحفيز على المزيد من النقاش في شأن إمكان التعاون بين الأديان ونطاقه، بهدف تحقيق تماسك اجتماعي أكبر. تمثّل هذه المبادرة حجر الأساس للاحترام والتفاهم المتبادل عبر الحدود التقليدية.

67. لكن المعتقد الديني استُخدم عبر التاريخ من أجل تعزيز مصالح أولئك الذي يحملون أهدافًا هدّامة. وبوصفه خطابًا يُشرّع العنف، يمتاز المعتقد الديني على الأيديولوجيات السياسية المحض بقدرته على إيجاد المسوغات، والإيحاء، والتمكين، بحيث لا يمكن إثبات خطئه. وهذا بسبب الطبيعة المتسامية للمعتقد («محاربة الظلم هي إرادة الله»)، واستلهام الأمل («الله سوف يفي بوعوده») ومركزية الإيمان (بغضّ النظر كم تسوء الأمور، يبقى الإيمان هو الطريق الصحيح). يمكن أن يصل الأمر بالمؤمنين الخائفين إلى تقبُّل «الأيديولوجيا الدينية للناشطين سياسيًا في العنف»، حتى لو عن غير قصد، والتي تعني في العادة التوفيق في الوقت نفسه ما بين «الإله الواحد المحب والعنيف».

68. يسهل إقناع المؤمنين الخائفين، ممن أقنعهم قادتهم بأن طريقتهم في الحياة أو نظام معتقدهم متفوق على الآخرين، ومن المفترض أنه «مدعوم من الله»، بأن قيمهم الأساسية وطريقة معيشتهم مهددة. وفي حال تم الاقتناع بهذا التهديد، وتولد شعور قوي بالخوف، لا يبقى إلا خطوة صغيرة قبل الاعتقاد بأن

العنف مبرر وأن الحرب يجب أن تُشن من أجل الحفاظ على أسلوب الحياة الذي رُسم لهم. وكما لاحظ عدد من الكتاب، فإن الأفكار العلمانية يمكن أن يُعمل بها بوصفها معتقدًا دينيًا؛ فالقومية المتطرفة والشيوعية والفاشية أدت وظيفتها كمعتقد ديني ما دام الداعمون لها عاطفيين في اعتقادهم ودوافعهم، ومستعدين للموت، لكنهم أيضًا مستعدون لقتل غيرهم من أجل معتقداتهم.

69. لا يزال هذا صالحًا اليوم باعتبار أن القادة يستخدمون تصنيفات العالم للهوية المفردة لكسب الدعم لمهمات أوسع، لها علاقة بمحاولتهم تبوؤ السلطة السياسية والاقتصادية، على الصعيدين الوطني والدولي. إن القادة الذين يعتبرون هدفهم الرئيس هو مناصبهم السياسية سوف يقللون حتمًا من أهمية الهويات والمصالح التي تشترك فيها «مجموعاتهم» مع الآخرين. وهم يعرفون جيدًا أن الناس عندما يتقاربون معًا على أساس الهويات خارج الثنائيات المشكّلة وفقًا لشروط معينة - عندما يلتقون ويتصرفون باعتبارهم نساء، أو شبابًا، أو مواطنين لدولة أو شعبًا يشترك في هوية إقليمية أو موقف سياسي أو اهتمام فني - تتطور تلك العلاقات المبنية على الفهم المتبادل، حتى إن العنف يجري تجنّبه، ويصبح الاحترام السمة التي تميز تفاعلاتهم. فالعنف لا يمكن الإبقاء عليه بين أولئك الذين يفهم ويحترم بعضهم بعضًا، بل يمكن الحفاظ عليه حصرًا من خلال انهيار الاحترام والتفاهم.

70. إنها تلك الهويات المتعددة وهذا النوع من الترابط الذي يمثله الكومنولث والذي يحاول دعمه بأنشطته المختلفة. من منظور الكومنولث، كل أمة هي أولًا وبشكل أساس مجتمع من الأفراد الذين لهم مصادر متعددة لانتماءاتهم وأسس كثيرة للتواصل في ما بينهم.

71. الهدف في المستقبل هو أن نسعى جاهدين، حتى بقوة أشد، من أجل الاعتراف بالصلات ورعايتها ما بين المجموعات، على أساس الهويات المتعددة لتجنب ضغط الاستقطاب الممارس علينا. يمكن أن يُبذل الجهد على مستويات عديدة، ونقطة البداية هي الوعي الشخصي. قد يقاوم كل واحد منّا

النزعة إلى استخدام سياسات الهوية التي تهمل هوياتنا المركبة والمتعددة، وذلك بتوسيع فهمنا لغنى الهوية الإنسانية. أحد أفراد قبائل الهوتو الذي حرَّض على العداوة ضد قبائل التوتسي يمكن أن يُذكّر بأن كليهما رواندیان، وأفريقيان، وربما حتى كيغاليان. يجب أن يطلب منه أن يلحظ، أيضًا، أنهما يشتركان في هوية إنسانية. فعلى الرغم من أن البريطانيين والفرنسيين والألمانيين مزقوا بعضهم بعضًا في فترة 1914-1918، فإنهم يعترفون الآن بعضهم ببعض، مع بعض الصعوبة، بوصفهم مواطنين أوروبيين.

الفصل الثالث

الفقر واللامساواة والإذلال

الفقر واللامساواة وعلاقتهما بالعنف

72. ساد جدل كثير في شأن علاقة الحرمان بالشقاق. واقتُرحت علاقات سببية عديدة وفُحصت لصلتها بأنواع متعددة من النزاعات. بعض الصلات أكثر إقناعًا من غيره، لكن ما من واحدة من هذه الصلات، كما نعتقد، قسرية. وبما أنه حتى الفقر المدقع لا يؤدي بالضرورة وحده إلى العنف، فالأساس أنه حيثما يحدث عنف، لا بد من وجود عوامل إضافية أخرى تؤدي دورًا في ذلك.

73. يحتاج الفقر إلى أن يتم التعامل معه بحد ذاته، وعلى أساس الالتزام الذي تعهدت به الدول منفردة والمجتمع الدولي لتحقيق أهداف الألفية الإنمائية (MDG). لكن الفقر وحده لا يجعل الناس تلقائيًا عنيفين، ولا يقود، بشكل خاص، إلى الإرهاب.

74. من أجل توضيح أن الفقر نادرًا ما يكون مسؤولًا وحده عن عنف الجماعات، من المفيد أن نأخذ في الحسبان الروابط بين هذه الظواهر في شمال إيرلندا وبريطانيا وكالكوتا (كولكاتا)، في الهند. الجهد الناجح للحد من اللامساواة الاقتصادية في شمال إيرلندا بين عامي 1970 و1980 لم يؤثر كثيرًا في مسار الاضطرابات في المدى القريب. وعلى الرغم من أنها ساعدت في تهدئة بعض المظالم الكاثوليكية على الجبهتين الاقتصادية والاجتماعية،

إلا أن هذه السياسات قامت بالقليل لمعالجة المظالم السياسية بشكل أساس للكاثوليكيين/ الوطنيين، والمتصلة بالتحديد بشرعية الدولة نفسها. وفي الوقت نفسه، اعتدت على البروتستانتيين/ الموالين (بعضهم كان أيضًا محرومًا) الذين شعروا بأن البريطانيين خانوهم في الخفاء.

75. في بريطانيا، على سبيل المثال، لم يؤد فتح فرص اقتصادية جديدة في المناطق المحرومة اقتصاديًا إلى تهدئة مشاعر الاغتراب والظُّلامة بين الشباب السود في المناطق المدينية الداخلية، هؤلاء الذين لا سبيل لهم إلى الالتحاق بالمدارس الجيدة وبشبكات التوظيف. وهم معرضون للتوقيف والتفتيش من شرطة لندن بنسبة تزيد خمسة أضعاف على ما هو الحال مع الشباب البيض[1]. وهنا، تكون المشكلة الحقيقية هي إدراك التمييز وعدم الاحترام اللذين تعتمدهما سياسة الشرطة لحفظ النظام، واللذين لا يمكن التغلب عليهما من دون تأسيس شراكة حقيقية بين المجتمع المحلي وأولئك الذين يضبطون النظام في المجتمع المحلي.

76. كالكوتا هي واحدة من أكثر المدن فقرًا في الهند، وحتى في العالم. وعلى الرغم من ذلك، فإن معدل الجريمة فيها منخفض جدًا، وهو الأقل بالنسبة إلى أي مدينة هندية. هذا ينطبق على جرائم القتل وأيضًا على الجرائم الأخرى كلها. وينطبق كذلك على الجرائم التي تُرتكب ضد النساء، والتي يُعتبر تكرار حدوثها أدنى بكثير جدًا مما هو في أي مدينة هندية[2].

77. ليست الجريمة موضوعًا سهلًا يمكن شرحه بالتعميمات الإمبيريقية، لكن ثمة صلات ممكنة. إحداها أن كالكوتا استفادت من تاريخها العريق بوصفها مدينة مختلطة تمامًا، لم تُفصل فيها الضواحي على أساس خطوط عرقية أو دينية، كما حصل في أماكن أخرى. هناك أيضًا تأثيرات

---

(1) F. Stewart, «Policies towards Horizontal Inequalities in Post-Conflict Reconstruction,» *Centre for Research on Inequality, Human Security and Ethnicity (CRISE), Working Paper 7*. (Queen Elizabeth House, University of Oxford, 2005).

(2) National Crime Records Bureau, *Crime in India 2005* (Delhi: Government of India, 2006), Table 1.8.

اجتماعية أخرى، مثل الدور الضخم للنشاطات الثقافية المشتركة في المدينة، التي تساهم في تحشيد المقيمين فيها باتجاهات تعاونية.

78. قد تؤدي أيضًا السياسات التي اعتمدتها المدينة دورًا. فتركيز السياسات التي تميل إلى اليسار، في كالكوتا وغرب البنغال، على الحرمان المرتبط بالطبقة، وفي حقبة أكثر حداثة بالجندر، جعل استغلال الفروقات الدينية أمرًا أكثر صعوبة للتحريض على أعمال الشغب ضد الأقليات، كما حدث في أماكن أخرى؛ على سبيل المثال ضد المسلمين والسيخ في بومباي وأحمد أباد. لذلك، تُعتبر العوامل الثقافية والاجتماعية (وفي بعض الأحيان غياب مثل هذه العوامل)، وأيضًا ملامح الاقتصاد السياسي، مهمة في فهم العنف في العالم اليوم. فهي تتطلب عناية متكاملة لندرة إمكان فصل بعضها عن بعض.

79. الأكثر مباشرة من العلاقة بين الفقر والعنف هي الروابط بين اللامساواة، ولا سيما اللامساواة السياسية، والعنف. هناك عدد من الأسباب التي تفسر لماذا يمكن ربط التهميش الاقتصادي الاجتماعي أو الحرمان بأنماط من النزاع العنفي. تتعلق هذه [الأسباب] في الأحوال الطبيعية بأوجه اللامساواة المادية المدرَكة ذاتيًّا والمقيسة موضوعيًّا، وبالشعور بالظلم في وجه هذه التفاوتات، علاوة على مزيج من عوامل أخرى خاصة بكل ظرف.

80. قد يتفاعل الحرمان الموضوعي والمحسوس أيضًا معًا. لذا، فإن مجموعة واحدة لديها، أو يُتصور أن لديها، الأرض، والوظائف مجزية الدخل، والخدمات الأفضل، أما المجموعة الأخرى فلها إمكان محدود جدًا للوصول إلى ذلك كله. بكلمات أخرى نحن بحاجة إلى تقويم التكافؤ أو عدم التكافؤ في بُنية الفرص المتوافرة، وإلى التمعن طويلًا في المدى الذي يكون فيه الحق في الوصول والنتائج، مفتوحًا أمام المجموعات الأكثر هشاشة، أو في مدى إمكان أن يصبح كذلك. قد يكون لأنماط الحرمان علاقة بالتمييز (في الوظائف، الإسكان)، وبالمواقف الثقافية واللامساواة البنيوية المؤسسة منذ زمن طويل (العنصرية، إرث الهجرة، غياب الوضع الشرعي للمواطنة)، وبالغياب الواضح

لنشاط الحكومة في سَن السياسات والقوانين لتصحيح هذه التفاوتات، أو الأسباب الأخرى.

مسوغات التدخل

81. ما يهم من منظور السياسة العامة هو الحد الذي لا يزال يمكن عنده معالجة اللامساواة من خلال توسيع نطاق بنى الفرص، ولا سيما حيثما تكون لعدم المساواة جذور ترسخت عميقًا مع مرور الوقت.

82. في هذه الظروف، على الدولة أن تتدخل تدخلًا فاعلًا، لتمثّل مصالح الذين لا يمكنهم الدفاع عن أنفسهم وترعاها.

83. عندما تكون اللامساواة الاجتماعية الاقتصادية واضحة على نطاق واسع، ومعترفًا بوجودها، ومربوطة ببنى الفرص، عندئذٍ قد تستهدف التدخلات تصحيح التشوهات أو تقديم نتيجة أكثر إنصافًا. مثلًا، استبعاد جماعة معينة من فرص محددة في سوق العمل والذي قد يمارس بشكل يومي، يعتبر تمييزًا. ويمكن السياسة العامة المستنيرة أن تصحح الاستخدام الحالي السيئ للعمل، والذي يُضر بمن يقع عليه التمييز وأيضًا بالمجتمع ككل، الذي يتضرر بدوره بسبب عدم الإنصاف واللامساواة البنيوية.

84. تكمن المصلحة العامة، بشكل عام، في التغلب على الممارسات التمييزية والإقصائية من أجل تقديم فوائد للجماعة التي أُقصيت أو اضطُهدت (فائدة المساعدة للجماعة قابلة للجدل) ولجميع الجماعات (مجبرة بمصالح الجميع). في الوقت نفسه، يجب الاهتمام بمعالجة فقدان بعض المكتسبات الآني للجماعات المستفيدة، ربما باستخدام وسائل تخفيف الصدمة والتوضيح والحوار المنفتحين، بوصفها إجراء احترازيًا كي لا تحدث ردة فعل غير مرغوب فيها.

85. المهمة الأولى في التصدي للامساواة هي الاعتراف بأنها موجودة. ومن الضروري أن يكون هناك فهم مشترك للمشكلة.

اللامساواة المضمنة يمكن أن تكون أصعب للمعالجة

86. اللامساواة ناتجٌ تترتب عنه أشياء أخرى عندما يُدرك بوضوح، ويُربط بعوامل أخرى. فالقياسات الاقتصادية البحتة للامساواة، مثل درجة التفاوت بين المجموعات الأكثر غنى والمجموعات الأكثر فقرًا في المجتمع، تؤدي إلى تفاقم الوضع عندما لا يكون تمثيل الأقليات متناسبًا مع تمثيلهم في أدنى السلم الاقتصادي. مثلًا، عندما يكون لدى الناس في المجموعات الأدنى من حيث الدخل خصائص غير اقتصادية مختلفة، من حيث العرق (مثل كونهم سودًا عوضًا عن بيض)، أو وضع الهجرة (مثل أن يكونوا قادمين جددًا بدلًا من مقيمين قدامى)، فإن أهمية اللامساواة الاقتصادية سوف تتضاعف إلى حد كبير من خلال اقترانها بالعوامل الأخرى.

87. في كثير من الأحيان، تعكس حالة الاضطراب التأثيرات الأقوى لهذه الازدواجية (على سبيل المثال، حالة الفوضى في ضواحي باريس، فرنسا والمدن الأخرى في خريف 2005). الدرجة نفسها من اللامساواة الاقتصادية يمكن أن تكون أكثر تفجرًا في حالة معينة أكثر من أخرى، عندما تُمزج بالتفاوتات في السمات الاجتماعية الأخرى. وفي إطار عالمي، يعني انتشار الصحون اللاقطة للأقمار الصناعية أن للشعوب في كثير من الأمم الأكثر فقرًا نافذة تطل على حيوات أولئك الذين هم في البلدان الأكثر غنى، وترى الفرق.

88. عندما ينفجر العنف، قد يبدو كما لو أنه أخطأ الهدف عندما لا يكون موجهًا نحو المستهدَفين الواضحين (الحكومة، الشركات العالمية مثل شركات التعدين والنفط)، بل نحو جماعات أخرى في المنطقة؛ أولئك الذين هم فقراء أيضًا لكن ينظر إليهم باعتبارهم مستفيدين ضمن إطار محلي وإن كان بشكل هامشي فحسب، من وجود الشركات العالمية. يمكن أن يكون للمعارك من أجل «فتات المائدة» جذور تاريخية؛ فالتوزيع غير المتساوي اليوم للثروة المعدنية يعيد إشعال ذاكرة اختلال التوازنات. وحيثما يكون الناس جزءًا من جماعات فرعية معينة لها إمكان أكبر في الوصول إلى ذلك «الفتات»، يجب أن تتقلص اللامساواة هذه بفتح الفرص التربوية والمهنية.

89. المفارقة هي أن إدراك اللامساواة يمكن لمسه أيضًا من الأقوياء نسبيًا، لا من الضعفاء نسبيًا فحسب. في هذه الحالة، يكمن السبب بشكل عام في الخوف من فقدان السيطرة على مورد كان في المستطاع الوصول إليه في السابق، أو بسبب شعورهم بأحقيتهم بهذا المورد.

90. هذا يفسر عداء المقيمين نحو المهاجرين الواصلين حديثًا والذين ينتمون إلى الطبقة الاقتصادية نفسها («إنهم يريدون وظائفنا»)، من دون التطرق إلى وضع المهاجرين المستقرين الذين يواجهون منافسة جديدة على الموارد الشحيحة. وليس غريبًا أن يكون هذا العداء أكبر في حال كان المقيمون أنفسهم فقراء، وكان عليهم النضال من أجل الحصول على موطئ قدم في سوق الوظائف. وهم لن يتخلوا بالطبع عن هذا الوضع الهش من أجل أناس سوف يقبلون حتى بأجور أقل. إنهم ينظرون إلى خسارتهم الشخصية وكأنها نتيجة مباشرة يسببها الربح الذي يحققه الآخرون.

91. يترافق العنف إذًا والخوف من فقدان شيء ما في أكثر الأحيان. ويقع عنف الدولة أيضًا ضمن هذا النوع. عندما تؤمر الشرطة أو الجيش بإطلاق النار على حشود من المتظاهرين، يكون السبب غالبًا أن الحكومة في وضع دفاعي. العنف أداتي إذًا؛ فهو يُستخدم من أجل قمع المعارضة لكن أيضًا من أجل الإيحاء بالخوف، كل ذلك باسم استعادة السيطرة السياسية أو المحافظة عليها.

92. على الرغم من ذلك، فإن اللامساواة، حتى الشديدة منها، لا تؤدي بالضرورة إلى العنف، ولا حتى إلى الاحتجاج. توجد تفاوتات كبيرة بين جماعات تسكن معًا ولا تحدث بينها مواجهات. وربما يعزى ذلك إلى أن اللامساواة قد صارت جزءًا منها فأصبحت الأقلية تشعر بأن وضعها «طبيعي». كما قد يكون السبب أنهم يعون انعدام المساواة لكن لا يجعلون منها قضية؛ ربما لأنهم مهاجرون ومهيأون لتحمل المشاق، ويأملون بتحسن الوضع في المستقبل لمصلحة أطفالهم (الذين يمكن أن يخزّنوا المشكلات التي تبرز في الجيلين الثاني والثالث للعائلات المهاجرة).

93. قد يكون غياب الاحتجاج أيضًا لأسباب عملية؛ فإذا ما جُرب

الاحتجاج في السابق، وقوبل برد عنيف، فإن تحمُّل اللامساواة قد يكون عندئذٍ خيارًا. وربما يمنح النمو في الاقتصاد وآفاق التقدم التربوي الأملَ. وإذا كانت جماعة الأقلية تستطيع أن تتقدم بدعوى بالآليات المتوافرة للشكوى والإنصاف - إذا كانت العملية السياسية تتيح الاحتجاج، والمحاكم تعمل بشكل جيد - فإن اللامساواة يمكن تحملها على أساس الاعتقاد بأن لهم الحق في أن يُستمع إليهم، وأن وضعهم سيتحسن على المدى الأبعد. الهيئة مهتمة بتأكيد أن اللامساواة المادية الموضوعية لا يعني أن يحتج الناس تلقائيًا، علاوة على أن يختاروا العنف.

مولّدات العنف سوف تختلف

94. إذًا ما هي العوامل الإضافية التي تكون حاضرة عادة عندما يحدث النزاع العنفي؟ وكيف يُستدام العنف، نظرًا إلى تأثيراته الهدامة في الأفراد والمجتمعات والأمم؟ كنا ألمحنا إلى عنصر واحد غالبًا ما يكون متناسبًا، ألا وهو الطريقة التي تُختزل فيها الهويات المتنوعة إلى بُعد واحد، والذي يُفهم في ما بعد ويقدَّم على أنه الصدام الأساس بين القيم، والحضارات والنظم العقائدية.

95. باختصار، من خلال التحريض وحده يمكن أن تفسَّر الظُّلامة (مثلًا في شأن عدم التكافؤ في توزيع الموارد) باعتبارها هجومًا على هوية الجماعة. الرسالة التي يجب أن تُنقل وتترسخ هي: أ) «هذا يحدث لأنكم أكراد أو شيعة، كاثوليكيون أو بروتستانتيون، أو كوسوفيون»، أو من أي جماعة أخرى، ب) «لا توجد طريقة للدفاع عما هو لنا (واحترامنا لذواتنا) غير اللجوء إلى العنف».

96. أحد موروثات الاستعمار هو أنه ترك خلفه سكانًا في وضع كانوا مهيئين فيه لأن يعرَّفوا من حيث هوياتهم المتفردة، وبناء عليه فإن قبولهم خطابًا كهذا محتمل. في كثير من دول ما بعد الاستعمار، أصبحت الهويات المتعلقة بالعرق والإثنية والهويات الدينية سياسيًا وقانونيًا ممأسسة من خلال عمليات مقصودة ومخططة لإنهاء الاستعمار وبناء الأمة، فنتج منها سكان متباينون

بوضوح ضمن تصنيفات محددة الهوية، وأيضًا فروقات مبسطة بين الأكثرية والأقلية.

97. في كثير من هذه الدول، كان امتياز الجماعة وحقوقها راسخين رسميًا في المؤسسات وعمليات الدولة - الأمة وممارساتها، وسوف يستمران. وتعيد تاليًا إنتاج تفاوتات مضاعفة بين الجماعات التي صنِّفت وأديرت بوصفها مختلفة وغير متساوية. في مثل هذه الظروف، يسهل تحشيد الجماعة حول الخطوط الفاصلة للهوية.

لكن الإذلال قد يرتبط أيضًا بعدم الاحترام والعنف

98. يمكن مشاعر الذل أن تساهم أيضًا بقوة بالإحساس بانعدام الاحترام والظُلامة. يولد الإذلال من المعاملة السيئة الحاضرة أو التي خزنتها الذاكرة، مرة تلو الأخرى عبر العقود وحتى عبر القرون، لذلك، تنحسر مع الوقت طاقة الناس واحترامهم لذواتهم. لا يؤخذ إحساسهم بما هو صحيح في الحسبان، ويُترَكون فريسة شعور بالظلم الحاد. العنف المؤسس على شعور الإذلال والخزي يمكن المرور به باعتباره شكلًا انتقاميًا، شكلًا من الدفاع بالقتال من أجل تقدير الذات، وتعبيرًا عن جدارتها بالاحترام.

99. هناك أمثلة كثيرة للكيفية التي فُرض فيها الإذلال على الشعوب والمجتمعات وكيف أدى ذلك إلى عمل انتقامي (وإن لم يكن دائمًا).

100. طرحت الهيئة المستقلة للعناية بأفريقيا التي رأسها ألبرت تيفودجري (Albert Tevoedjre) في تقريرها لعام 2003 أن أفريقيا هي «قارة الإذلال». وأخذت الهيئة المستقلة في الحسبان العوامل التي أدت إلى إخضاعها وتحقيرها في خلال الألفية السابقة. وهذه تتضمن تجارة العبيد عبر الأطلسي، وعملية الاستعمار وتجزئة القارة قبل الحقبة الاستعمارية وفي أثنائها، والتخفيض الممنهج من قيمة الموارد البشرية والطبيعية عبر نظام تبادل غير منصف، وتصوير أفريقيا في وسائط الإعلام على أنها قارة فقر. وبينما يعتبر تقرير تيفودجري أن الإشارة الى الأسباب الكامنة شيء أساس، يرى التقرير أيضًا أن كسب «الحرب

ضد الإذلال» هو المهمة الأساس لأفريقيا في هذه الألفية، بواسطة المؤسسات، وبناء القدرات والتمكين(3).

101. إن قصص الإذلال المعبَّر عنها والواردة في كثير من المجتمعات الإسلامية تمثل موضوعًا مهمًا للمعلقين الذين يحللون الأسباب العميقة لتنامي الحماسة الإسلامية المتطرفة. بعضهم مضى أبعد من ذلك وسعى إلى شرح التوترات الحاضرة بمفردات الإذلال الجماعي الذي قاسته الإمبراطوريات الإسلامية التي بدأت بالأفول منذ القرن السادس عشر حتى الآن. حتى المراقبون الأكثر استخفافًا يقرّون بالديناميات المعاصرة للإسلام العالمي حيث يتعرض معنى الشرف أو الكرامة لدى المسلمين للهجوم. إن تحسس الإذلال على أيدي الحكومات الغربية وجماهيرها التي تحمل عقلية علمانية هو عامل جوهري في تتابع الأحداث.

102. على النمط نفسه، صار استعداد الفلسطينيين للانخراط بـ «رد انتقامي» عنيف ضد إسرائيل أمرًا ممكنًا، من خلال الإحساس بالإذلال الذي سبّبه الاقتلاع، والإحساس بالاضطهاد وفقدان الوطن.

103. كذلك قد يشعر السكان المهاجرون الذين انتقلوا من موطنهم الأصلي إما برغبتهم الشخصية، وإما باقتلاع قسري أو لعدم قدرتهم على تحمّل الفقر والتمييز في المعاملة، بمشاعر الإذلال فرديًا أو جماعيًا. يمكن أن يحدث هذا مهما تكن الرحلة قصيرة. يميل المهاجرون الذين لم يُمنحوا حقوق المواطنة والذين لهم هوية «اللاأشخاص»، الذين يشعرون أن طاقتهم وحماستهم ومهاراتهم تُهمل باستمرار عندما يحاولون البحث عن عمل أو سكن، أو الذين أجبروا من خلال الاتجار بالأشخاص على أعمال مهينة مثل الدعارة، إلى الشعور بالمهانة كجماعة وعلى المستوى الفردي على حد سواء. هذا الإذلال قد لا يكشف عن نفسه أبدًا بطريقة علنية، ومن الممكن أن لا تكون هناك فرصة للقيام بذلك من دون تبعات. في مواقف أخرى، قد

(3) Albert Tevoedjre, *Winning the War Against Humiliation*, Report of the Independent Commission on Africa and the challenges of the Third Millennium (Cotonou: UNDP, 2002).

يوقد الإذلال الشعور بالظُلامة على مستوى تأسيسي، وقد ينتهي الأمر برد انتقامي عنيف في الأجيال اللاحقة إذا ما توافرت ظروف أخرى.

104. كما الفقر واللامساواة، قد تسكن مشاعر الإذلال وحتى في بعض الأحيان قد تُشفى على مر الزمن. لا شيء من هذه المشاعر غير قابل للتغيير. وتتجلى إحدى الطرائق - وقد حدث هذا تاريخيًا في حالة الإذلال - من خلال برامج «المصالحة» والإدماج بعد حقبات طويلة من النزاع. وهذا مشروح أدناه في سياق تحليل وتفكيك حكايات الظُلامة وإعادة بناء العلاقات على أساس مختلف.

الفصل الرابع

التاريخ والظُلامة والنزاع

غالبًا ما يكون التاريخ والظُلامة متشابكين

105. إن دور الظلم الذي تحفظه الذاكرة مهمٌ في تبرير النزاعات الكثيرة والحفاظ عليها، بما فيه ذلك الظلم الذي حدث منذ عقود، وحتى قبل قرون. بعض العمليات المحددة التي يجري تذكرها، والأكثر وضوحًا هي الاستعمار، والعبودية، والهولوكست، وتترك تراكمًا من المظالم القابلة للاشتعال. تحتاج مشاعر الظُلامة المرتبطة بمعنى الظلم التاريخي إلى أن تُفهم، ليس بمعنى ما حدث فعلًا (وهذا مفتوح باستمرار على التأويل) لكن من حيث ما يعنيه اليوم. مع ذلك، تتخذ الأحداث التي مضى عليها زمن طويل أهمية من تفسيرها في ضوء الظروف الحاضرة. وهذه تشكّل خلفية تكتسب عندها أي ظلامة تحدث للتو أهمية أكبر.

106. هناك أمثلة مختلفة للمظالم التاريخية المختزنة، والتي تحدد شكل الطريقة التي يمكن من خلالها أن يبقى النزاع المحتمل حيًا. لاحظت الهيئة أن المجاعة الإيرلندية في القرن التاسع عشر لم تمثّل الحرمان والمشقة فحسب، بل استحضرت أيضًا مشاعر عميقة الجذور من الغضب والازدراء الذي لا يزال حاضرًا في عقول الأجيال اللاحقة التي لم تكن لتتأثر مباشرة (وأحيانًا يكون التأثير أقوى بكثير بين المهاجرين منه عند الذين لم يرحلوا).

107. في سياق السلام وتشارك السلطة في إيرلندا الشمالية اليوم، نجد السياسة الحكيمة والعاقلة التي ساعد في تحقيقها فهم وتحسُّس المظالم المستمرة في اللاوعي من الأطراف كافة لمشكلة المعتقد المتأصلة. إن حدثًا مصيريًا مثل معركة بوين (Boyne)، يجري تذكره بوصفه «مبررًا» للعداوة بين الطرفين المتنازعين منذ تقسيم الجزيرة.

108. كان القادة المعاصرون يعون الحاجة ليس إلى تأسيس بنى سياسية جديدة فحسب، بل أيضًا إلى معالجة هذا النوع من التبرير ومكافحته. وقد استنتج القادة أن الإخفاق في القيام بذلك، يمكن أن ينتج منه السلام الذي كان، ولا يمكن أبدًا إلا أن يكون، سطحيًا فحسب. وما كان مطلوبًا عمله في المقابل، هو شيء أكثر طموحًا يعترف بخطأ الطريقة المتدرجة وغير الناقدة التي عوملت بها مظالم الماضي لتتقيح ولتخلق إمكان إشعال العداوة اليوم.

روايات المظالم يمكن أن تكون سريعة الانتشار

109. الكيفية التي تُروى فيها حكايات المظالم للأبناء وللمجتمع وللآخرين، وكيف يعاد إنتاجها في ما بعد في الكتب المدرسية (وبذلك تُمأسِس للأجيال القادمة من الفئات الشابة) هي عامل مهم في استبقاء النزاعات، وحتى في تصعيدها، بما فيها النزاعات العنفية.

110. مثل هذه الحكايات يربط أعضاء مجتمع معًا ويوحدهم حول قضية مشتركة، وقد يكون ذلك إيجابيًا. لكن يمكنه أن يؤدي أيضًا إلى تصوير «الآخر» تصويرًا سلبيًا كليًا، ويجعل مشاعر الكره وانعدام الثقة شيئًا «عاديًا»، وفي الحالات المتطرفة، قد يُستخدم من أجل تبرير العنف. لذا، يكون مهمًا أن ننمي لدى جميع الجماعات في داخل المجتمع الشعور بمصير مشترك يمكن أن يسمو على المظالم والإذلال اللذين طال الشعور بهما.

111. لقد كان السرد الخاص الذي أنشئ في شأن ظُلامة المسلمين العالمي هو الأقوى في السنوات الأخيرة. تستمر معاناة المسلمين، بحسب الحكايات، لمجرد أن العالم لا يأبه، أو لأن غير المسلمين الأقوياء، خصوصًا

في الغرب، يشعرون بالكره للمسلمين أو ينظرون باحتقار إلى الإسلام. هذا السرد مقنع جدًا مع إمكان مهم لتحشيد الرأي في مجموعة من البلدان المتماثلة وغير المتماثلة. كما أنه أيضًا سرد يمكن أن يؤَكد، أو أُكد، من خلال التعلق بمفهوم الأمة المسلمة أو المجتمع الديني والهدف المشترك.

112. أحيانًا، يستمر سرد حكايات المظالم حتى بعد إحلال السلام. وفي بعض الحالات، قد يحدث أن يشعر محاربو القاعدة الشعبية بأنهم هُمِّشوا بسبب اتفاقات السلام التي تمت باسمهم؛ وقد كانت هذه ردة فعل بعض مجموعات الميليشيا «المخلصين» في إيرلندا الشمالية في إثر اتفاق «الجمعة العظيمة». يمكن أيضًا أن تكون لأولئك المشتركين في عصابات أو مجموعات شبه عسكرية أسباب شخصية من أجل استمرار القتال؛ إذ يؤمِّن لهم ذلك مركزًا بين أترابهم، أو أنهم يعتاشون على العنف. وآخرون قد يكونون متورطين في العنف منذ الطفولة، ولم يحظوا بفرصة أن يقفوا ويعيدوا النظر في تاريخ النزاع من منظورهم المتجرد، أو من منظورات الآخرين.

113. كما أشرنا سابقًا، فإن الأهم والأكثر إلحاحًا من أجل أن نفهم الآخرين ونحترمهم، أن نُفهَم نحن أولًا وأن نُحترَم.

المصالحة التي غالبًا ما تقودها نساء، هي مفتاح الشفاء

114. عندما ينتهي النزاع وتبدأ المصالحة، هناك حاجة إلى إعادة النظر في التاريخ وإعادة تفسيره كي يتمكن الناس من السير قدمًا. كذلك تحتاج الروابط التي جمعت بين الجماعتين في الماضي إلى تأكيدها حتى يُعاد إيقاظ الذكريات المتناثرة حول ما كانت عليه الأحوال في الماضي. وإذا لم يكن هناك أي اتصال سابق، فهناك حاجة إلى إعادة تأكيد الانتماءات التي يتشاركون فيها حاليًا (الولاء لمنطقة، عوامل ثقافية أو لغوية). وقد أدت النساء والمجتمع المدني أيضًا أدوارًا مهمة جدًا في المصالحة وبناء السلام، وإنه لجدير بأن يؤخذ في الحسبان لماذا اكتسبت مساهمتهما هذه الأهمية.

115. سواء أشاركت النساء كمحاربات أم لا، فإنهن يملن إلى مشاركة جوانب من هويتهن وتجربتهن في الحرب مع نساء من الطرف «الآخر». مثل الرجال، تعرف النساء ماذا يعني أن يكون لديك أبناء، إخوة، أزواج، وحتى أمهات وبنات، قاتلوا وقُتلوا في النزاع. ومثل الرجال، تعرف النساء ماذا يعني أن تكون مقتَلَعًا من أرضك. غير أنهن يعانين أكثر من معدلات عالية في وفيات الأمهات بعد الولادة ووفيات الأطفال، ومعدلات منخفضة من الالتحاق بالتعليم والرعاية الصحية، ويتعرضن أكثر للمرور بتجربة الإقصاء عن الحياة العامة، وغالبًا سوف يعرفن أكثر ماذا يعني أن لا يتم الاعتراف بمواطنيتهن بالكامل. يجب أن تجد النساء اللواتي نجون من الحروب طرائق للعيش مع الظلم الكبير الذي ملأ ماضيهن ويطارد حاضرهن؛ أي أفعال التمييز والعنف التي ارتكبت في السابق، في خلال النزاع أو حتى بعده.

116. إن تجربتهن المشتركة بوصفهن نساء هي التي تجعل دورهن في بناء السلام بالغ الأهمية، وهذا الدور معترف به الآن رسميًا في قرار مجلس الأمن 1325. يحاول هذا القرار أن يُطوّر طريقة أكثر منهجية في التشاور مع النساء وإشراكهن في عمليات السلام وإعادة البناء. وتدرك الهيئة هذا الدور المهم للنساء، على أمل أن تساهم تجاربهن وأولوياتهن وحلولهن، أكثر من السابق، في إعادة بناء المجتمعات مستندة إلى الحوكمة الجامعة [التي لا تستثني أحدًا]. في إمكان النساء أن يحملن بعض مواطن قوة ورؤية نوعيتين. مثلًا، إن ثمار تجاربهن في التواصل عبر شبكة العلاقات عوضًا عن البنى التراتبية مهمة بشكل خاص نظرًا إلى ما قلناه سابقًا عن دور التشبيك في «حكومة عبر حوار قائم على الاحترام».

117. في رواندا مثلًا، التقت نساء أرامل من قبيلتي التوتسي والهوتو للاهتمام بأيتام الحرب، وهن يدعمنهم الآن ببيع سلالهم المنسوجة في السوق الدولي. كذلك التقت المحاربات السابقات من النساء اللواتي لهن تجربة مباشرة باعتبارهن مرتكبات جريمة وفي الوقت نفسه ضحايا العنف، من أجل تبادل التجارب وتعلّم طرائق إدارة الصدمات النفسية، وبعضهن أصبحن مدربات في «هيئة التسريح

وإعادة الإدماج»، وعملن على لفت الانتباه إلى حاجات النساء في نزع السلاح، والتسريح، وإعادة الإدماج. والأكثر أهمية هو أنه بتأمين إدراج كوتا للنساء بنسبة 30 في المئة في البرلمان في الدستور الجديد، كسبت النساء الرونديات في النهاية حصة 49 في المئة كاملة، هي الأعلى في العالم[1]. وفي بوروندي، اجتمعت النساء من كل حزب من الأحزاب التسعة عشر المشاركة في مفاوضات السلام في أروشا (Arusha) ضمن مؤتمر السلام لعموم نساء أحزاب بوروندي (All Party Burundi Women's Peace Conference)، في تموز/يوليو 2000 لصوغ أجندة للسلام وإعادة البناء يمكنها أن تضمن حقوق النساء في بناء مجتمعهن جنبًا إلى جنب مع الرجال، وبذلك يضعن أنفسهن في موضع ملائم لولوج العملية السياسية[2]. ومن خلال الهيئة النسائية الدولية من أجل سلام فلسطيني - إسرائيلي عادل ومستدام، (International Women's Commission for a Just and Sustainable Palestinian - Israeli Peace)، التقت نساء فلسطينيات وإسرائيليات بارزات من أجل الدفع بعملية السلام إلى الأمام، وليخاطبن بصوت واحد قادة العالم.

118. من المفيد النظر إلى الكيفية التي بدأت بها الهند نظام البانشايات [ويعني الحاكمية من خلال ما يشبه نظام الحكم المحلي حيث يعمل كل مجلس محلي كأنه حكم ذاتي، ويكون في العادة مكونًا من خمسة أشخاص]، الأمر الذي مكّن النساء من تبوؤ مواقع قيادية على المستوى المحلي. وكثيرات من هؤلاء النساء، نحو مليون امرأة، دُرِّبن على كيفية تحليل الموازنات المحلية لناحية الجندر، وهذا يعني الربط ما بين سياسات المساواة الجندرية الوطنية، والإنفاق الفعلي لتنفيذ هذه السياسات. فمن خلال النظر إلى الإنفاق في الموازنة، تتمكن عضوات المجتمع المحلي من ضمان أن نسبة أعلى من الموارد المحلية تصرف من أجل توفير مياه نقية، وعيادات صحية، أو نظام أفضل للمواصلات المحلية. كما أنهن شاركن أيضًا في الرقابة الاجتماعية، والمطالبة بمراجعات علنية للدخل والإنفاق لمجالس

(1) United Nations Development Fund for Women (UNIFEM) Annual Report (2004-2005); United Nations Development Fund for Women (UNIFEM) Annual Report (2006-2007).

(2) United Nations Development Fund for Women (UNIFEM) Annual Report (2000).

القرى وتحميل المسؤولين المسؤولية في التعامل مع الاحتياجات المحلية، أو الإخفاق في التعامل معها. وتشير النتائج الإيجابية لهذه المبادرات إلى أهمية بناء فاعلية للنساء من القاعدة إلى الأعلى.

119. إن دور المجتمع المدني مهم في أوضاع ما بعد النزاع للسبب نفسه؛ فمجموعات المجتمع المدني والمنظمات يمكنها أن تقرِّب الناس من بعضهم على أساس الهويات التي يشتركون فيها، لا تلك الهويات التي فرقتهم في السابق. مثلًا، عندما يلتقي الناس بوصفهم صحافيين، وأصحاب أعمال، وتربويين أو أعضاء نقابات عمالية، وعندما يُنتقون من كلا الجانبين المتنازعين سابقًا، يُحضرون معهم شبكة جاهزة من جهات الاتصال، وأيضًا وسائل الاتصال مع هذه الجهات. بعدئذٍ يكون في متناول أيديهم إمكان توليد رسائل جديدة، تصاغ بالشراكة حول طرائق جديدة للتواصل في ما بينهم وللعمل معًا.

120. إعادة تأهيل الفئات الشابة بعد النزاع الشديد هي واحدة من أكثر المهمات تحديًا لمنظمات المجتمع المدني. فنحن بالكاد بدأنا نفهم التأثيرات الهائلة المدمرة على شخصية الفئات الشابة التي تترعرع في مجتمعات منكوبة بالنزاع. وفي أحيان عديدة، يجد هؤلاء صعوبة في العيش بسلام وفي نسج علاقات شخصية ثابتة بعد انتهاء النزاع، وقد يرتفع معدل حالات الانتحار بين الفئات الشابة ارتفاعًا لافتًا. وحيثما يكون الجنود من الأطفال جزءًا من مشهد النزال العنيف، قد تبدو هذه المهمة مُحبِطة، بالنظر إلى الطريقة التي يزرع بها العنف عادة في عقول الصغار التي لا تزال في طور التشكل. يُعزز برنامج للتأهيل نجح في ليبيريا أولئك الذين فقدوا أطرافهم في النزاع، من أجل الانخراط في لعب تنافسي بكرة القدم. هكذا فإن الناس الذين كانوا على طرفي الصراع لفترة الأعوام الأربعة عشر في ليبيريا، يلعبون كرة القدم الآن معًا، وغالبًا ما يكونون في الفريق نفسه. ويرى أعضاء الفريق أنفسهم أن في لعب كرة القدم معًا تعبير رائع عن المصالحة.

121. المجموعة المهمة الأخرى من الناس في أوضاع ما بعد النزاع تضم

أولئك الذين كانوا في السابق مشاركين في القتال، ومنهم أولئك الذين اقترفوا القتل. أعطي قليل جدًا من المقاتلين السابقين الفرصة لكي يُسمعَوا، أو يَطرحوا وجهة نظرهم للعالم الأوسع. وعلى الرغم من ذلك، كان هذا إنجازًا رئيسًا لهيئة الحقيقة والمصالحة لجنوب أفريقيا (South Africa's Truth and Reconciliation Commission)، وهذا النهج جرت محاكاته في دول كثيرة أخرى (واستخدم أيضًا قبل ذلك في عدد من الدول الأخرى، ولا سيما في أميركا اللاتينية).

122. أسِّست هيئة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا في عام 1995 من أجل معالجة بعض الجروح العميقة التي خلفتها سنوات التمييز العنصري. وكانت الآلية الأساسية للهيئة لتحقيق هذا الغرض رواية القصص علنًا، وبهدف تأسيس صورة عن الأسباب، وطبيعة الانتهاكات التي حدثت خلال حقبة التمييز العنصري، ومداها. وقد تضمنت وجهة نظر الضحايا من جهة، ووجهة نظر ودوافع أولئك الذين تسببوا في الانتهاكات من جهة أخرى. وقد مُنح العفو لكل شخص كشف عمّا حدث بشكل كامل، وهذا كما يظهر قد ساعد مساعدة كبيرة على استعادة الكرامة الإنسانية للضحايا.

123. لقد أتاحت هيئة الحقيقة والمصالحة للأفراد أن يرووا قصصهم من وجهة نظرهم الخاصة، وأن تُسمع هذه القصص. وثبت أن هذا كان خطوة رئيسة في عملية المصالحة. لكن من المهم أن نؤكد أن نجاحها اعتمد إلى حد كبير على حقيقة أنها لم تكن - ولم تسعَ لأن تكون - عملية علاجية، وأنها بنيت خصوصًا في سياق تاريخي واجتماعي وثقافي[3]. وفي حين أن العملية لا يمكن ببساطة أن تعاد بالضبط بالطريقة نفسها في مكان آخر، يمكن الإفادة هنا من دروس عامة مهمة عن استخدام التفاعل البنّاء الذي هو جزء ذو شأن من المسار المدني نحو السلام.

---

(3) Rama Mani, *Beyond Retribution: Seeking Justice in the Shadows of War* (Malden: Polity Press, 2002).

الفصل الخامس

المشاركة السياسية

الحوار والإدماج

124. لخص هذا التقرير في الفصول الأربعة السابقة بعض أسباب أهمية الاحترام والتفاهم في الوقت الحاضر، وأهمية نهج الكومنولث في توليد معنى لهذه القيم الأساسية. كما شرح بعض القضايا المفاهيمية التي تكمن وراء العنف، واستخلص أن تحليلًا أكثر عمقًا لتلك القضايا يجب أولًا أن يثري الجدل العام بالمعلومات، وعندئذٍ فقط يصب في تطوير سياسات أو إجراءات جديدة.

125. يبدأ هذا الفصل بتحليل المعيقات التي تواجهها جميع الدول في ضمان أن سكانها كلهم - لا النخب وحدهم والذين يشغلون الوظائف العامة - يشعرون بأنهم معنيون بالكامل بما أطلق عليه «حكم بالنقاش». وهذا يتجاوز مجرد وضع العمليات السياسية الصحيحة في مكانها، إلى كيفية إدارة هذه العمليات لتكون حقًا شاملة؛ أي إنها أيضًا الـ «كيف» للسلوك السياسي، وليس مجرد الـ «ماذا».

126. علاوة على ذلك، يشرح هذا الفصل طرائق توليد الشعور بالانتماء، بشكل خاص للمجموعات التي عزلت تقليديًا عن الممارسات السياسية. كما سيأخذ في الحسبان كيف يمكن توسيع نطاق المشاركة السياسية ونشرها في ظروف السلام، وأيضًا في ظروف مرحلة ما بعد النزاع. ومن أجل أن نذهب أبعد

من هذا التحليل، يبدأ الفصل بالنظر في السياسة العامة والرسالات للحكومات والمجتمع المدني. هذا التركيز المزدوج - على التحليل الموضوعي والرسالات الخاصة بالسياسة - تعبر عنه أيضًا الفصول المقبلة.

التأكيد على الـ «كيف» للمشاركة السياسية

127. يمكن الشعور بالإقصاء أن يظهر حتى في النظم الديمقراطية التشاركية الراسخة. ويعزى ذلك إلى أن الإدماج السياسي لا يتعلق بالشكل الذي تتخذه الأنظمة السياسية فحسب (مثلًا، نوع النظام الانتخابي)، بل، وبالأهمية نفسها، بكيفية إدارة المشاركة السياسية خلال الدورة السياسية (وليس في الانتخابات وحدها). لذا، فإن الكيفية التي يدار بها النقاش في المنتديات المحلية والوطنية، بما فيها البرلمان نفسه، سوف تنعكس على مدى ما توفر قواعد المشاركة، مكتوبة أو غير مكتوبة، من محيط حاضن للتعبير عن النزاع. وسوف تكون الـ «كيف» منعكسة أيضًا في سياق ما يُسمح للأعضاء، أو ما لا يُسمح به أيضًا، بأن يعبّروا عن قلقهم الشديد ويشعروا بأنه جرى الاستماع إليهم، وبذلك مُنحوا الاحترام.

128. تتوجد تصورات مختلفة عن دور أحزاب المعارضة جنبًا إلى جنب. وفي حين يتصرف بعضهم كما لو أنهم هم أولًا وقبل كل شيء حزب في حالة انتظار، وبناء عليه، يقضون الوقت في تعزيز قاعدة سلطتهم، يركز آخرون على الوظيفة الحقيقية للمعارضة. وهذا يعني إلزام الحكومة الحاضرة مسؤولية تقديم التقارير من خلال الاستماع إلى تجارب جمهور ناخبيهم، وبأن يكونوا مطلعين على معلومات كافية بواسطة الدلائل والنقاش، بغرض دعم أثر السياسات العامة الحالية أو المخططة أو مساءلتها. مرة أخرى، سيشعر الناس في النهج الأخير بأنهم مُمَثَّلون ومشمولون، بينما لا يمكّن النهج السابق من ذلك. ولواجبات التمثيل للبرلمانيين أهمية كبيرة واضحة من أجل تفعيل نهج مدني للسلام وتجنُّب التطرف.

129. بعيدًا من أعمال البرلمانات، هناك جوانب من النظم الديمقراطية

مهمة أيضًا إذا توافر لـ «الحكم بالنقاش» معنى حقيقي. مثلًا، من المهم أن يكون الناس الذين يدّعون أنهم يمثلون فصائل مختلفة، بما فيها الأحزاب المتصارعة، مُمَثلين فعلًا بطريقة ذات معنى، وأن تكون لديهم وجهات نظر ممثّلة يمكن أن تُعزى إلى داعميهم. وقد يتولى الأعضاء المفوهون أو الأعضاء الأكثر تطرفًا لجماعة ما النقاش، أو يصادِرونه، في كثير من الأحيان. وقد لا يمتلك هؤلاء الناس الموقف الفعلي أو السلطة التي يدَّعون أنها لهم. وعلى الرغم من ذلك، فإن ميلهم إلى اجتذاب عناوين الأخبار بملاحظات استفزازية يجعل وسائل الإعلام تنزع إلى التقاطها. عندها تنزلق تصورات المجتمع العام إلى الاعتقاد بأن الأعضاء كافة في الجماعة موافقون على هذه العبارات الاستفزازية والمزعجة.

130. إن البحث عن أولئك الذين يمثلون الجماعة حقًا، وفعل ذلك بأسلوب متوازن ودمث، ضروري وهو مهمة حساسة للحكومة وللمجتمع المدني. والقادة الأكثر هدوءًا، لكن الأكثر أصالة، والقادة المحتملون في داخل مجتمعاتهم المحلية يمكن أن يُستبعدوا بسبب السلوك واللغة العدوانية والمستفزة. وبناء عليه، يمكن أن يختاروا بصورة عقلانية تمامًا أن لا يشاركوا بسبب نبرة النقاش أو طبيعته، والكيفية التي (من المفترض أن) يتم بها طرح قضيتهم. قد يزداد احتمال أن يُسمع المتطرفون أكثر أيضًا إذا كانت الحكومة لا تهتم اهتمامًا كافيًا بالبرلمان والممثلين الشرعيين أو الممثلين المعتدلين.

أهمية التواصل وأساليب الاستشارة

131. إن أساليب التواصل والاستشارة ذات أهمية خاصة من أجل مشاركة النساء والفئات الشابة. وفي حال كان الناس الجادون، أصحاب الخبرة والمقصد الحميد، والذين لديهم إحساس بالمصلحة العامة، يتركون النقاش أو لا يلتحقون به مطلقًا، فإن ذلك يمنح فرصة للآخرين من ضيقي الأفق والباحثين عن المصالح كي يملأوا الفراغ.

132. في كثير من الدول، تعطى النساء فرصًا محدودة لتنمية مهاراتهن

في النقاش التشاركي وصنع القرار على المستويين المحلي والوطني. في مثل هذه الحالات، لا يمكنهن أن يساهمن، ولا يساهمن، كمشاركات متساويات في النقاشات المتعلقة بتنمية مجتمعاتهن ودولهن. تكمن واحدة من المعوقات في غياب القوانين المتعلقة بالمساواة الجندرية المستندة بشكل كبير إلى معايير حقوق الانسان. لكن أعراف المجتمع الأبوي وأجيالًا من ممارسات الماضي تحدد أيضًا مدى مشاركة النساء في الممارسات السياسية على المستويات كافة.

133. مع ذلك، من المهم أن ننوه بأن تغييرًا متسارعًا قد حصل في كثير من أجزاء الكومنولث، في شأن مشاركة النساء على مستويات أعلى. والتطور الذي حصل في عديد من السنوات أدى إلى حضور قوي للنساء في النظام التشريعي بشكل عام، وفي النظام القضائي بشكل خاص، فأفضى هذه السنة إلى تعيين أول امرأة رئيسة للمحكمة العليا في غانا، القاضية جورجينا وود (Georgina Woode). هذه الأمثلة عن الالتزام العام من أجل الإفادة البناءة من فاعلية النساء التي تتعدى الاهتمام برفاه النساء تعكس التطور عبر سنين عديدة، في ظل حكومات كثيرة، لاهتمام مستمر من أجل موقع مساوٍ للنساء في المهن القانونية. هذا تطور يزيد الوعي بين جميع النساء بأن القانون يجب أن لا يكون أعمى تجاه اهتمامات النساء، بل يسمح أيضًا بالإفادة من المكاسب التي حققتها الفاعلية النشطة للنساء، في الأنظمة القانونية لتلك الدول. مثلًا، ساعدت قيادة القاضية كيت أوريغن (Judge Kate O'Regan) لمحكمة جنوب أفريقيا الدستورية، مساعدة كبيرة في تقوية النظام التشريعي في الدولة حديثة الديمقراطية.

134. في مكان آخر، شاركت النساء في أفغانستان في انتخابات المجلس الأعلى (Grand Assembly)[1] الدستوري في حزيران/يونيو 2002 وفي وضع

(1) يدعو الحاكم غالبًا في أفغانستان المجلس الأعلى (Loya Jirga) إلى الاجتماع بطريقة غير منتظمة. يحضر المجلس القبائل وقادة المناطق، والشخصيات السياسية، والعسكرية، والدينية، والعائلة الحاكمة، وضباط الحكومة... إلخ. لا وقت محددًا لانتهاء الاجتماع، وينتهي عند الوصول إلى قرارات تتخذ بالإجماع في القضية المتداولة.

مسودة الدستور الجديد في عام 2004، وخضن باعتبارهن مرشحات الانتخابات البرلمانية وانتخابات المناطق في عام 2005. وبمساعدة من وكالتي الأمم المتحدة UNIFEM[2] وUNDP[3]، أسفر مشروع مشاركة النساء عن اعتماد دستور بجاهزية عالية للمساواة بين الجنسين، متضمنًا 25 في المئة كوتا للنساء في المجالس الوطنية والمناطقية (والذي تم تحقيقه)، وتشكيل تجمع نسائي في البرلمان. وعلى الرغم من أن نهوض حركة التمرد، خصوصًا في المناطق الريفية، يهدد هذه المكاسب، فقد تحقق الكثير من حيث مشاركة النساء السياسية منذ سقوط طالبان في عام 2001.

135. ومن أجل تقديم مثل أخير، قد تعلّم دول الكومنولث في شرق آسيا الآخرين درسًا، هو أن النساء يمكنهن الوصول إلى قمة السلطة. ففي سريلانكا، أصبحت سيريمافو باندرانايكه (Sirimavo Bandaranaike) رئيسة للوزراء في عام 1959، وكانت خلفيتها الدينية بوذية. وانتُخبت إنديرا غاندي (Indira Gandhi) رئيسة للحكومة الهندية غير مرة. وغدت بينظير بوتو (Benazir Bhutto) أول رئيسة وزراء في بلدها باكستان، وأول رئيسة حكومة في العالم الإسلامي. وأنجبت بنغلادش أكثر من امرأة قائدة سياسية مثل السيدة رفيعة الأصل خالدة ضياء الرحمن (Begum Khaleda Zia) وشيخة حسينة (Sheikh Hasina).

انخراط الفئات الشابة يتطلب رعاية ومتابعة

136. تعتمد دول كثيرة آليات من أجل التشاور مع الفئات الشابة في القضايا السياسية؛ على سبيل المثال، بواسطة دراسات استقصائية ملتزمة وأفضل نوعيًا من خلال الاتصال بمنظمات شبابية و/أو استخدام فريق بحث أو مقابلين لتنظيم وضع الفئات الشابة في مجموعات نقاش، من أجل التأكد من وجهات نظرهم في موضوع معين.

---

(2) صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للنساء.

(3) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

137. لكن في أحيان كثيرة، لا يتعدى الأمر هذه الإجراءات. فتأتي الأصوات الأكثر خبرة وقدمًا لتسيطر وتقرر مضامين السياسة العامة. وهذا بالتحديد هو الحال في السياقات حيث تكون علاقات الهيمنة والإذعان قوية. تحتاج الفئات الشابة إلى نماذج إيجابية في السلطة لتقلدها. لكنها تحتاج أيضًا، وبشكل قاطع، إلى مساحات تحرُّك تبني بواسطتها ثقتها بنفسها وبقدراتها، ويكون لها آراؤها الخاصة التي تؤخذ في الحسبان.

138. تحتاج السلطة إلى أن تُمارَس بطريقة لا تنتهي بتهميش الفئات الشابة والآخرين الذين ليس لهم صوت رسمي.

139. لذلك، تبرز الفئات الشابة بوصفها نقطة عبور للمشاركة السياسية لكن أيضًا باعتبارها مجموعة مؤثرة ومصدرًا حيويًا. فللشباب حس أكبر بكثير من جيل الكبار الحاليين بالكيفية التي يتطور بها العالم. نحن لا نحتاج إلى الفئات الشابة فقط في أُسَرنا لِيُبيِّنوا لنا كيف نُشغِّل آلاتنا الجديدة، بل نحتاج إليهم لمساعدتنا في تصميم آليات الحكم الجديدة وتشغيلها، وهم يحتاجون إلى فرصة للعمل مع مجموعات كبار السن، وأيضًا باستقلالية، من أجل تحديد طرائق مبدعة لمعالجة المفاهيم الخاطئة عميقة الجذور، أولًا ضمن مجموعاتهم الشبابية اليافعة، ثم مع المجموعات الأكبر عمرًا. هناك شيء من تقسيم العمل ما بين الأجيال الذي يهدف إلى:

«نحن في حاجة إلى قادة مجتمعيين أصغر سنًا ليكونوا متحمسين وليؤدوا دورًا قياديًا في تقريب مجتمعاتنا بعضها إلى بعض. الأكبر سنًا يمكنهم أن يقترحوا طرائق ووسائل يمكن من خلال استخدامها تحقيق ذلك؛ لكن الجيل الصاعد من القادة السياسيين، المدنيين، والمتدينين، هم الذين عليهم أن يناصروا قضية الاحترام والتفاهم. من أجل ذلك، هم يحتاجون الى تدريب، وفوق كل شيء، الحماسة والإخلاص والدافع»[4].

---

(4) Gregorios, Archbishop of Thyateira and Great Britain «Submission to the Commonwealth Commission on Respect and Understanding» (7 February, 2007).

وللمجتمع المدني دور حيوي يؤديه

140. في سعينا إلى مجتمعات أكثر ديمقراطية وليبرالية، لعلنا ركّزنا كثيرًا على المشاركة المتناوبة التي توفرها الانتخابات باعتبارها حلًا لمشكلة المشاركة. يتطلب المجتمع المستند إلى «حكم بالنقاش» مجتمعًا مدنيًا قويًا يؤدي دورًا فاعلًا في النقاش السياسي. والمجتمع المدني هو، بالطبع، متنوع جدًا، ولمجموعات المجتمع المدني نطاق متنوع من الوظائف، لا تهدف كلها إلى زيادة الصوت السياسي.

141. مع ذلك، بينت البحوث أن المواطن «المتمكن» يتقدم تدريجًا، وغالبًا من خلال النقاشات المحلية في شأن الوظائف والسكن أو أي قضايا ملموسة، وفي مرحلة متأخرة فقط (في بعض الأحيان، بعد جيل) يكتسب الاستقلالية والمعرفة للمشاركة في عمليات أعلى على مستوى الدولة. يمكن منظمات المجتمع المدني، حتى إن لم تكن في الظاهر سياسية، أن تقدّم على الرغم من ذلك حجارة البناء التي بواسطتها يستطيع الأعضاء المنتمون إليها أن يشتركوا في العمليات السياسية في المستقبل، في حال رغبوا في ذلك.

142. مثال صارخ على ذلك هو الدور الذي أدته منظمات القواعد الشعبية في مكافحة انتشار مرض نقص المناعة المكتسبة (الأيدز) في أستراليا في أوائل ثمانينيات القرن الماضي. في ذلك الوقت واجهت أستراليا زيادة سريعة في حالات الإصابة بمرض الأيدز. وبعد أن وصلت ذروتها في عام 1984، بدأت معدلات الإصابة بالمرض بالانخفاض بسرعة حتى عام 1988.

143. لمدة طويلة، كان النجاح في احتواء المرض يُنسب إلى المبادرات الحكومية. لكن التحليل الحديث[5] بيّن أن هذه المبادرات - مثل إقامة المؤسسات البحثية، وجاهزية اختبار فيروس نقص المناعة المكتسبة (HIV)،

(5) David Plummer and L. Irwin «Grassroots Activities, National Initiatives and HIV Prevention: What Explains Australia's Dramatic Early Success in Controlling the HIV Epidemic?» *International Journal of STI & AIDS* 17, no. 12 (2006): 787-793.

والعقاقير المضادة للفيروسات الرجعية، التي كانت مدعومة كلها بتمويل حكومي ضخم - حصلت بعد أن بدأ الانحسار في معدلات الحوادث.

144. بالمقارنة، كانت أنشطة وبنى القواعد الشعبية المنظمة جيدًا جاهزة في نهاية عام 1985. فقد استُكمل تأسيس لجان عمل الأيدز (AIDS Action Committees-AACs) في عواصم الدول الرئيسة، إذ أنشئت الأولى في بداية عام 1983. وأنشأت أول منظمة أهلية مكتبًا خاصًا في قطاع الأيدز غير الحكومي في عام 1984. وفي أثناء هذا الوقت، بدأت مهنة الطب في الاعتماد على [تقرير] المستجدات في صحة المثليين (Gay Health Update) الذي يصدره مجلس الأيدز الفيكتوري للمعلومات (Victorian AIDS Council for information) عن تطور الوباء. وقد أدت التقارير السابقة في الصحافة، وجاهزية الخدمات العيادية والانخراط المجتمعي دورًا أساسًا في نجاح أستراليا في مكافحة انتشار مرض الأيدز.

145. يقال إن انحسار الوباء ما كان ليستمر من دون مبادرات الحكومة. وهذا صحيح. لكن ما يشير إليه البحث هو قدرة المنظمات الأهلية والمنظمات غير الحكومية على أن تكون ديناميكية، وأن تحشد المجتمعات المحلية من أجل توفير التدخل المبكر والوقاية. يجب على الحكومات أن تبحث عن منظمات لها هذا الإمكان، وأن تساعدها من أجل بناء قدراتها بروح من الشراكة.

توليد الشعور بالانتماء

146. من أجل أن يخلق مجتمع ما رؤية مشتركة لنفسه، من الضروري أن يجد طرائق فاعلة لرعاية الشعور بالانتماء بين جميع أعضائه، بمن فيهم الفئات الشابة. هؤلاء الأعضاء يجب أن لا يُطلب منهم أن يكونوا من ذلك المجتمع فحسب، لأن لهم الحق أيضًا في أن يُعامَلوا بطريقة تقدِّرهم بصفتهم مكونًا أساسًا للمجتمع. هم في حاجة إلى الشعور بأنهم جزء من مصير عام ومستقبل مشترك. من أجل هذا السبب وحده، يجب أن يكون هناك إقرار عام وقبول

للهوية حتى لو كانت هناك هويات عدة متضمنة. وكما ذكر سابقًا، من الأفضل للهويات الغنية بجوهرها والمتعددة المستويات أن لا تُختزل ببساطة مفرطة في تصنيف مستند إلى سمة منفردة وحدها، عنصرية أكانت أم لغوية أم دينية.

147. إن الفهم التقليدي الليبرالي والفهم الديمقراطي للعضوية المجتمعية مالا في الماضي إلى التركيز على الاعتراف بالأفراد باعتبارهم مواطنين. فمفهوم المواطنة غير متحيز إلى هوية الجماعة، أو هوياتها؛ ففكرة المواطنة لا تفرّق أو تميّز بين بشر بهويات مختلفة، إنها تنظر إلى الانتماء الوطني وحده. قد تكون الهوية المستندة إلى المواطنة العنصر الضروري لتسهيل عمل الانتماءات المشتركة والإدماج. ففكرة الهوية الوطنية يمكن أن تكون أكثر أهمية لمجموعات محددة أكثر من غيرها، ويمكن أن تكون مهمة بطرائق مختلفة من مجموعة أو سياق عن غيره.

148. تستطيع المنظمات المستندة إلى المعتقد أن تؤدي دورًا مهمًا وأن تصنع كثيرًا من أجل التغلب على المعوقات التي قد يواجهها أولئك الذين في النظام السياسي. بشكل خاص، يمكن الهيئات الدينية التي تطور روابط متينة بين أعضائها أن تصبح في وضع أفضل لتشجيع العلاقات بأولئك المنتمين إلى مجتمعات أخرى مستندة إلى هوية المعتقد. قد يؤدي هذا إلى تعبير أقوى عن الإيمان من جانب المجتمعات المستندة عمومًا إلى المعتقد الديني، والمناهج الروحانية في معالجة المشكلات الاجتماعية. إن دور الروحانية في فهم أفضل لأسباب التطرف الديني والعنف وتعامل أفضل معها هو حقل ذو إمكانات خصبة يستدعي النظر فيه(6).

149. إن المهمة هي بناء الأساسات لمجتمع مدني يكون في آن متماسكًا ومتنوعًا في تركيبته. وهذا يتضمن عوامل عدة موجبة(7):

---

(6) Charles Taylor, Winner of the Templeton Prize for «Progress toward Research or Discoveries About Spiritual Realities,» 14 March, 2007.

(7) M. Malik, «Discrimination, Equality and Community Cohesion,» *in Muslims in the UK: Policies for Engaged Citizens* (Budapest: Open Society Institute, 2005).

• أن تكون هناك رؤية مشتركة وأن يوجد لدى جميع المجتمعات المحلية شعور بالانتماء.

• أن يُنظر إلى تنوّع خلفيات الناس المختلفة وظروفهم بتقدير عال، وأن تقوّم إيجابًا.

• أولئك الذين يأتون من خلفيات مختلفة لهم فرص متشابهة. والطلاقة في استخدام اللغة ومعوقات اللغة في الدخول إلى مجموعات مهنية معينة هي مثال رئيس لما يمنع ذلك.

• أولئك الذين يأتون من خلفيات مختلفة يطورون علاقات إيجابية قوية في مكان العمل، وفي المدارس، وفي داخل الأحياء.

بناء الثقة في ظروف النزاع يحمل معه مخاطر إضافية

150. تتمحور بعض المسائل المحددة جدًا حول الحوار في ظروف النزاع، خصوصًا عندما يكون هناك تدخل عسكري خارجي. وحتى إذا كان التدخل العسكري مشرّعًا من الأمم المتحدة، لا يعني هذا أن قوات الأمم المتحدة سوف تكون في موضع ترحيب أو أن حضورها سوف يقبله السكان المحليون. إذا حدث ذلك، فهو يعتمد اعتمادًا كبيرًا على كيفية إدارة التدخل، والكيفية التي تتطور بها مسارات الحوار مع القادة المحليين والناس. هذا يتضمن حرفيًا قدرة أفعال أولئك الذين هم على أرض الواقع على كسب ثقة الناس والمؤسسات أو عدم كسبها. مهما يكن سوء الموقف الذي أدى إلى التدخل، يجب أن لا تتوقع أي قوة خارجية الدعم المحلي إلا إذا شعر الناس أنفسهم بأنهم مشمولون ومحترَمون.

مبادئ الكومنولث عند التطبيق

151. يُنتقد الكومنولث أحيانًا لأنه يتحدث أولًا، غالبًا، ولمدة طويلة من الزمن عن موضوع نزاع من دون الوصول إلى قرار. لكن هذا التقرير للهيئة يصادق على هذا النهج باعتباره طريقة أساسية للتعامل مع المشكلات المتعلقة

بالاحترام والتفاهم، وأيضًا للتقليل من العنف ومعدلات الحوادث وتأثير الإرهاب.

152. يقصّر النقد لنهج الكومنولث في الاعتراف بأن:

• أثمر التطبيق العملي لمبادئ الكومنولث تغيّرًا مهمًا في بعض النزاعات الكبرى في العالم المعاصر، مثل جنوب أفريقيا.

• اكتسب ممارسو هذه المبادئ رواجًا بسبب أسلوبهم في المشاركة التي تحترم فروقات الهوية ووجهات النظر.

• تضع هذه المبادئ القادة في موقع قوي وذي صدقية للبحث عن الأسباب الكامنة وراء النزاع والعنف.

• لنهج الكومنولث أهمية جديدة، خصوصًا أن سمعة مناهج المواجهة قد بدأت تضعف.

153. لا يمكن التحدث وحده أن يحل مشكلات العالم كلها. فما كان يُحتمل تحقيقه بالحديث لوقت أطول في أفغانستان ويوغسلافيا أو رواندا بات مشكوكًا فيه، لأن الحوادث التي جرت في جميع هذه الأماكن لم تكن بسبب نقص في الحوار، لكن لأسباب أخرى. قد يتصاعد النزاع، في بعض الأحيان، إلى مستويات متطرفة من العنف بسرعة فائقة (كما في رواندا) حيث يصبح النقاش وجهًا لوجه صعب التحقيق. لكن المشكلات في إيرلندا الشمالية حُلّت بالحوار، والهند وباكستان يتحاوران عوضًا عن اللجوء إلى الحرب، وليس من المستحيل الاعتقاد بأن العلاقات بين إسرائيل وفلسطين يمكن أن تحل، في نهاية المطاف، بعملية حوار طويلة الأمد واحترام وتفاهم متبادلين.

تعزيز الديمقراطية بالممارسة المؤسساتية الأفضل

154. ينهمك الكومنولث حاليًا بسلسلة واسعة من الأنشطة المصممة لضمان الممارسة الأفضل للمشاركة السياسية الديمقراطية. أحد الأمثلة هو دور

مراقبي الانتخابات، المقبول عالميًا بوصفه وسيلة للتأكد من أن العمليات الانتخابية نزيهة وغير متحيزة. هذا النوع من التدخل هو قيّم بشكل خاص لأن خبرة الماضي القريب أفادت أن ثقة الجمهور بالعملية الانتخابية الديمقراطية نفسها قليلة.

155. مراقبة الانتخابات هي أحد الأمثلة لبناء الثقة بمعنى أنها صُممت لتمنع استخدام الترهيب أو السلوك القمعي من جانب مجموعات معينة، من خلال التوثيق المستقل لعملية الانتخابات من طرف فريق ثالث. وتكمن الاستقلالية في جوهر عمل الكومنولث، بالفعل؛ فهذه «العلامة التجارية» موثوقة على نطاق واسع أكثر من أي واحدة أخرى. يوفر الكومنولث المراقبة للانتخابات عندما يدعى فحسب، وهكذا يكون لجميع الأطراف محفز إلى الامتثال للمعايير الدولية وسبب لقبول أحكام المراقبين.

156. من جهة أخرى، ثمة عقبة هي بالتحديد أن مراقبة الانتخابات تدخُّل يأتي متأخرًا في العملية الانتخابية، ويتجنب حتمًا النظر في السلوك والمعايير السابقة. وتكشف الصورة الأشمل عن أن الترهيب والإقصاء والتهديدات غير المباشرة لثقة الجمهور العام يمكن أن تكون موجودة منذ زمن طويل يعود إلى ما قبل تنظيم الانتخابات. وبناء عليه، تعزى المشكلة غالبًا إلى مصدر أبعد ويحتاج إلى معالجة عند تلك النقطة المبكرة.

157. يمكن أن يكون الحد من هذه التأثيرات جديرًا بالثناء خلال عملية الانتخاب، لكن المشكلات قد تظهر قبل أن تبدأ الحملة الانتخابية. ومن الممكن أن تكون هناك مواقف وممارسات وسلوكات سلبية راسخة يُعبَّر عنها بصراحة أكبر خلال عملية الانتخاب. إذًا، هناك مسائل تستحق النظر فيها:

- كيف يمكن استخدام التدخلات لتعزيز المشاركة الديمقراطية في الفترة ما بين الحملات الانتخابية؟

- كيف يمكن زيادة قدرة المؤسسات والمجموعات المحلية باعتبارها دعائم للديمقراطية؟

158. تتضمن المرحلة الثانية هيئات انتخابية مستقلة لا خلاف عليها لمراقبة السلوك والتزام عمليات نزيهة، بما في ذلك ترتيبات التمويل للأحزاب والمرشحين، والسكرتاريا البرلمانية لدعم مهمات التدقيق للبرلمانيين، وأخيرًا المساعدة الفنية لبعثات مراقبي الانتخابات الذين يقومون بالتدريب ويعززون الممارسة السليمة للقيمين على الانتخابات المحلية.

159. هناك تحدٍ أكبر يكمن في إيجاد طرائق جديدة لتعزيز تفاعل شرعي وموثوق بين الحكومات وقوى المعارضة في دول الكومنولث المختلفة في مرحلة ما بعد الانتخابات. وفي الظروف التي تكون فيها النظم الانتخابية مستندة إلى مبدأ الأغلبية البسيطة - التعددية البسيطة، يكون الناتج وضعًا يأخذ الرابح فيه كل شيء، معززًا بمقولة «الأول حاز الوظيفة». إن الاستحواذ على السلطة التنفيذية يحمل معه تبعات ومخاطر جسيمة. الأهم من بين هذه التبعات هو الحاجة المستمرة إلى مشاركة الأطراف المعارضة والمرشحين الذين لا يشاركون في الحكومة والحفاظ على ثقتهم.

160. مشاركة المعارضة في العملية قيّمة لكنها غالبًا ما تكون غير واضحة. فهي مهمة تحديدًا للحفاظ على شرعية النظام السياسي لكونها في مواجهة الحكومة الحاضرة. وبكلمات أخرى، المهمة هي إقامة توازن: الاهتمام بمساندة المنصب الحكومي، وفي الوقت نفسه البقاء محايدًا تجاه شاغل المنصب.

161. الهيمنة التنفيذية من هذا النوع هي بحد ذاتها سبب مباشر للاهتمام، لكنها خطيرة بشكل خاص إذا كانت في أيدي جماعة عرقية أو دينية معينة، ربما من خلال نظام حزبي مبني على الانتماءات العرقية والدينية. ويمكن بطرائق عدة تتبُّع التدخلات للمساعدة في توسيع نطاق «الحكم بالنقاش» في النظم، حيث السلطة مركّزة في أيدي الإدارة التنفيذية. قد يحدث مثل هذا التوسيع بالنسبة إلى القادة، بثلاث طرائق رئيسة مختلفة، (هذه الاستراتيجيات ليست حصرية، لكن كل واحدة منها تتضمن مجال تركيز معين)، لذا يمكنهم أن يقوموا بما يلي:

• محاولة تقليص احتكار الإدارة التنفيذية للسلطة ببناء بعض عناصر المشاركة في السلطة.

• تقوية الدور التوازني للبرلمان والقضاء.

• دعم وسائط الإعلام والمجتمع المدني وجهد المجتمع المحلي للمطالبة بمساءلة أكبر.

162. يجري العمل على تضمين عنصر مشاركة في السلطة التنفيذية، مثلًا من خلال تأسيس منتديات برلمانية إضافية يكون فيها التفاعل ما بين الحكومة والمعارضة مسألة روتينية، وحيث القضايا الشائكة التي لها علاقة بثقة الجمهور بالعملية الديمقراطية تُبث على الهواء. سعت المساعي الحميدة للكومنولث إلى زيادة هذا النوع من المساعدة. وتعمل مجموعة العمل الوزارية للكومنولث (The Commonwealth Ministerial Action Group) باعتبارها وصيًا على المبادئ الأساسية للكومنولث. كما من الممكن أيضًا أن يلجأ بعض دول الكومنولث إلى دول الكومنولث الأخرى من أجل طلب المساعدة على صعيد الخبراء والنصح كما فعلت المملكة المتحدة، من وقت إلى آخر، في عملية إيرلندا الشمالية.

الفصل السادس

دور الإعلام والتواصل

الرسائل الإعلامية تنقل التأثيرات المهمة

163. لوسائل الإعلام والأشكال الأخرى من تكنولوجيا الاتصالات تأثير هائل في المساعدة على تشكل الرأي العام ومشاعره. الصحف، التلفاز والمذياع كلها مصادر مهمة للمعلومات الأساسية عن الناس الآخرين والأماكن الأخرى، وقد يساعد هذا في حد ذاته في توليد التفاهم إذا ما عُرضت المعلومات عرضًا منصفًا وعادلًا وغير تحريضي.

164. الإعلام آلية مساءلة ذات شأن أيضًا: فهو يطرح قضايا قيّمة، كالفساد الذي ليس من المحتمل أن يُطرح أبدًا لنقاش علني أو يُعالج بغير هذه الوسيلة. وللإعلام دورٌ مهمٌ أيضًا في تحفيز الحكومات لاتخاذ إجراءات في السياسة الاجتماعية؛ فعلى الرغم من أن القصص عن المهاجرين أو اللاجئين يمكن أن تعزز التعصب في بعض الأوساط، إلا أنها تكشف عن المشكلات التي يجب معالجتها، كالظروف المعيشية البائسة للمهاجرين وعدم إمكان الحصول على الخدمات، ووضع المواطنة للمهاجرين، وردة فعل المجتمعات المحلية بالنسبة إلى توطينهم وهكذا دواليك.

165. لكن قد يصبح الإعلام أيضًا، في بعض الحالات، أداة نشر الرسائل الكاذبة والتحريضية والقيم التي لا تعزز الاحترام أو الحوار الهادئ والنقاش. وقد تقسّم الرسائل السلبية المجتمعات وتساعد في إدامة الأنماط التي تغذي العنف.

166. يمكن الصور الإعلامية أن تساهم في بعض الأحيان في تضخيم رواية القوى المعارضة والاختلافات المبنية على القيم التي يصعب التوفيق بينها. ويفضّل الإعلام، في أحيان عديدة، أن يسهب في الحديث عن النزاع، باعتبار أن النزاع والإثارة يساهمان في بيع الجرائد وجذب الجمهور. وهذا يعني حتمًا أنه كلما كانت وجهات النظر أكثر تطرفًا، كان حظها أوفر في الحصول على أوقات للبث، عوضًا عن الالتفات إلى مشاعر غالبية المواطنين الذين يمكن أن تكون لهم وجهات نظر أكثر قبولًا وتوازنًا. ففي خلال الإبادة الجماعية للروانديين في عام 1994 على سبيل المثال، بثت المحطة الحرّة المسماة «راديو وتلفزيون الألف تلة» (RTLM) دعاية كراهية ضد التوتسيين، والمعتدلين من قبائل الهوتو، والبلجيكيين والأمم المتحدة، واستُغل ذلك أداةً لتنظيم المذابح. وحتى عندما يكون الإعلام مستقلًا حقًا، قد يميل بعضهم في الإعلام (وليس الجميع) إلى تبسيط زائد للطبيعة المعقدة للمشكلات الراهنة وإلى اختزال الأخبار في مجرد التقاط العبارات والوحدات الصوتية؛ على افتراض أن الناس يفضلون الإثارة والتسلية على تحليل مستنير للأخبار. يجب أن يرافق التشديد على الدور البنّاء للإعلام، والذي نؤيده بشدة، اعتراف واقعي بالمشكلات التي يجب أن يحترس منها الإعلام.

والإعلام الجديد يعمل على تشكيل وجهات النظر بطريقة أكثر مباشرة

167. غيّر الإنترنت جذريًا الطريقة التي يتواصل الناس بها ويتصلون بعضهم ببعض. وبوصفها وسيلة للتفاعل الاجتماعي، تصل الشبكة الناس معًا – الأصدقاء، الأسرة، الفئات الشابة، أو الغرباء تمامًا الذين لهم اهتمامات وأهداف مشتركة – وهذا يمكن أن يعزز الشعور بالانتماء والهوية. استُخدِمت الشبكة أيضًا بغرض استهداف الناس، ولا سيما المستخدمين الشباب، من أجل دعوتهم إلى التطرف ضمن أنظمة معتقدات محددة وطرائق انقسامية لرؤية العالم.

168. بعض الوسائل البناءة لربط المجموعات السلمية التي تتشارك في

الرأي، عبر المناطق المتفرقة، موجودة بالفعل؛ بما فيه أمثال «الشباب من أجل مستقبل مستدام» (Youth for a Sustainable Future) وهي مجموعة نقاش عبر البريد الإلكتروني أسستها فئات شابة في منطقة المحيط الهادئ لمناقشة القضايا التي تؤثر فيهم وفي المنطقة.

169. في المقابل، فإن أعمال الشغب التي وقعت في كرونولا الأسترالية، جنوب سيدني، في كانون الأول/ ديسمبر 2005، تمثل صورة مثيرة للاهتمام عن دور الإعلام والأشكال الحديثة للاتصال مثل الرسائل النصية التي تتخذ منحى لا سلميًا. ولبعض الوقت، كان هناك تصاعد متنامٍ للعداوة بين بعض أفراد المجتمع المحلي الأنكلو أسترالي والشرق أوسطيين على شاطئ كرونولا. وعلى مدار فترة 36 ساعة، كان هناك تصاعد سريع للعنف، تلتها بعد 24 ساعة ردة فعل من أولئك الذين تعرضوا للعنف، باستخدام رسائل نصية منظمة على نطاق واسع.

170. أصبح شاطئ كرونولا فضاء للاشتباك بين الشرق أوسطيين من جهة والأنكلو أستراليين «التقليديين» الذين كانت منطقة شاطئ كرونولا بالنسبة إليهم في منزلة موطن لثقافة ركوب الأمواج التقليدية. في الأسابيع التي سبقت النزاع، بث الإعلام تقارير عن قصص لزوار الشاطئ الذين تذمروا من أن شبانًا من أصول شرق أوسطية نفضوا رملًا في وجوههم بينما كانوا يلعبون كرة القدم، وكانت هناك تقارير أخرى عن رجال شرق أوسطيين أبدوا ملاحظات مسيئة عن النساء اللواتي كن يلبسن البيكيني وملابس أخرى اعتبرها الرجال غير محتشمة وغير لائقة. تصاعد النزاع بعد ظهر أحد أيام السبت في بداية كانون الأول/ ديسمبر 2005، واشتد مع انتشار كثيف للشبان البيض الذين استخدموا الرسائل النصية للتواصل مع شمال شواطئ ساحل سيدني وجنوبها.

171. وفي ملاحظة أكثر إيجابية، أدت أعمال الشغب إلى قدر كبير من التفكير في طبيعة بعض التغطيات الإعلامية وأثرها، وإلى بحث جوهري عن كيفية التخفيف من إحساس بعض الجماعات بالإقصاء والعداء. كانت أندية حرس شواطئ ركوب الأمواج، والأماكن المخصصة لركوب الأمواج

وثقافة المجتمع المحلي، مفتوحة لأعضاء من جماعات مختلفة. وكان هناك برنامج ناجح لتشجيع الشباب المسلم على التدرب كمنقذين، كما أدخِلت تعديلات تراعي الحياء في ملابس السباحة التقليدية، صممت خصيصًا للشابات المسلمات اللواتي يرغبن في الاستمتاع بالشاطئ والمشاركة في أنشطة المجتمع المحلي.

172. يُستخدم الإنترنت لإثارة عنف الجماعة في بعض الأحيان. أخذ «الصالح مع الطالح»، هو مشكلة مهمة يجب التوعية عليها، مستندين في الوقت نفسه إلى الدور البنّاء للإعلام والحوار العام.

يمكن أن تكون للإعلام أدوار مبتكرة في تعطيل النزاع

173. مبادرات أخرى للإعلام كانت ناجحة في زيادة إدماج الجماعات التي همِّشت قبلًا بتوفير وسائل للتعبير عن وجهات نظرهم. نتائج إيجابية جاءت أيضًا من خلال خلق قنوات تُكسر بواسطتها النزاعات الثنائية المألوفة الأكثر قدمًا، ويعاد تخيلها بطرائق تسلِّط الضوء على المصالح المشتركة التي تتخطى حدود الاشتباك.

174. في الأراضي الفلسطينية المحتلة، تهدف مبادرة فلسطينية حالية إلى تعزيز المساواة الجندرية ببناء قدرات الإعلام والتوعية. أنشأ البرنامج شبكات من مهنيي الإعلام المحلي (ذكورًا وإناثًا) في المجتمعات المحلية، ودرّبهم على إنتاج برامج وطباعتها ونشرها عن حياة النساء وقضاياهن، ووطد العلاقات، وعزز التعاون والتشارك في المعلومات بين القيادات النسائية في الإعلام ومهنيي الإعلام. شمل التدريب القيادات النسائية في حملات التعبئة الإعلامية [كانت المترجمة من الذين تلقوا هذا التدريب]، كما مسؤولي الإعلام الجماهيري في حملات التعبئة الإعلامية. نتيجة ذلك، أُسِّست علاقات متعددة طويلة الأمد بين المنظمات النسائية ومحطات التلفاز والإذاعة، ما مكّن النساء من الاستمرار في تشارك المعلومات وتزويد محطات البث بها. هذه المبادرة «لتعزيز الحوار العالمي والديمقراطية» (MIFTAH) دعمها صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة (UNIFEM).

175. مثال آخر مثير للاهتمام لجهد مباشر لتعزيز حسن النية بين الأمم كان دعم الولايات المتحدة الأميركية فرقة الأوديوسلايف (Audioslave) للقيام بجولة في كوبا. وفي ما بدا كنوع من عرض للسلام، استطاعت قلة أن تميز بالضبط ماذا كانت حكومة الولايات المتحدة تسعى لتحقيقه، أو ماذا كانت الحكومة الكوبية ستأخذ في المقابل. مشهد الأوديوسلايف في محاولتها «عقد صداقات» مع كوبا بمصادقة من حكومة الولايات المتحدة، بطريقة لم تتمكن السياسة الخارجية للولايات المتحدة من تحقيقها على مدار أكثر من نصف قرن تقريبًا، هو تذكير قوي بتأثير الموسيقى.

176. أيضًا، اغتنم عالم الصحافة فرصًا من أجل تعزيز التفاهم في ظروف النزاع. ففي إيرلندا الشمالية، وضع ناشرا جريدة قومية كاثوليكية وجريدة وحدوية بروتستانتية مبادرة مشتركة، قبل اتفاق الجمعة العظيمة بالضبط. طلبا من قرائهما الآتي: «اتصلوا على هذا الرقم إذا قلتم 'نعم للسلام'». كان نشر صحيفتي الطرفين المتنازعين النص نفسه مع الملاحظة نفسها فاعلًا جدًا، فبلغ مجموع الاتصالات 145,000 اتصال، ضمن عدد سكان محليين لا يتجاوز 1.5 مليون نسمة، وهذا يعادل استجابة واحدة من كل عشرة أشخاص، وهي نسبة ذات دلالة.

177. أفضى هذا النجاح الأولي إلى مغامرة أخرى مثيرة للاهتمام، فكتب كل ناشر كلمة التحرير لمصلحة السلام في ذلك اليوم نفسه، وأرسلاها أحدهما إلى الآخر في اليوم المذكور مقدمًا، وعملا على المسودتين إلى أن توصلا إلى افتتاحية واحدة أمكنهما توقيعها معًا. وبالنتيجة قرأ البروتستانتيون والكاثوليكيون في إيرلندا الشمالية الكلمات عينها في جريدتين منفصلتين، وعرفوا أن الناشرين اللذين وضعوا الثقة فيهما تمكنا من التعبير عن المشاعر نفسها، بينما بقيا أمينين لمصالحهم. فكانت هذه المغامرة تعبيرًا قويًا عن الصحافة المجدِدة وأصبحت قصة ذات شأن في حد ذاتها.

178. مهمة أوسع تم القيام بها بجهد مشترك من أعضاء الكومنولث

ومهنيي الإعلام، من أجل وضع فهم أكثر جدية للقضايا الدولية. سلط تقرير تحالف الأمم المتحدة بين الحضارات (UN Alliance of Civilizations) الضوء على هذا الموضوع باهتمام خاص، وأشار إلى أن اتخاذ تدابير تصحيحية سوف يساعد في إعلام الجماهير في دول متعددة بطريقة متوازنة عن القضايا الدولية. وتُعد المدارس المتخصصة للصحافة والإعلام ذات شأن، بشكل خاص، في تحقيق هذا النوع من التوسيع لدور الصحافيين ومهنيي الإعلام الآخرين. فالمسؤولية الإعلامية متلازمة أخلاقيًا مع حرية الإعلام.

الفصل السابع

الفئات الشابة والتربية

الفئات الشابة وأجندة الاحترام والتفاهم

179. إن أكثر من 60 في المئة من سكان الكومنولث هم في عمر أقل من 30 سنة، والنسبة أقرب إلى ثلاثة أرباع في بعض الدول الأعضاء. فالفئات الشابة ورثة عالم متغير، بتوزعاته الاقتصادية ومواقعه الاجتماعية وهوياته الثقافية ورواياته التاريخية. على الفئات الشابة أن لا تكون متلقية سلبية لهذه الأشياء. مع الدعم المناسب والإرادة السياسية، يمكن الفئات الشابة أن تكون قوة ناشطة وإيجابية للتنمية، محليًا ووطنيًا ودوليًا.

180. لكن من أجل أن يحدث هذا، هم في حاجة إلى أن يجري التعامل معهم باعتبارهم مصدر قوة ومشاركين في عمليات الحوار وصنع القرار. هم في حاجة إلى أن يتلاقوا في المنتديات حيث يمكن أن يستمعوا ويشاركوا، لكن أيضًا أن يقترحوا وجهات نظرهم وأن يُستمع إلى رواياتهم الخاصة، وأن تُناقش ويُجادَل في شأنها. كما توجد أيضًا حاجة إلى فهم أكثر عمقًا لانتقال الروايات عبر الأجيال.

181. في هذا الصدد، علينا أن نعترف بالأهمية الكبيرة لمديري المدارس والمسؤولين فيها - وفي النهاية المعلمين - بوصفهم قادة في إمكانهم أن يغيروا الواقع الاجتماعي بالطريقة التي يديرون بها مدارسهم. إن المدارس نفسها، في النهاية، لديها قوى عاملة متنوعة (أي المعلمون) والمدير، الذين يمكنهم أن

يضبطوا إيقاع المدرسة بكاملها وبذلك يؤثرون في الطريقة التي يتطور بها تفكير الأطفال في قضايا مثل المجتمع المحلي، والدين، والعنف.

182. تدخل أغلبية الفئات الشابة مجال العمل حيث الطلب محدود على مهاراتها، أو حيث لا تتوافر الفرص لأي عمل على الإطلاق. في الفترة ما بين عامي 2000 و2015، قُدّر عدد الذين سيدخلون سوق العمل بنحو مليار شخص من الفئات الشابة (ذكورًا وإناثًا)؛ لكن لن يكون هناك مليار وظيفة في انتظارهم. إذا أخذنا في الحسبان عدم اليقين من التوظيف من جهة، وحقيقة أن الفئات الشابة، لكونها صغيرة السن، لا تُمنح الاحترام في كثير من المجتمعات، من جهة أخرى، تصبح هذه الفئات، في بعض النواحي، جماعة مهمشة. لكن من غير المحتمل أيضًا أن تمتلك هوية ذاتية كمجموعة، كما يقل احتمال أن تنتظم كقوة اجتماعية.

183. تلاحظ الهيئة أن من الضروري، عند التفكير في الاحترام والتفاهم، أن يأتي ذلك في سياق ترابط الأجيال، وأن نكون واعين بشدة أثر الأعراف الاجتماعية، ولا سيما أثر الأبوية المجتمعية والإذعان، في الثقة بالنفس وتنمية الفئات الشابة. في مواقف كثيرة، تحتاج بُنية السلطة إلى إعادة إنشاء من أجل أن لا تصمت الفئات الشابة، وبشكل خاص الفتيات والفئات الأخرى التي يُخمد صوتها تحت مرجعية «التقاليد» أو «العادات».

184. عندما تُحرم الفئات الشابة أو تهان أو تُدفع إلى الشعور بأن لا صوت لها ولا مستقبل، يمكن أن تنجذب إلى الحركات أو الأيديولوجيات التي تبدو أنها تضمن لها مكانًا في العالم وتمنحها هوية صلبة. في بعض الأحيان، قد يجذب القادة الأقوياء هذه الفئات الى النزاعات باعتبارهم مقاتلين، ولا سيما جنود مشاة. وهناك ما يقدَّر بنحو 300,000 شخص حول العالم دون الثامنة عشرة، ممن يشتركون الآن في نزاع مسلح أو كانوا مشتركين إلى وقت قريب، ونحو 500,000 شخص جنِّدوا في القوات العسكرية أو شبه العسكرية.

185. لكن الفئات الشابة ليست بالضرورة دائمًا ضحية العنف أو مرتكبته؛ فدورها مهم في صنع السلام. وهي ليست المشكلة بل هي في قلب الحل.

186. وفرت هيئة الكومنولث نفسها بعض البرامج الأكثر ابتكارًا لإشراك الفئات الشابة في إعادة البناء بعد انتهاء النزاع؛ والمثال على ذلك، المشروع الذي يبدو واضحًا أنه يبني الاحترام والتفاهم بين الأطفال الجنود السابقين، والفئات الشابة والبالغين، وبعضهم بين بعض في منطقة النزاع السابقة في شمال أوغندا.

187. بصورة أعم، تُوفر برامج الكومنولث نماذج لكيف يمكن أن يقوِّم حضور الفئات الشابة ومهاراتها، وكيف تُثمَّن، وتُستخدم في أنشطة عادة ما يضطلع بها البالغون. إن برنامج الكومنولث للشباب يُشرك الناس في بناه الحوكمية، بينما يجري تعيين ممثلي الفئات الشابة بوصفهم أعضاء في بعثات مراقبة الانتخابات.

188. هناك برامج أخرى تركز على العمل مع الموصومين اجتماعيًا. فمجموعات المجتمع المعتلّة الصحة أو المصابة بأمراض يُنظر إليها كمحرّمات اجتماعية، تعاني تشويه السمعة والكره غير المقصود، بصفة عرضية عادة، وبصفة رسمية أحيانًا. وقد يبلغ التعامل معهم حدًّا يُظهر شكلًا خاصًا من الازدراء المسيء، خصوصًا إذا كان داؤهم الأصلي، أو معاناتهم، هو وليد الفقر، المشقة والجهل.

سفراء الشباب من أجل عيش إيجابي

189. يُعزِّز الاحترام والتفاهم للناس الذين يعيشون مع الأيدز من خلال برنامج «سفراء الشباب من أجل عيش إيجابي»، والذي يُنفَّذ في أفريقيا وآسيا ومنطقة البحر الكاريبي. السفراء الشباب هم عادة من المتطوعين الحاملين لفيروس نقص المناعة البشرية والذين يشاركون في تعليم أترابهم ويقومون بحملات توعوية للمطالبة بسياسات ملائمة تنتهجها الحكومات والمجتمع المدني. ورسالتهم هي نزع وصمة العار [عن مرضى الأيدز].

190. يتناول أحد الأنشطة المستقبلية المخططة تطوير وسائل تعليمية من أجل محو الأمية السياسية. ويهدف إلى تحسين قدرات المجموعات الشبابية

المنظمة وسواهم كي يصبحوا مناصرين فاعلين للديمقراطية والحكم الرشيد من خلال مشاركتهم في بعثات المراقبين، ومبادرات بناء السلام، وعمليات الحوكمة الأخرى. وهذا يدخل إلى حد كبير في صلب بناء القدرة على مواجهة التطرف.

191. ذلك كان فقط بعض من أمثلة عديدة. فالتحدي هو في توسيع النطاق وزيادة المشاركة الفاعلة للشابات والشباب في عملية التنمية في بلدانهم ومناطقهم.

التمكين ممكن من خلال برلمانات الشباب

192. في مؤتمر شباب عموم الكومنولث (Pan-Commonwealth Youth Caucus)، كما في مجمل قطاع الشباب في منطقة جزر المحيط الهادئ، يجري نقاش كثير في شأن الحاجة إلى دول تستضيف برلمانات سنويًا أو مرتين في السنة من أجل تعزيز الحكم الرشيد بالممارسة الإيجابية. والبرلمانات الشبابية، التي يوجد منها نماذج عدة في العالم، هي تدريبات تقوم بواسطتها فئة الشباب بانتخاب قادتها وتشارك في نقاش لمدة أسبوعين في قضايا برلمانية من اختيارها. تُمرر القرارات بعد ذلك إلى الدوائر الحكومية، وإلى المجلس التشريعي الوطني والمانحين من أجل النظر فيها واتخاذ المزيد من الإجراءات.

193. يهدف برلمان شباب تونغا (Tonga Youth Parliament) [تونغا مملكة تقع في جنوب المحيط الهادئ] إلى تعزيز الحكم الرشيد في المستقبل القريب بطريقة مختلفة. فعوضًا عن انتخاب قادة شباب فحسب، سيقوم مؤتمر الشباب الوطني في تونغا (Tonga National Youth Congress)، بمساعدة من أمانة سر منتدى جزر المحيط الهادئ (Pacific Islands Forum Secretariat (PIFS))، بتدريب هؤلاء القادة كي يتصرفوا على مستوى من الاحترام يليق بأعضاء المجلس التشريعي الوطني (National Legislative Assembly). وعندما يتصرف الشباب بطريقة أكثر احترامًا، يُتوقع منهم أن يؤثروا ليس في القادة الشباب الآخرين فحسب، بل في المجلس التشريعي الوطني كذلك. يُبَث نشاط برلمان الشباب كله بثًا حيًا عبر التلفزيون كما عبر الإذاعة في أنحاء الجزر كافة.

الرياضة أيضًا يمكن أن تعزز التمكين والتفاهم المتبادل

194. قد تكون ألعاب الكومنولث الرياضية واحدة من أكثر جوانب الكومنولث سطوعًا وشهرة، وهي مثال آخر جيد لكيفية تعزيز الكومنولث الاحترام والتفاهم. وتوفر ألعاب الكومنولث، المعروفة أيضًا بـ «الألعاب الصديقة»، السعي من أجل الصحة وتؤمّن للفئات الشابة فرصة التميز، وذلك بشكل أكبر منذ افتتاح «دورة ألعاب الكومنولث للشباب» في عام 2000 التي تجري كل أربع سنوات.

195. الرياضة هواية مفتوحة لجميع الناس، بغضّ النظر عن الإعاقة والعرق والوضع الاقتصادي. ويمكن أن يساعد التدريب الصارم والاهتمام بتحصيل الميداليات لوطن المشارك في التغلب على أي انقسامات في داخل الوطن. إن أثر الألعاب يتجاوز الحدث الذي يمر كل أربع سنوات؛ فاتحاد ألعاب الكومنولث (Commonwealth Games Federation) بالتزامه القيم الثلاث الرئيسة - الإنسانية، والمساواة، والمصير - يسعى إلى تحسين حياة شعوب الكومنولث ومجتمعاته من طريق دعم التعليم وذلك بتطوير الرياضة والترفيه البدني[1].

التعليم محوري لا محالة لقضية الاحترام والتفاهم

196. في المدى البعيد، سوف تأتي المكاسب الأكبر في تشكيل الروايات المشتركة على الأغلب من الاستثمار في التعليم، وإعادة النظر فيه، متجاوزة أي انقسام محتمل. هذه كانت واحدة من القنوات التي ذُكرت غالبًا والتي يمكنها أن تولِّد الاحترام والتفاهم كما حددتهما الهيئة، من خلال الاقتراحات العالية القيمة التي قُدِّمت أمامها.

197. إن التفكير استراتيجيًا في التعليم، وبشكل خاص في الكيفية التي نقدِّم بها التعليم بوصفه تدخلًا مستحسنًا، يعني أشياء عديدة مختلفة. ومن المفيد أن نتناول كل نقطة على حدة:

---

(1) انظر: www.thecgf.com

• قد تكون المشاركة التربوية في حد ذاتها مظهرًا مهمًا للامساواة المتغلغلة وللنقص في الفرص. يشكّل توزيع التعليم التوجهات إلى الإدماج أو الإقصاء، وتاليًا الأنماط العامة التي تكون واضحة في مجتمع معين. ويمكن التأثيرات في الاحترام والتفاهم أن تكون جوهرية، على الرغم من إمكان كونها غير مباشرة في طبيعتها. يُواجَه صناع القرار بمهمة تطوير آليات لتوسيع نطاق المشاركة التربوية وتعميقها كوسيلة لـ: أ) التغلب على التوجهات المجتمعية للإقصاء، و/أو ب) التعويض عن الظلم، و/أو التغلب على المعوقات التي تواجهها جماعة معينة.

• إن توسيع «النطاق» العمري الذي يغطيه نظام التعليم الإلزامي صعودًا ونزولًا - وتنفيذ ذلك بفعّالية - مسألة بالغة الأهمية. ويعادلها أيضًا توسيع نطاق المشاركة في التعليم الأساسي في المجتمعات الريفية. إن استخدام البرامج الريادية للمحافظة على دخل الأسرة الذي يتولد من خلال عمل الأطفال غير الرسمي، في الوقت نفسه الذي يجري فيه تقديم برنامج تعليم أساسي، هو طريقة أخرى مهمة في توسيع نطاق المشاركة التعليمية. لذلك فإن الجوانب المتعلقة بالـ «من» في التعليم هي مسألة مركزية.

• يرتبط المحتوى التربوي بتعزيز الاحترام والتفاهم، أو العكس. لذا يعتبر المنهج التربوي مركزيًا في غرس قيم ومبادئ العلاقات والتفاهم ونشرها بين المجموعات ذات الهويات المختلفة الموجودة. إن تعليم الأطفال في النظام المدرسي الإلزامي التراث الثقافي المتضمن مجموعة من المجتمعات الدينية والعرقية هو تدخل نموذجي مرتكز على نماذج متعددة الثقافات لتحفيز الشهية للمعرفة. وعلاوة على إعطاء فهم للمقارنة بين الأديان والمجموعات العرقية والثقافية، من المهم أيضًا أن نُعلِّم أطفالنا أن هناك قيمًا إنسانية أساسية تتجاوز عامل الدين، والحدود الثقافية والإثنية؛ فالواجب أن تعامل الآخرين باحترام وتحفظ كرامتهم، تمامًا كما تحب أن تُعامل أنتَ نفسك.

198. معرفة تاريخ العالم مهمة بشكل خاص للمساعدة في تكوين هويات عالمية. وبالمثل، فإن تعليم الأطفال القيم والغرض من التماسك الاجتماعي

المستند إلى المساواة المتبادلة، هو تدخل آخر، لكن أكثر طموحًا. أخيرًا، يمكن التعليم أن يطوّر مجموعة من الطرائق لنقل المعرفة في المجتمعات التعددية. والجوانب الأكثر ليونة للتعليم هي أيضًا ذات أهمية لعلاقتها بتسهيل تكيُّف المهاجرين مع مضيفيهم أو مجتمعاتهم الجديدة. جوانب الـ «ماذا» للتعليم تأتي في قلب هذه التدخلات كلها.

• إن المساهمات التربوية في المهمة الأكبر، أي إدارة الاختلاف، عظيمة الشأن. فمقدار ما يؤديه التعليم من دور إيجابي في توليد الاحترام للاختلاف يعتمد على كيف يُؤطَّر في السياق الاجتماعي ويُستخدم فيه. فالسياسات الكندية ثنائية اللغة، على سبيل المثال، تسعى إلى الذهاب أبعد من توسيع نطاق استخدام اللغة وتقدِّم أيضًا طريقة بديلة للتفكير في شأن التعليم للمجتمعات كافة، بغضّ النظر عن هوياتهم الخاصة أو تراثهم. التعليم بهذا المعنى هو، إلى حد كبير، إعداد عقول الشباب - أو الأصغر سنًا - كي يعيشوا ويتكيفوا بفاعلية مع عالم متنوع التعدديات.

199. التعليم هو أيضًا أداة لفهم الاختلاف ولفهم إمكان تحوّل الاختلافات إلى بؤرة نزاع وعنف أيضًا. في أقصى فاعليته، يمكن التعليم أن يُستخدم لكسب فهم أفضل للنزاع وتفكير متمعن فيه، طالما أن المعرفة يمكن نقلها بطريقة تبيِّن أن كلَّ نزاع رئيس يتضمن تفاعلًا بين العوامل الاقتصادية والسياسية والتاريخية والثقافية، وأنه في كثير من الحالات، تحدث تعبئة الجماعة على أساس الهويات الإثنية، أو الدينية أو الأيديولوجية، التي تدمر روابط الاحترام والتفاهم وتستبدلها بالخوف وعدم الثقة. إن جوانب الـ «كيف» لدور التعليم في تشكيل تماسك اجتماعي أكبر يكمن في قلب هذا النوع من المنهج التربوي، وأحد الأمثلة المثيرة للاهتمام، في إطار حيث أغلبية الأطفال ما زالوا يتلقون تعليمهم في مدارس مستندة إلى المعتقد الديني، هو مبادرة تعليم «التفاهم المتبادل في إيرلندا الشمالية»، الذي أُدرج باعتباره متطلبًا في المنهج الدراسي.

200. مسألة التجديد للكومنولث نفسه لا يمكن رفضها ببساطة في إطار التعليم. هذا التجديد ممكن فحسب عندما نكون قادرين على اكتشاف

من نحن في الحقيقة والاستمرار في ذلك، وكيف تم تشكيل حياتنا عبر تاريخ متراكم على مدى مئات من الأعوام، والذي كان من نتاجه أيضًا فكرة السلام البريطاني (Pax Britannica) والكومنولث.

201. لا يتعلق التعليم بالتعليم المدرسي والتعليم في الكلية فحسب، بل بالتعلم مدى الحياة، متضمنًا مواقف خاصة جدًا. فهو يتضمن على سبيل المثال برامج تهدف إلى جمع الأطراف المتنازعة معًا في أنشطة بناء السلام أو في برامج تربوية سياسية، في حالات ما بعد النزاع.

202. قد تؤدي الفئات الشابة دورًا هنا، بل هي تؤديه، بصفة مستشارين ومدربين. يتضمن «التعليم» أيضًا توفير الدعم لتدريب الفئات الشابة للمشاركة في عمليات الحوكمة؛ في منظمات الشباب والنقابات ومجالس الشباب الوطنية والبرلمانات. لدى برنامج الكومنولث للشباب عدد كبير من البرامج المبتكرة التي تشجّع مشاركة الشباب في وظائف متنوعة، حيث يسعى الجميع إلى تعليم الفئات الشابة وتمكينها.

203. تولي هيئة الكومنولث نوعيةَ التعليم أهميةً، كما لملاءمته الواقع، بغضّ النظر هل هو التعليم الذي توفره الدولة أم لا. وقد تزايد النظام التربوي غير الحكومي أضعافًا مضاعفة، في دول كثيرة، استجابةً للنقص في الموارد الحكومية لتأهيل المدارس الحكومية بالشكل الكافي لناحية التجهيزات والكوادر (بما فيه تقدير المعلمين ومكافأتهم بطرائق تضمن حضورهم). تعد بنغلادش واحدة من أكثر النماذج المثيرة للاهتمام في هذا المجال، باستثماراتها الهائلة التي يقوم بها قطاع المنظمات غير الحكومية في تعليم الأطفال والبالغين (ولا سيما النساء). يتحول دور الحكومة إذًا إلى دورٍ واضعٍ للسياسات وإطارٍ منظِّم، تستطيع من خلاله أن تمارس تأثيرها في وضع أهدافٍ تربوية أشمل.

204. خلصت الهيئة إلى أن سياسات الدولة التي تشجع قيام مدارس جديدة على أساس المعتقد الديني، مسيحية أكانت أم يهودية أم مسلمة أم هندوسية، قد تخلق مشكلة إذا كانت هذه المدارس تعلِّم الطلبة أن يروا العالم رؤية مجزأة، جاعلة هوية معتقدهم فاصلًا يبعدهم عن الآخرين الذين لهم معتقدهم أو لا معتقد

لهم على الإطلاق. إن انتشار مدارس المعتقد اليوم يأتي في وقت أصبح فيه إعطاء الأولوية للدين بطرائق معينة عاملًا أساسًا مساهمًا في العنف، في أجزاء عديدة من العالم. لذلك، من المهم التأكيد أن التعليم:

«... ليس مجرد أن نجعل الأطفال، حتى الصغار جدًا منهم، مغمورين في ثقافة موروثة قديمة. إنه يتعلق أيضًا بمساعدة الأطفال على تطوير قدراتهم على التفكير في القرارات الجديدة التي على كل شخص بالغ أن يتخذها... وبالدفع بقدراتهم... ليعيشوا «دروس الحياة» وهم يترعرعون في دولة متكاملة»[2].

205. سواء أكان التعليم دينيًا أم علمانيًا، عامًا أم خاصًا، يجب أن يكون التأكيد على توفير النوعية الجيدة والشاملة للتعليم الذي يشجع الاحترام بين جميع الشعوب ولا يطرح فكرة أن عقيدة أحدهم هي الأفضل. تستطيع مدارس المعتقد نشر هذا الهدف ما دام المعتقد الجامد ليس العدسة التي ينظر بواسطتها طلابهم.

206. تحتاج الدول كلها إلى أن تنظر إلى أنظمتهما التربوية بالكامل، لا لكونها مصدرًا للتهميش الحالي فحسب، بل أيضًا لكونها مصدر طاقة هائلة للتغلب على ذلك التهميش. التعليم أساس في عملية تعزيز الاحترام والتفاهم بين الناس، وخصوصًا بين الشباب: القادة والتابعين والمفكرين، وصانعي المستقبل. ماذا يتعلمون، وكيف يتعلمون مسألتان بالغتا الأهمية.

207. تؤكد الهيئة الدور المهم للتعليم، المعرّف بمعناه الأوسع، في توليد شعور بالاحترام والتفاهم بين السكان المتنوعين ولا سيما فئة الشباب. والمنظمات التي تقدِّم هذه البرامج التربوية المختلفة هي ببساطة كالأنظمة المدرسية وعلى مستوى عالٍ مثل منتديات الكومنولث.

---

(2) Sen, *Identity and Violence: The Illusion of Destiny*, *160*.

الفصل الثامن

تعددية الأطراف والنظام العالمي

طريقة تفكير وعمل

208. إن تحديات العنف والكره العالميين ليست في أي حال من الأحوال جديدة على الحكومات والمجتمع الدولي. إحدى هذه الإضاءات الجوهرية التي وفرها عملها هو أن الحلول الأحادية الجانب المفروضة مالت إلى الإخفاق في اجتذاب القلوب والعقول، ولذلك لا يمكن مثل هذه المناهج أن يكون فاعلًا أو ذا صدقية.

209. إن المهمة هي الوصول إلى نهج أو أسلوب للمشاركة يكون فاعلًا وذا صدقية، بالتحديد لأن التدابير المطلوبة قد تدوم مدة طويلة من الزمن. تنمو الصدقية ببناء تحالفات لها اهتمامات مشتركة ورعايتها، والأخذ في الحسبان آراء الآخرين، وضرورة ترك المجال مفتوحًا لقنوات الاتصال، ولتوفير الاحترام لأولئك الذين لهم آراء وقيم مختلفة. تتطلب مسألة الفعّالية طرح السؤال البسيط: هل التدخل الأحادي الجانب المفروض ينجح حقيقة في تحقيق أهدافه المعلنة؟

210. ركزنا في هذا التقرير تركيزًا كبيرًا على ضرورة تعامُل الدول المتقدمة اقتصاديًا باحترام وبتفاهم في علاقاتها بالدول الأخرى، لكن من المهم الإشارة إلى أن هذه العملية ذات اتجاهين. فمن الضروري أيضًا أن تتعامل الدول الأكثر فقرًا بطريقة عادلة مع الدول الأكثر تقدمًا اقتصاديًا. هناك بعض القادة

[من الدول الفقيرة] الذين يرفضون الجهد كله الذي يبذله القادة الجدد في هذه الدول المتقدمة اقتصاديًا من أجل تغيير هذه العلاقات وتحسينها. هؤلاء القادة [من الدول الفقيرة] يرغبون في جعل الجيل الجديد يحاسَب إلى الأبد عن جميع الأفعال الشريرة التي حصلت تاريخيًا. مثل هذا الرفض الذي فيه ازدراء لمن هم في الدول الأقل تقدمًا اقتصاديًا ويرغبون في بناء احترام وتفاهم، يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية لجميع الأطراف المعنية. فالاحترام والتفاهم هما عملية تبادلية.

211. هذه هي إذًا بعض السمات المميزة للمنهج المتعدد الأطراف الإيجابي والبنّاء، والتي لها قيمة كبيرة في مساعدة الحكومات والآخرين في معالجة الظُلامة والمهانة من أجل كبح زمام العنف والكره. الكومنولث نفسه مؤثر بعمق في هذا المنهج وفلسفة المشاركة التي تقوم عليها. وبالفعل، قامت الهيئة نفسها بتنفيذ مهمتها بناء على طلب منظمة متعددة الأطراف. وهذا يعني بالضرورة استخدام طريقة خاصة في النظر إلى المشكلات، والتفكير فيها، والوصول إلى حلول مشتركة أفضل.

تعددية الأطراف وأحاديتها

212. للعمل المتعدد الأطراف فوائد كثيرة يجب أن ننوه بها منذ البداية:

• تمثُّل تعددية الأطراف كيفية النظر إلى الأشياء نظرة شاملة ومتوازنة، مع اعتبار خاص لحقيقة تعقيدات المشكلات الدولية التي تواجهها الدول في الوقت الحاضر.

• في عديد من الأحيان، يحقق النظام الدولي نتائج فاعلة أكثر باستخدامه هذا المنهج، وهو مهيأ للتعامل به، أكثر من الممارسات السياسية للقوى الكبرى. القليل جدًا من الدول القوية، هذا إن وجد، يمكن أن يتصرف وحده لحماية مصالحه. حتى القوى الكبيرة، بشكل ضمني أو ظاهري، وعبر عضويتها في المنظمات الدولية كالأمم المتحدة والكومنولث، وعبر الانضمام إلى الآليات الدولية، تقبل العمل مع الآخرين من أجل ضمان مصالحها ونظامها الدولي.

• يتناسب التعقيد الذي يخص قضايا كثيرة دولية راهنة ومستجدة مع منهج الأطراف المتعددة. ويعزى السبب في ذلك إلى أن كثيرًا من هذه المسائل يمثّل المصالح والمسؤوليات المشتركة لجميع الدول أو لمجموعة منها. يمكن الأمثلة أن تتناول جيرانًا مشاركين في مورد مشترك أو متأثرين بحدث معين، أو يواجهون تحديًا بيئيًا مشتركًا، أو مجموعة متنافرة لها اهتمامات مشتركة مثل الهشاشة الاقتصادية.

213. تدرك الهيئة احتمال وجود أوضاع تتطلب حراكًا أحاديّ الطرف ويسمح به القانون الدولي، كالدفاع عن النفس أو الدفاع عن مواطني الوطن. لكن حتى في هذه الحالات حين يكون التدخل أحادي الطرف مطلوبًا، أو قد حدث بالفعل، من اللافت للنظر أن هناك حاجة مستمرة إلى أدوات المنهج المتعدد الأطراف، من أجل تعزيز الحوار والحفاظ على الكرامة في الوصول إلى حل. وقد يصبح هذا الحل اختبارًا أساسًا لرغبة القوي في المشاركة، والاستجابة لمصالح الأقل قوة ووجهات نظره. هناك حاجة إلى إيجاد أجوبة تخاطب هموم الأطراف كافة وآمالهم، وهذا يعني أن أي منهج يكون فيه لأحد الأطراف موقف «الرابح يأخذ كل شيء» من غير المحتمل أن يكون له صدقية أو فعالية.

214. نهج الكومنولث في الحوار وبناء الإجماع، الذي يستشار فيه حتى العضو الأقل قوة استشارة كاملة، هو مثال مهم على الطبيعة المتأصلة لهذا النهج المتعدد الأطراف. ولأن جميع الأعضاء يستخدمون اللغة الإنكليزية، يمكن التواصل أن يكون أكثر فاعلية وأيضًا أقل رسمية. ونتيجة ذلك، يستطيع الكومنولث أن يستخدم قوة اللغة آليةً لحماية الحريات المدنية، والحقوق الثقافية على حد سواء.

215. ربما تبرز دولة جنوب أفريقيا باعتبارها أكثر مثال لافت لنهج الكومنولث في عمله. وحتى عندما انسحبت هذه الدولة من المنظمة في بداية الستينيات، جعلها الكومنولث مكانًا محوريًا لأنشطته، عوضًا عن إهمالها. أولًا قام الكومنولث باتخاذ موقف مبدئي بإدانة الفصل العنصري والعنصرية، وقد

عُرض بوضوح في مبادئ سنغافورة في عام 1971. ثم انتقل إلى إجراءات ملموسة مثل العقوبات الرياضية والاقتصادية، والتصارع مع الفروق بين الدول الأعضاء لإيجاد نهج معتمَد على نطاق واسع. وفي الوقت نفسه، وسّع الحدود للمشاركة التي شددت عليها بعثة «مجموعة الأشخاص المتميزين لجنوب أفريقيا» عام 1985. ثم في بداية عام 1990، دَعم عملية التفاوض الداخلية التي أدت في عام 1994 إلى جنوب أفريقيا حر متعدد الأعراق، وإلى عودته لا إلى عضوية الكومنولث فحسب، بل إلى قيادة الكومنولث أيضًا، باستضافته اجتماع رؤساء حكومات الكومنولث (CHOGM) في ديربان، في عام 1999.

216. في أثناء ذلك، أصبح جنوب أفريقيا نفسه شيئًا أشبه بنموذج لـ «أمة قوس قزح»، مع آليات للتعامل مع المظالم الماضية وأحد أقوى نظم حماية حقوق الأفراد والمجتمعات في العالم.

217. حديثًا، سارع الكومنولث في العقد الأخير إلى دعم شعبي نيجيريا وسيراليون، عندما واجها دكتاتوريات عسكرية. وفي حالة سيراليون، تعاون الأعضاء [في الكومنولث] في تقديم الدعم العسكري والسياسي من أجل عودة الحكومة الشرعية إلى الرئيس كباح (Kabbah). لكن في كلتا الحالتين، جاء دور الكومنولث المهم في مرحلة بناء السلام التي تبعت الانتخابات الديمقراطية، عندما عمل مع مجموعة واسعة من الشركاء الدوليين لدعم هؤلاء الأعضاء بعد أن استعادوا الحكومة المدنية وجاهدوا في حل أسباب المظالم الماضية. في الدولتين، دعم الكومنولث الجهد ليستمر.

218. هذه أمثلة مألوفة وموثوقة للنهج المتعدد الأطراف في العمل وإحداث نتائج ملموسة، وقد أثمرت النتائج فوائد لجميع الأطراف؛ فهذا هو المكان الذي يكون فيه للنهج علاقة مباشرة بنزاعات الوقت الحاضر. وفي بعض الدول، ولّد النهج حرية أكبر لأحزاب المعارضة الشرعية وحركاتها. وفي دول أخرى، سمح بإدماج أكبر للجماعات المهمشة لتصبح ضمن التيار الرئيس للمجتمع. وفي بلدان أخرى أيضًا، طور استراتيجيات واقعية وشمولية لمكافحة الإرهاب.

219. إن هذه الفلسفة هي التي يتّبعها الأمين العام للكومنولث أيضًا في المساعي الحميدة، لمعالجة الأسباب الممكنة للنزاع وشمول جميع الأطراف بحلول سياسية واجتماعية مستدامة. في الدول الأعضاء المتنوعة مثل غويانا والكاميرون وسوازيلاند وجزر المالديف، كان لهذا الجهد نجاح مهم وتقدير عالٍ من الحكومات الأعضاء. وتثني الهيئة على أنشطة المساعي الحميدة للكومنولث والفلسفة التي تلهمها، لما لها من أهمية واسعة في التعامل مع المظالم على الصعيد الدولي، وفي العمل كنموذج دعم متعدد الأطراف لمواجهة التحديات التي تواجهها الأمم.

فرص متأخرة لكن ليست ضائعة

220. يجب الاعتراف بأن هذا النهج، البطيء والاستشاري بطبيعته، لا ينجح دائمًا على الفور. تعد زيمبابوي التي انسحبت من الكومنولث حالة نموذجية. ففي هذا البلد، يبقى غياب حل سياسي مستدام ومقبول من الأطراف كافة، ويتعامل مع المظالم الطويلة الأمد، وأيضًا مع الإخفاق في تلبية اهتمامات الكومنولث وتطلعاته، شاغلًا رئيسًا. لكن يجب أن لا يُستنتج من هذا الغياب أن الحل المتوخى لا يمكن الوصول إليه باستخدام نهج الكومنولث المتعدد الأطراف؛ فحالة جنوب أفريقيا تعطي الأمل بالمضي قدمًا. ومن خلال اتّباع جزء من هذا المنهج الملخص هنا، تأمل الهيئة بشدة في أن يظل هناك إمكان لتحقيق نتائج ناجحة في زيمبابوي. إن الوضع الراهن هو مأساة مريرة لشعب زيمبابوي كان في الإمكان تجنبها.

221. قد يكون لهذا المنهج أيضًا ما يقدِّمه في الوضع الحالي الشائك في العراق، حيث هناك نداءات متنامية من أجل مشاركة أكبر متعددة الأطراف. ويمكن أن نلحظ أن تصعيد العنف في العراق، في ظل الاحتلال الذي تلا الانتخابات الأخيرة، يُفسَّر باعتباره تبعات لتمركز أحادي للتصويت (هناك وهم بأنه «إذا كانت هناك انتخابات يكون لدينا ديمقراطية فاعلة»)، في حين أن العمليات الديمقراطية السياسية، في كثير من الأحيان، تتطلب نقاشًا علنيًا، بما فيه الالتفات إلى الانقسامات الجديدة، إضافة إلى التوترات الماضية والنزاعات.

هناك حاجة كبيرة إلى ضمان مناخ سياسي وأمني يتيح نقاشًا علنيًا من دون حواجز الانقسامات المجتمعية. ويلزم المجتمع الدولي أن يساعد في تعزيز هذا النقاش العلني.

222. تمثل الصعوبات الأفغانية أيضًا فرصة متأخرة، لكن غير ضائعة، من أجل تعددية الأطراف، ولا سيما عند النظر إلى الالتزام السياسي للأمم المتحدة. لقد قاسى الشعب الأفغاني عذابات لم يجر التكلم عنها، طوال عقود من النزاع المسلح الذي أثاره اجتياح فرق أجنبية لأفغانستان. أوكلت اتفاقات جنيف التي وقِّعت في عام 1988 إلى الأمم المتحدة دورًا رقابيًا، ويُتوقَّع بناء على ذلك أن شعب أفغانستان سوف يتمكن من استعادتها، وأن ديمقراطية متعددة الإثنيات سوف تتشكل. هذا التوقع بقي بعيدًا عن التحقيق، لأن الدعم الخارجي للعنف بين الإثنيات يمنع استعادة السلام وعودة الأعداد الضخمة من اللاجئين والأشخاص المُرَحّلين إلى وطنهم. ونتيجة لذلك أصبحت أفغانستان دولة منسية. إن إطار الأمم المتحدة الاستراتيجي لأفغانستان (The UN Strategic Framework for Afghanistan) المعدّ في أيلول/سبتمبر 1998 وصف الواقع الميؤوس منه لأفغانستان بالآتي:

> «إنه خليط من أزمة سياسية متفجرة وعنيفة، وإنسانية وحقوق إنسان في حالة طوارئ، وعقدين من فرص تنمية ضائعة. إن تجزئة البلد وانهيار مؤسسات الدولة كافة تقريبًا، يشكلان أيضًا 'حالة طوارئ حوكمية'»(1).

223. تعتقد الهيئة أن النهج المتعدد الأطراف يبقى هو الطريق الأكثر صدقية للسير قدمًا. إن اتفاقية بون (Bonn Agreement) لعام 2001 تضمنت العناصر الأساسية التالية لاستراتيجية إنقاذ أفغانستان وبنائها:

• تبقى مهمة الأمم المتحدة رعاية عملية الإنقاذ والبناء وتسهيلها، وهي

---

(1) Kamal Hossain, «Question of the Violation of Human Rights and Fundamental Freedoms in Any Part of the World: Report of the Situation of Human Rights in Afghanistan» submitted by Mr Kamal Hossain, Special Rapporteur, in accordance with Commission on Human Rights resolution 1998/70. Commission on Human Rights, United Nations. E/CN.4/1999/40 (March, 1999).

ستشمل جميع شرائح الشعب الأفغاني وتمكنهم من المشاركة في تنفيذ الاستراتيجية ووضع أسس إرساء سلام مستدام في أفغانستان.

• الإبقاء على عملية استشارات فعلية مع جميع أفرقاء الشعب الأفغاني في أنحاء أفغانستان كافة ومع أولئك المقتلعين إلى خارج بلادهم.

• العناصر الأساسية لإطار الاستراتيجية كانت: أ) الاعتراف بحق الاختيار بحرية لحكومة ممثلة تمثيلًا واسعًا، متعددة الإثنيات وتتضمن ممثلين لجميع شرائح الشعب الأفغاني. ب) عملية الإدماج التشاركية التي تتضمن استشارات مستمرة لتوضيح كل مرحلة من مراحل الانتقال وخطوات مخطط لها بوضوح في كلٍ من هذه المراحل. ج) بينما تتطور المرحلة الانتقالية ضمن الإطار المتفق عليه، يتعهد المجتمع الدولي بتوفير الموارد الضرورية لدعم عملية إعادة البناء ولا سيما لتحقيق الهدف الاستراتيجي العام وهو بناء القدرات لضمان الأمن الوطني.

224. تعتقد الهيئة أن الطلب سوف يستمر على المشاركة الدولية القوية للتصدي للتحديات المتبقية. فالبطالة، وإعادة زراعة الأفيون على نطاق واسع، وحركة التمرد المتزايدة لطالبان، هي مسائل ذات أهمية كبيرة. ولهذا، يمكن القيام بمساهمة ذات مغزى من أجل إعادة أفغانستان إلى شعبها. هذا يتضمن أن يستأنف المجتمع الدولي نهج الكومنولث من أجل إعادة الاستقرار الحقيقي بالتنمية ومشاركة الناس المتأثرين بالعنف والتجزئة. الاحترام والتفاهم بين شرائح السكان الأفغان كافة يجب أن تكوّن الأسس من أجل ديمقراطية متعددة الإثنيات ومستقرة.

225. مثل هذه المناهج والاستنتاجات يمكن أن تطبّق على نزاعات عنيفة وبؤر توتر أخرى في داخل الكومنولث وخارجه:

• تتطلب مكافحة التطرف والإرهاب حكومات تذهب أبعد من الأمن وتدابير الاستخبارات. وقد تعزل الحلول المستدامة أيديولوجيات المتطرفين من كره وخوف، وتستنفدها في الغالب، بواسطة التعاون المتعدد الأطراف.

• في أي حال، تعتمد التدخلات العسكرية الأحادية التي تحركها دوافع إنسانية في نجاحها، في بعض الأحيان، على إمكان تأمين الاستقرار السياسي بسرعة بعد حصولها. ويهدد الإخفاق في الوصول إلى مثل هذه التسوية بالعودة إلى المراحل المبكرة من العنف، وحتى تصعيدها، مع حالة أصعب من الاضطراب والمعاناة.

• كان المعارضون القدامى قادرين، في بعض الحالات، على تحرير أنفسهم من عقلية «الفائز يستأثر بكل شيء». إن التفكير المتعدد الأطراف كان حاسمًا في التحرر من تلك العقلية. إن للجمع بين عائد السلام وعائد الأمن فوائد للجميع، في إيرلندا الشمالية الآن.

الاحترام والتفاهم يجب أن ينسحبا على قضايا الظلم والنظام الدولي

226. في كل لحظة في التاريخ، هناك مظالم لها علاقة بظلم النظام الدولي والسلوك غير العادل للدول أو الكتل ذات السطوة. وتعزى أسباب مشاعر الظلم، إلى حد كبير، إلى ظروف تاريخية وميزان القوة في تلك الفترة المحددة، لذا فإن المظالم التي مرّ بها شعب أو دول في خلال الحرب الباردة، لها تكوينات مختلفة عن المظالم التي نمرّ بها اليوم.

227. وكما في حالة النزاعات المحلية الناتجة من اعتماد عدسة الهويات، هناك نزعة إلى شرح مشاعر الظلم على مستوى العالم بالأسباب الاقتصادية. فيطرح بعضهم أن عدم إدماج اقتصاديات الجنوب في النظام الاقتصادي العالمي الليبرالي الجديد، الذي هو السبب في التفكك الاجتماعي، والسيطرة الاقتصادية للدول الغربية هو ما أثار التشدد الإسلامي.

228. هناك بعض الأسس المنطقية في هذا الطرح. إن إعادة تركيب نظام الإنتاج العالمي وتقسيم العمل خلال السنوات العشرين الماضية ولّد فوائد غير متوقعة لبعض المناطق، دولًا وأفرادًا. لكن هذه الفوائد شديدة التفاوت، حتى في داخل الدول.

229. تحملت الدول الأكثر فقرًا وطأة الضغوط الديمغرافية. وقد قُدِّرت

أعداد المهاجرين في عام 2005 بأكثر من 191 مليون مهاجر دولي في جميع أنحاء العالم[2]، معظمهم من الدول النامية. وهذا ما كان له أثر سلبي رئيس في قاعدة المهارات للدول النامية، في حين اشتد لدى الدول المستقبلة التنافس بين المجموعات المحرومة في سعيها للوظائف والسكن والخدمات. لكن من ناحية أكثر إيجابية، زادت هذه الأعداد بشكل ملحوظ تنوُّع الشعوب في الدول المتقدمة. علاوة على ذلك، ساهمت التحويلات المالية للدول النامية مساهمة واضحة في تدفق رؤوس الأموال إليها وفي التنمية المجتمعية. إن عدم انخفاض المستويات العالية للفقر وعدم تكافؤ فرص المشاركة في عمليات صنع القرار الدولي يخلقان نوعًا من الإحساس بالإقصاء في ظل الانتشار الواسع للعولمة، إضافة إلى عوامل أخرى.

المشكلة الصارخة للمعايير المزدوجة

230. تستنتج الهيئة أن القضية الأكثر أهمية - وأحد الأسباب الكامنة وراء هذا الشعور العميق بالظلم في العالم اليوم - ليست السيطرة الاقتصادية (في الأغلب) للدول الصناعية الغربية في حد ذاتها، بل تصور أن معظم هذه الدول أنشأت مناخًا لا توجد فيه قواعد تستند إلى القانون الدولي، وإنما إلى المصلحة القومية الذاتية وحدها. هذا الوضع هو إذًا ما يسهّل على الجماعات المتطرفة وضع أجندة المظالم:

> «اكتسبت المنظمات التي تستخدم الإرهاب شرعيتها بسبب الممارسة التي غالبًا ما تنطوي على السخرية والنفاق والاستغلال المؤذي للقوة في المجال الدولي، من طرف الديمقراطيات الأكثر تطورًا. وتحت شعار حماية الحقوق في الوطن، كثيرًا ما تدعم المنظمات العسكرية والاستخبارية للقوى العظمى أنظمة تعسفية في الخارج إذا كان هذا الدعم يُكسبها فوائد استراتيجية عسكرية أو مداخل إلى الموارد الطبيعية»[3].

---

(2) UN DESA, *Trends in Total Migrant Stock: The 2005 Revision* (New York: United Nations, 2005), 1.

(3) J. Putzel, «Globalization, Liberalization, and Prospects for the State,» *International Political Science Review* 26, no.1 (2005): 5-16.

231. هذه الحالات التي نجدها في دول تتصرف بهذه الطريقة لها جذور تاريخية عميقة. فخلال الحقبة الاستعمارية والحرب الباردة، دعمت كل من الحكومات الغربية والاتحاد السوفياتي حروبًا بالوكالة في دول أخرى، ولا سيما في أفريقيا وأميركا اللاتينية وجنوب شرق آسيا. في ظل استغلال المظالم المحلية والنزاع، قوضت هذه الحروب التي غالبًا ما تموَّل من الخارج، الحقوق الديمقراطية للناس وكان لها تأثيرات هدامة في حياة كل أولئك الذين حوصروا فيها.

232. على الرغم من أن الحروب بالوكالة قلّ حدوثها منذ نهاية الحرب الباردة، إلا أن انخراط الدول الغنية في النزاعات المسلحة في دول ثالثة يستمر من خلال تصدير السلاح. ومن مجموع السلاح التقليدي المصدَّر في العالم في عام 2006، تم بيع ما يعادل 79 في المئة من طرف الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، و80 في المئة من جانب مجموعة البلدان الثمانية، مع كثير من الدول المشتركة في القائمتين(4).

233. لو أن معدل ما صُرف على السلاح كل سنة وُضع في خدمة التعليم والصحة في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط وأميركا اللاتينية، لقُدِّر لكل طفل أن يكون في المدرسة ولانخفضت وفيات الأطفال بمقدار الثلثين، محققين بذلك هدفين من الأهداف الإنمائية للألفية في عام 2015. وتقع المسؤولية عن «تكلفة الفرصة البديلة» للأسلحة على البلدان التي تقوم بالشراء، لكن أيضًا على مجموعة البلدان الثمانية(5).

234. في السنوات الأخيرة، لُمِس الإحساس بالظلم والإخفاق في حماية حقوق الإنسان في النزاع في الشرق الأوسط عمومًا، والصراع الفلسطيني - الإسرائيلي خصوصًا، على أشدّه في نطاق القانون الدولي وحماية

(4) Richard F. Grimmett, «Conventional Arms Transfers to Developing Nations, 1998-2005,» The Library of Congress, Congressional Research Service, 2006 OpenCRS: http://opencrs.com/document/RL33696/ (Accessed 26 May 2011.)

(5) الولايات المتحدة الأميركية، اليابان، ألمانيا، روسيا الاتحادية، إيطاليا، المملكة المتحدة، فرنسا، وكندا [المترجمة].

حقوق الإنسان. إن «حلف الحضارات» المتفرع عن الأمم المتحدة (UNAOC) يرى قضية فلسطين عاملًا رئيسًا في توسيع الشرخ بين الأغلبية المسلمة والمجتمعات الغربية. إن التقرير يُبرز ذلك باعتباره قضية ذات أولوية، إن لم تكن القضية الأهم.

235. على الرغم من صعوبة أن تُعزى إلى نهج بعض الدول الغربية نزاعات محددة، يشير الباحثون باستمرار إلى أن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي الطويل، واجتياح العراق، والحضور المستمر للقوى العسكرية الغربية هناك، كلها عوامل مهمة في تطرف فئة الشباب المسلم، ولا سيما أولئك المقيمين في الدول الغربية. وتعتقد الهيئة أن ذلك أمر يجب التعامل معه، وأن الحوار والصدقية في الفعل الذي ينسجم مع المعايير المتفَق عليها دوليًا هما وسائل ذات شأن للبدء في تحقيق ذلك.

المشاركة مع المؤسسات الدولية ومن خلالها، بحد ذاتها، تضفي الاحترام

236. يحدث نوع مختلف من الإفلات من العقاب عندما ترفض الدول القوية أن تصادق على معاهدات واتفاقات الأمم المتحدة والاتفاقات الدولية الأخرى، أو ترفض أن تحترمها، بعد أن تكون قد صادقت عليها. دول كثيرة تتباطأ في متابعة الالتزامات الدولية بسبب عدم قدرتها على ذلك وأيضًا لأسباب سياسية. لذلك، هناك حاجة ملحة إلى أن تقوم الدول الأكثر قوة في العالم والديمقراطيات الأكثر عراقة بإظهار التزام واضح بهذه العملية.

237. أثار الجدل في شأن معاملة أسرى غوانتنامو وأبو غريب أسئلة عن احترام القانون الدولي. وتعتقد الهيئة أن مثل هذه الحوادث يُضعف السلطة الأخلاقية للدول الأكثر تطورًا من الناحية الاقتصادية في العالم. ويطرح بعضهم أنها تعطي المنظمات الداعية إلى الإرهاب فرصة كي تنطلق مما يمكن اعتباره معايير أعلى أخلاقيًا، على الرغم من أن هذه المنظمات التي كرست نفسها للعنف والتطرف قد تخلّت، في الواقع، عن المعايير الأخلاقية الفعلية. وتلاحظ الهيئة أن التبعات مضرة بشدة بالدول الغربية المتطورة ويمكن أن تتيح

للمنظمات والمجموعات الإرهابية والمتطرفة القائمة على الكراهية والعنف أن تكسب ميزة تكتيكية في تشكيل القلوب والعقول.

التقليل من قيمة الاحترام والتفاهم

238. يمكن أن يكون للشعور بالظلم والمناعة الأحادية الجانب نتائج طويلة الأمد، ولا سيما عندما ينبع من إجراءات تقوم بها الديمقراطيات الأكثر تطورًا في العالم. إن تأثيرات هذه الإجراءات تؤدي إلى تأكُّل الثقة بين الدول بطرائق مختلفة:

- يمكنها أن تخلق سابقة لكسر قاعدة قد يكون من الصعب احتواؤه.
- يمكنها أن تقلل من الدعم الذي تقدمه الدول الأخرى التي لم تعد تثق بنزاهتها.
- هناك أدلة بأن هذه التأثيرات تتيح للعناصر المتطرفة أن تكسب شرعية بين جمهور أوسع.

239. إذا لوحظ أن الديمقراطيات المتطورة تستغل سلطتها، وتنسحب من الاتفاقات الدولية (مثل الاتفاق في شأن البيئة)، أو تتصرف بحسب مصالحها الخاصة وحدها، فإن من الممكن أن تحذو الدول الأخرى حذوها. ويجب أن يكون لدى الأفراد والمجموعات سبب لتثق بالنظم الدولية للحوكمة، وأن ترى هذه النظم تُطبَّق تطبيقًا متساويًا على جميع الأمم.

240. علاوة على ذلك، هناك حاجة ملحة إلى احترام القرارات التي تتخذها الشعوب عندما تُستشار بطريقة جديرة بالثقة. وتخطئ دول القوى العظمى حينما لا تقبل قرارات الشعوب التي يُعبَّر عنها بانتخابات ديمقراطية. وإحدى حالات الاعتراض المتميزة حدثت خارج نطاق الكومنولث؛ في فلسطين. فهناك، بعد مطالبة الأحزاب والمجموعات كافة التزام العملية الديمقراطية، رفض معظم الحكومات الغربية قبول نتائج الانتخابات. من جهة، من الضروري لجميع الدول، بما فيها من تقود العالم، قبول نتائج الانتخابات الحرة والنزيهة، بغضّ النظر عن مكان حدوثها، ومن جهة أخرى، من الضروري

للأحزاب المنتخبة أن تلتزم متطلبات العملية الديمقراطية، ومن ضمنها احترام حقوق الأحزاب الأخرى والإعلام والنقاشات المفتوحة للناس.

الاحترام والتفاهم اللذان يعززان التغيير يكمنان في عضوية الكومنولث أيضًا

241. عندما تُعلَّق عضوية دول من الكومنولث، يكون السبب عادة أن هذه الدول لم تستطع احترام مبدأ الكومنولث في الحوار والحرية التشاركية في ما يتعلق بشعوبها. استُخدم تعليق العضوية حيثما أطاح العسكر الحكومات المنتخبة ديمقراطيًا أو حيثما كانت هناك انتهاكات كبيرة ومستمرة لقيم الكومنولث.

242. لكن الملاحَظ أن قطع الصلات قطعًا كاملًا أو الطلب من الدول الأعضاء ترك أسرة الكومنولث ليس في صلب نهجه؛ وعندما يترك الأعضاء، يعود ذلك في العادة إلى قرار قادتهم، كما هي الحال مع زيمبابوي. وهذا مأساوي بوجه خاص بالنظر إلى الجهد الذي بذله الكومنولث في دعم شعب زيمبابوي لتحقيق حريته في وجه نظام روديسيا.

243. كما هو الحال في العلاقات الإنسانية، يمكن أولئك الذين جرى إيذاؤهم أن يصبحوا هم أنفسهم مسببين للأذى. فأعمال العنف الرهيبة التي ارتكبت ضد المعارضة، وضد أناس عاديين كثيرين في هذا البلد لا تُظهر أي احترام لإنسانيتنا المشتركة، ولحكم القانون، أو حتى للمصلحة الاقتصادية. إننا نعتقد أن ما حصل ليس ناتجًا من أن طريقة الكومنولث في العمل قد أخفقت، بل من أنها لم تُجرَّب على مدى طويل بما يكفي من الإقناع والمثابرة. تقر الهيئة بأن الجهد في ما يتعلق بزيمبابوي يستمر، ويجب أن يعزَّز.

إظهار الاحترام للجيران الإقليميين يعكس التفكير المتعدد الجوانب ويعززه

244. ينبع الشعور العميق بعدم الاحترام والإذلال، في بعض الأحيان، لدى الإنسان من شعور الفرد بالكيفية التي يجري التعامل بها مع «شعبه هو» في دول أخرى، من طرف شعوب وحكومات أخرى. باختصار، تصبح هوية

الأصدقاء والأقارب إقليمية ودولية. وفي البحث عن طرائق أخرى لإعادة توليد مشاعر الاحترام والتفاهم على الصعيد المحلي، تعتقد الهيئة أن هناك حاجة إلى فهم هذا المعنى الأوسع للظلم، كي نفهم لماذا يحدث وكيف يمكن أن يعالج.

245. يحتاج التعاون الإقليمي الحقيقي إلى أن يكون مؤسَسًا على مشاعر الاحترام والتفاهم بين الأمم في المنطقة، مهما يكن حجم الاقتصاد أو التأثير السياسي. والمنهج التشاركي هو إحدى النتائج. والتفاهم الأكبر بين الشركاء الذين يحملون وجهات نظر مختلفة هو ناتج آخر.

246. تعتمد الدول الصغيرة التي لا منفذ مباشرًا لها إلى الساحل، على علاقاتها بجيرانها، كذلك هي الحال مع الدول الجزر (Island States) الصغيرة التي تعتمد على تطوير شبكات إقليمية جيدة وسياسات سليمة يستفيد منها أعضاء الشبكة جميعهم. للدول الجزر بعض نقاط الضعف المشتركة: الكوارث البيئية، تبعات التغيُّر في المناخ، نظام التجارة العالمي، ومسائل الصحة العامة، بما فيها مرض نقص المناعة المكتسبة. وفي بعض الأحيان، تشوب هذه الدول صعوبة التواصل في داخل كل دولة وفي ما بين الدول بسبب المسافة (مجموعة الجزر التي تشكِّل كيريباتي (Kiribati) تقع على امتداد 3,500 كم).

247. تعني هذه العوامل أن الدول الجزر هذه يجب أن تطور شراكات مبنية على الثقة، من أجل تنمية استراتيجيات مفيدة مشتركة، وتجميع مواردها البشرية والمالية وتحديد أولوياتها. أمام هذه الدول كثيرًا لتربحه من الحوار الفعلي والتعاون بعضها مع بعض ومع جيرانها الأكبر.

248. إن المظالم الإقليمية لها أرجحية في البروز باعتبارها نتيجة سلوك الدول المسيطرة اقتصاديًا وسياسيًا، والتي تتصرف بطريقة تجعل الدول الأصغر تشعر كأنها دول هامشية. هذا يمكن أن يحدث كلما كان هناك تناقض واضح في المعايير. في منطقة المحيط الهادئ، تُعتبر أستراليا ونيوزيلندا الدولتين الأقوى من حيث الوضع الاقتصادي وأيضًا الممولتين الأكبر لجزر المحيط الهادئ الأخرى، في حين تُعتبَر الولايات المتحدة القوة الإقليمية المسيطرة في جزر الكاريبي.

249. تحتاج الدول القوية إلى أن تعي باستمرار وجود طرائق مدروسة ومحترمة لتصريف الشؤون مع الدول المجاورة الأصغر، ويلزمها التحفيز لتتصرف بما يتفق مع وعيها. ومن الضروري أن تكون مبادئ الاحترام هي الأساس لجميع العلاقات، لا لعلاقات المستوى الرفيع بين الحكومات فحسب، بل أيضًا لتلك التي تخص مجموع طرائق الاتصال المؤسساتية والفردية في ما بين المواطنين ومجموعات الشباب. أخيرًا، وهذا مهم، إن ذلك يعني أن تكون الدول الصغيرة أوطانًا لشعوبها، وثقافاتها، ورؤيتها، لا أساسًا لمشكلات ممكنة، كأن تكون ملاذًا للإرهابيين على سبيل المثال.

250. إن الدول الصغيرة جزء لا يتجزأ من هوية الكومنولث؛ فمن بين مجموعة متنوعة من الدول يتألف منها الكومنولث، 32 من دوله الأعضاء الثلاثة والخمسين هي دول صغيرة، معظمها بعدد سكان يقل عن مليون ونصف المليون نسمة. تقوم الدول الصغيرة بجهد حثيث لمتابعة النمو المستدام ووضع استراتيجيات مترابطة من أجل إدماج اقتصادها في التكتلات التجارية الأكبر وفي أنظمة التجارة الجديدة. يدعم الكومنولث الدول الصغيرة في هذه المساعي وهو منتدى ممتاز لتأكيد أهمية أن تعامَل الدول كلها باحترام وبمساواة، بغضّ النظر عن حجم اقتصادها، وعدد سكانها أو تأثيرها في شؤون العالم.

الفصل التاسع
الطريق إلى الأمام

تعزيز الكرامة والحوار

251. تأسست «هيئة الكومنولث من أجل الاحترام والتفاهم» استجابة للقلق المتزايد من عنف الجماعات المنظم في العالم، وعدم الاحترام والغضب المنتشرين على نطاق واسع واللذين يهيئان لهذا العنف. اتّخذ العداء والعنف سمة عالمية في السنوات الأخيرة، على غرار الانقسامات التي يمكن استغلالها. وهما يجدان تعبيرًا عنهما في أعمال الإرهاب ضد السكان المدنيين، وفي المواجهات العنيفة للسيطرة على مناطق والحصول على امتيازات. حتى بعض الاستراتيجيات العسكرية لمكافحة الإرهاب أفضت مساهماتها الخاصة إلى خسائر بشرية، كان في عدادها السكان المدنيون.

252. إن اجتماع رؤساء حكومات دول الكومنولث يشكّل مناسبة جيدة لمناقشة السياسات العامة وتنسيقها في داخل المجموعة التي استفادت استفادة كبيرة في الماضي من مثل تلك التفاعلات. والاجتماع فرصة ممتازة أيضًا لفحص وضع العالم والمشكلات التي تشترك فيها دول الكومنولث مع دول أخرى في جميع أنحاء العالم. وبصرف النظر عن أن مهماته محصورة جغرافيًا، فإن الكومنولث لاعب عالمي مهم في عالم يزداد ترابطه، وواجبه أن يقوم بما يستطيعه في محاولة حل المشكلات المشتركة في العالم. لذا، نهتم في هذا التقرير، لا بما يمكن أن يسمى «الشؤون الداخلية» للكومنولث (وهذا

أيضًا له أهمية كبيرة بالطبع، لكن لا يتقصر الأمر عليه) فحسب، بل أيضًا بدور الكومنولث في توجيه الانتباه إلى القضايا السياسية ذات الأهمية العامة في العالم، التي تتعدى الحدود الإقليمية.

253. واحدة من النقاط الرئيسة التي ركز عليها هذا التقرير هي الحاجة إلى تعددية أطراف أكثر نشاطًا لمعالجة المشكلات المشتركة في عالمنا الذي مزقته الحرب. وقد يكون للكومنولث، بخلفيته المُعتبرة - ونجاحه - في استخدام وسائل متعددة الأطراف، تأثير عظيم جدًا في الضغط من أجل هذا المنهج المهم. وبالفعل، كان التركيز على الحوار على أساس الاعتراف بكرامة جميع الشعوب بمنزلة أسلوب عمل جوهري في الكومنولث؛ حتى إنه يغرينا بأن نطلق عليه «منهج الكومنولث». هناك أسباب عديدة، كما نطرح في هذا التقرير، لنعتمد هذا المنهج الفاعل في معالجة المشكلات العملاقة للسلام والأمن التي يواجهها العالم اليوم، بدلًا من أن نرفضه.

254. يتطلب الجهد لإلحاق الهزيمة بالإرهاب فهمًا واعيًا لطبيعة عنف الجماعات المعاصر. من الممكن أن نقول إن الإنجازات المحدودة، وأحيانًا النتائج العكسية، لمبادرات حسنة النية هادفة إلى تقدُّم السلام في العالم مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بنقص في القراءات العميقة لطبيعة العنف العالمي وتكوينه. ولأن النتائج، كما في العراق، فاجأت حتى بعض مناصري هذه السياسات، وخيبت آمالهم، فإن وقت إعادة التفكير قد حان بالتأكيد. ويجب أن تكون لجميع الدول مصلحة كبيرة في هذه العملية، بغضّ النظر عن سياساتها السابقة. وحتى عندما استطاعت السياسات السابقة تحقيق نجاح معقول، في البداية على الأقل، كما حصل في أفغانستان على سبيل المثال، كشفت الأحداث المتتابعة عن صعوبات جدية تستدعي تحليلًا تشخيصيًا لما كان يجب عمله بشكل مختلف.

255. للكومنولث تقليد طويل في التعلم من الفحص الناقد لسياساته السابقة، وتاريخ الكومنولث هو شهادة على أهمية العقلية المنفتحة في القيام بدراسة الأحداث الماضية وتحليلها بهدف تحسين الأوضاع مستقبلًا. وكما اتضح، فإنه في وقت أطلِق فيه بعض الحملات الأكثر إثارة للجدل، كانت هناك

قراءات أخرى لبعض الأحداث المعاصرة - مختلفة جدًا عن تلك التي ألهمت الحملات - والتي جرى الدفاع عنها أيضًا في مناطق أخرى من العالم، يقع كثير منها في نطاق دول الكومنولث نفسها. إن انتباهًا أكمل لغنى التفاهم والذي كان موجودًا في ذلك الوقت، كان من المحتمل جدًا أن يساعد في سعي مدروس بشكل أفضل لسلام العالم وأمنه. قد يكون جهد البحث عن السلام غير فعال، في الواقع، ونتائجه عكسية إذا استندت إلى تقدير ناقص للطبيعة الكامنة للنزاعات العالمية. وللدراسات التي يمكن أن توفرها المشاورات المتعددة الأطراف ذات الصدقية أهمية وفائدة كبيرة في إيجاد الوسائل الملائمة للسعي من أجل تحقيق السلام والأمن.

استنتاج 1: استخدام الحوار وتعددية الأطراف

256. للكومنولث نهج راسخ في معالجة النزاع والفروقات السياسية، مستخدمًا مشاورات متعددة الأطراف وحوارات مستفيضة، حتى عندما تبدو المواقف التي تتمسك بها الأطراف المختلفة متباعدة. إننا نعيش في عالم سكانه مختلفون؛ وعلى الرغم من أنهم ذوو اهتمام مشترك بالسلام والأمن والعدالة، فإنهم يجدون أنفسهم مقسّمين بسبب عدم الفهم والشك المتبادَلين، إلى حدّ الاشتباه أحيانًا. في مثل هذا العالم، يمكن تأكيد أهمية تعددية الأطراف، والاحترام المتبادل، في المساعدة على خلق مناخ أكثر إيجابية للتسامح والدعم والتعاون. نحن نولي أهمية كبيرة لدور الكومنولث في الإصرار البنّاء على استخدام نهج حواري للتعامل مع قضايا نزاع الجماعات في العالم اليوم.

257. وبشكل أخص، نحن نحث الكومنولث على استخدام خبرته الكبيرة الناجحة للمساهمة في تعبئة المجتمع الدولي العامل مع الأمم المتحدة ومع المنظمات الدولية الأخرى؛ ومن خلالها. ونحن نطرح أن هناك حاجة قوية إلى القيام بما نستطيعه لضمان أن تبقى قنوات الحوار مفتوحة، وأن تدور نقاشات لتحديد منصات تحاور مشتركة، وأن تحظى المصالح والاهتمامات المشتركة بالاهتمام، وأن يجري تحديد نقاط التوتر المحتملة ومعالجتها.

258. في نصف العقد الذي تلا أحداث 11 أيلول، تبدلت المساندة العالمية التي حظيت بها الولايات المتحدة، ومحاكاتها كضحية لاعتداء شائن، بما لا يمكن إنكاره. ومال جزء كبير من الموقف العام نحو التوتر، وفي بعض الأحيان نحو العداء، في ما يتعلق بالاستراتيجية التي تقودها الولايات المتحدة. ومن المفيد أن نبحث عن سبب حصول ذلك، وعما كان في الإمكان عمله من أجل منع حدوثه. إن استخدامًا أكبر لتعددية الأطراف، والتنوع في السياسات الناتج من هذا الاستخدام، هما المرشحان الطبيعيان للإجابة عن هذه الأسئلة. ويستطيع الكومنولث أن يؤدي دورًا بناء كبيرًا في العالم اليوم من حيث إبراز أهمية تعددية الأطراف وفعّالية أسلوب عمل (Modus Operandi) قائم على الحوار في التعامل مع المسائل التي لها علاقة بالنزاع العنفي.

استنتاج 2: التزام المسارات المدنية يجب أن لا تقتلعه المبادرات العسكرية

259. يمكن حكومات الكومنولث أن تساعد في تعزيز فهم أفضل للدلالات بعيدة المدى للإدراك العام بأن التصدي للإرهاب العالمي هو أكثر بكثير من مشكلة أمنية. وتستطيع منظمات المجتمع المدني أن تؤدي أيضًا دورًا بناء هنا، بعيدًا من المبادرات الحكومية. فالإدراك بأن الإرهاب هو أكثر من مشكلة أمنية، ليس في أي حال جديد في العالم، لكن تأثيره في اختيار أولويات السياسة قد تضاءل، إلى حد كبير، بسبب التركيز مؤخرًا على الخيارات العسكرية والتدابير الأمنية المسلحة بشدة. فالتحقيق وضبط الأمن القوي مهمان جدًا في منع الأنشطة الإرهابية. لكن الإرهاب له عوامل عدة كامنة معقدة. ولا تستطيع السياسات الأمنية وحدها، مع عظم شأنها، أن تقترب ولو قليلًا من حل مشكلات الإرهاب أو حتى من قمعها. فكثير من هذه المشكلات يجب أن يعالج معالجة شمولية أكثر من خلال الوسائل المدنية، إضافة إلى ما يمكن أن تحققه الإجراءات الأمنية.

260. إن تجنيد الناشطين الإرهابيين وخلق مناخ يجعل شريحة واسعة من السكان الذين هم في العادة مسالمون يتسامحون مع الأفعال العنيفة، يعتمد من

دون شك على الدعوة الملتهبة إلى العنف وعلى الاستحضار الانفعالي لهوية معينة للمجموعة، مع عزل لجميع الانتماءات الأخرى. هناك حاجة إلى كثيرٍ من الحوار والنقاش في شأن غنى الهويات البشرية وأيضًا حاجة إلى تجنُّب وضع الناس في علب بحسب هوياتهم البشرية، وعلاقتها بالدين أو المجتمع. إن تطوير هوية وطنية غير طائفية يمكن أن يكون مهمًا في توفير التماسك السياسي في داخل كل بلد، من دون منع المطالبات بهويات أوسع نطاقًا قد يرغب الناس أيضًا في اتّباعها، والمرتبطة بولاء قاريّ (مثل أوروبا، آسيا، أفريقيا، أو الكاريبي)، أو حتى الهوية الإنسانية المشتركة التي يتمتع بها الجميع. على السياسات أن تولي هنا انتباهًا خاصًا لطبيعة التعليم المدرسي ومحتواه، وأيضًا للنقاش العام. إن تجنُّب الانقسامات الطائفية في داخل أمة هو مكوّن مهم جدًا للمنهج المدني للسلام، وللسمات الإيجابية لهوية غير منقسمة وطنية سياسية، تستلزم هذا الحين اعترافًا واضحًا وغير حاقد بأهميتها.

261. يجب أن تتضمن المسارات المدنية معالجة إذلالات الماضي، أو الحاضر، وما اعتبر على نطاق واسع «ظلمًا» مستمرًا على حساب الأجزاء المحرومة من الإنسانية. يتشكّل التطرف والبحث المتطرف للـ «حلول» العنيفة، من خلال تحالفات متنوعة، مع أولئك الذين لديهم شكاوى منطقية في شأن طبيعة العالم الذي نعيش كلنا فيه.

262. نحن نعيش في عالم تسيطر عليه الأعمال العسكرية والمواجهات العنيفة، حيث إن أولئك الذي يعارضون مثل هذه الطرائق أنفسهم يميلون إلى التركيز تركيزًا كليًا تقريبًا على النتائج العكسية المتأتية من البحث عن السلام عبر طرائق عنفية، عوضًا عن التركيز على الدور الإيجابي والبنّاء للمبادرات المدنية. ويمكن الكومنولث أن يخدم العالم خدمة كبيرة، علاوة على نفسه، بوضع المسارات المدنية في واجهة السياسة العامة في أنحاء العالم كافة، بما فيه طبعًا دول الكومنولث نفسها. ما نحتاج إليه الآن، ليس «بيانًا مدنيًا» – («Civilian» Manifesto) – شديد التفصيل، بل اعترافًا حاسمًا بالدور الضروري للطرائق المدنية للسلام والأمن. وقليل جدًا من القضايا اليوم له مثل هذه الأهمية.

استنتاج 3: التصدي للمظالم والإذلال

263. من بين المبادرات المدنية، هناك أهمية خاصة يجب أن تضاف إلى تلك السياسات التي تعزز فهم الأسباب الكامنة وراء المظالم وعلاجها. لإلحاق الهزيمة بالإرهاب، يتطلب المعنى المتصوَّر للمظالم انتباهًا جديًا. عندما يكون هناك بعض الأسس للشكاوى، تصبح الدعوى من أجل إصلاح المؤسسات المعنية قويةً. إن نطاق المنهج المدني وفعّاليته يمكن أن نراهما من خلال نجاح تقرير سكارمان المتبصر في عام 1982[1]، الذي وضعه اللورد سكارمان في بريطانيا، والذي ساعد مساعدة كبيرة في التغلب على العداوات التي تُرجمت في حوادث الشغب العرقية في عام 1981 في بريكستون وبيرمنغهام. هذه الاضطرابات لم تتكرر في بريطانيا منذ ذلك الوقت، على الرغم من حدوث اضطرابات مماثلة في أمكنة أخرى.

264. وعندما يحدث في بعض الأحيان أن تستند احتمالات المواجهة إلى الفوضى أو تُزرع بالتحريض المتطرف، فإن هناك حاجة إلى التصدي لسوء الفهم هذا بالوسائل المدنية، وبالاستفادة من الحوار، وبالتشاور المنفتح، وبرغبة الجانب الآخر في الاستماع إلى الشكاوى والمظالم.

265. يمكن الإفادة من تجربة «لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا» (Truth and Reconciliation Commission in South Africa). فقد تضمنت طريقة عملها ضرورة قيام الحكومة بأمرين: الإقرار بمنظور المتضرر، مع سجلات وقائعية تفصيلية، وأيضًا أن تفسح مجالًا لدفن العداوات الماضية عندما يجري التعامل مع الظلم المورّث بشكل ملائم في الحاضر[2].

266. قد تقوّم نتائج هذه التغيرات تقويمًا دوريًا، بطريقة منظمة، باعتبار أن المشكلات التي طال أمدها غير قابلة أن يتم القضاء عليها «مرة واحدة وإلى

---

(1) Leslie George Scarman Baron, *The Brixton Disorders 10-12 April 1981: Report of an Enquiry Cmnd 8427* (London: HMSO, 1981).

(2) Mani, *Beyond Retribution: Seeking Justice in the Shadows of War.*

الأبد». ويجب أن تتضمن هذه التقويمات طرائق ملموسة يمكن بواسطتها أن يُستمع إلى منظور المجموعة المتضررة وأن يحظى بالاهتمام. وعلى الرغم من ذلك التقدم يجب في النهاية أن يحكم عليه من خلال الإزالة التدريجية لشعور الظُلامة، بطريقتين: 1) بتدابير علاجية، وعند الحاجة، إصلاحات مؤسساتية. 2) بالتعامل مع الإحساس بالإجحاف بانتباه واهتمام حقيقيين. وفي حين أن الخطط التفصيلية يجب أن تُعَد في ضوء الظروف الخاصة لكل بلد (كنا قد عرضنا بعض الطرائق والوسائل التي يمكن أن تؤخذ في الحسبان في فصول مختلفة في هذا التقرير)، فإن الاستراتيجية العامة للذهاب في هذا الاتجاه يجب أن يتم الاعتراف بها بوضوح وتأكيدها.

استنتاج 4: المشاركة السياسية والإدماج

267. إذا كانت المشاركة جزءًا مهمًا من النهج المتعدد الأطراف لسلام العالم، فإن الدور الحاسم للمشاركة السياسية في داخل حدود البلد الواحد لا يمكن أن يكون مبالغًا فيه. وفي حين يصعب التملص من هذا الاعتراف، فإن نتائجه البعيدة المدى لم تعط في أحيان عديدة اهتمامًا كافيًا.

268. هناك أولًا، أهمية الهوية الوطنية التي تسمح لجميع المواطنين (وعلى نطاق واسع حتى المقيمين) في بلد ما أن يشاركوا في الشؤون السياسية لأمة غير مجزأة، كمتساوين. ويجب أن لا يحتاج المعنى السياسي للانتماء إلى أمة ما إلى وساطة الهوية الدينية أو الثقافية للأشخاص؛ إذ لديهم، بالطبع، مجالهم الخاص المرتبط بنشاطات أخرى، مثل العبادة وقواعد السلوك في حياتهم الخاصة والتواصل الاجتماعي. الهوية الوطنية يمكن أن تُستخدم لتعطي لكل شخص المساواة المعترف بها في المشاركة السياسية، بغضّ النظر عن الدين والعرق والطبقة الاجتماعية أو المجتمع أو الطائفة. ويعتمد السلام وتجنُّب العنف في داخل حدود كل بلد اعتمادًا كبيرًا على تغذية الهوية الوطنية غير المنقسمة - الضرورية للمشاركة المدنية في شؤون البلد - من دون التقليل من أهمية الهويات السياسية أو الاجتماعية الأوسع التي يحملها الناس أيضًا عبر تلك الحدود.

269. إن تطور المجتمع المدني هو مجال آخر يجب أن يولى اهتمامًا خاصًا. وفي وقت تكون فيه «مجموعات المعتقد» في أحيان عديدة منظمة وممولة جيدًا (في بعض الأحيان من الخارج)، فإن الهويات غير الدينية، المرتبطة باللغة والأدب والمهنة... إلخ، غالبًا ما تنسى بسبب تزايد دور السياسة الدينية في السنوات الأخيرة (على سبيل المثال، تذمر البنغاليون العلمانيون في لندن غالبًا من أن صوتهم كُبت لسببين: أنشطة المجموعات العقائدية، والأولوية الرسمية التي تعطى للدين على حساب اللغة في تصنيف السكان المهاجرين). يحتاج التنوع في المجموعات إلى الدعم، عوضًا عن المنع، لِكَوْن التنوع في المجموعات يساعد في إبراز المشاغل التي يهملها الرأي العام.

270. هناك مسألة حساسة تتعلق بقيادة المتابعة لنشاط المجتمع المدني. وهناك دلائل كافية تبيّن أن القيادة يمكن أن تكون مهمة جدًا في مناصرة القضايا التي لا تحظى بشعبية. ويمكن القيادة أن تأتي من مختلف جماعات الناس المهتمة أو المتضررة، ومنها الناشطون على الصعيد الجماهيري. وقد يحتاج القادة السياسيون الذين يسترعون الانتباه للامساواة والإهمال إلى دعم خاص، على الرغم من القلق الذي يتطرق أحيانًا إلى ذهن حماة القانون والنظام. مع ذلك، فإن للمشاركة السياسية الكلامية لكن المسالمة دورًا مزدوجًا: 1) أن تؤدي إلى بلورة سياسة عامة مدروسة أكثر، و2) أن تزيل السخط الناتج من عدم الاستماع إلى صوت الجماعات، الذي قد يساهم في نهاية المطاف في الغضب والعنف.

استنتاج 5: مشاركة المرأة السياسية

271. من المهم للغاية إيلاء المشاركة السياسية للنساء اهتمامًا خاصًا، لأنها أغفِلت غالبًا إغفالًا كبيرًا. وفي هذا المجال، لدى الكومنولث ثروة من المبادرات والخبرات التي يمكن أن تستفيد منها الدول المختلفة.

272. وقد اقترحنا إجراءات معينة لاستخدام أفضل لعلاقات الكومنولث من أجل هذا الغرض، بما يشمل:

1. استخدام تدابير على مستوى جميع دول الكومنولث لإشراك النساء في الممارسة السياسية للانتخابات، بشكليها، باعتبارهن مرشحات وناخبات.

2. تطوير التدريب وبرامج التبادل للنساء السياسيات، والمرشحات الطموحات، للتشارك في التجارب والدروس عبر دول الكومنولث المختلفة.

3. استخدام نتائج البحوث التي تحدد معوقات معينة أمام المشاركة السياسية للنساء في الدول المختلفة، والتصدي للصعوبات في ضوء تجارب الدول الأخرى.

4. تعميم نماذج الإشراك الناجح للنساء في الحياة المدنية والسياسية.

استنتاج 6: إسهامات الإعلام والاتصالات

273. قد يساهم الإعلام المزدهر مساهمة كبيرة في تقوية المسارات المدنية للسلام والأمن. ولأن الحكومات غالبًا ما تميل إلى كبح الصحافة لسبب أو لآخر، فإن أهمية الإعلام الحر تحتاج إلى الإقرار بها وإلى دعم صريح. ويستطيع الإعلام المزدهر أن يجعل النقاش العلني أفضل من حيث الاطلاع على المعلومات، ويسمح لوجهات النظر البديلة أن يُعبَّر عنها بشكل أكمل، وأيضًا يساعد في جعل الأهداف المشتركة للأمة وللعالم مشبعة بالتحليل وأكثر استيعابًا. في الفصل السادس الذي يتطرق إلى الإعلام، كنا قد اقترحنا عددًا من السياسات المحددة التي تتعامل مع الوسائل التقليدية وأيضًا مع الطرائق الجديدة في التواصل، لكن علاوة على ذلك، من المهم جدًا أن نعترف بدور الإعلام غير المقيَّد والمزدهر في تحسين المشاركة السياسية والحوار، سامحًا عبر ذلك للمظالم بأن تُبث وأن يجري التعامل بها، وأن يسهِّل الاستماع الذي ينبغي أن تحظى به آراء الجمهور وشكاواه.

274. وهذا لا يعني إنكار حالاتٍ استُخدم فيها الإعلام لتوليد العداء للآخرين ولتعزيز العنف. لذا، في حين أن من الممكن أن يكون بعض القيود مفيدًا، وأحيانًا ضروريًا، فإن من الضروري إيلاء عناية خاصة للتأكد من أن

الخطوات التي ستؤدي إلى هذا التقييد متناسبة ومتوازنة من أجل الحفاظ على حرية تعبير مشروعة وسليمة، والتي هي مركزية للمسارات المدنية للسلام والأمن. ودائمًا من الأفضل أن يكون ضبط النفس نابعًا من المسؤولية المهنية والاجتماعية بدلًا من القيود التي تكون مفروضة من الخارج.

استنتاج 7: التعليم ودور الفئات الشابة

275. في المسارات المدنية للسلام والأمن، من الصعب المبالغة في أهمية التعليم غير الطائفي والمنفتح الذي يوسّع الوصول إلى التفاهم واستخدام المنطق بدلًا من أن يَحدّه. وقد شرحنا في الفصل السابع، عددًا من مقترحات سياسية محددة يمكن أن تساعد دول الكومنولث في التعلم بعضها من تجارب بعض.

276. تدرك حكومات الكومنولث بالطبع أن الفئات الشابة هي وارثة التغيير العالمي. ولهذا الوعي دلالتان مختلفتان. **أولًا**، من المهم فهم مساهمة الشباب التي ما فتئت تغني الممارسات السياسية المعاصرة والممارسة الاجتماعية، وأحد أنواع المساهمات مصدره استخدام تقنية اليوتيوب (YouTube)، لكن هناك أشكالًا كثيرة أخرى من المبادرات البناءة أيضًا. **ثانيًا**، أن نفهم بأن الفئات الشابة اليوم سوف تكون لها مسؤولية جدية في المستقبل، ولهذا بدوره تأثيرات في السياسات التي تحاول أن تساعد فئة شباب اليوم على اكتساب المهارة، والكفاءة والميل إلى تأدية أدوار ناشطة في صوغ الحلول للمشكلات التي عليهم أن يتعاملوا معها في المستقبل. ربما لا شيء هنا يوازي أهمية جعل الفئات الشابة تقدِّر كرامة الآخرين، على الرغم من تنوعهم، وأيضًا أهمية الوظائف المبدعة للحوار والنقاش.

ملاحظات ختامية

277. هذا التقرير متأثر بأهمية العقول البشرية في البحث عن السلام والأمن. وهذا لا يقلل، في أي حال، من أهمية التفكير بمعايير عادية في شأن موضوع الحرب والسلام. ويمكن أن يتم تبرير استعمال العمليات العسكرية

أحيانًا، والتدابير الأمنية هي بالتأكيد في غاية الأهمية لمنع العنف وللحفاظ على السلام. لكن المعركة على العقول البشرية هي التي يعتمد عليها في النهاية نجاح الإرهاب أو إخفاقه.

278. قد يُستخدم «العنف الموجّه» بشكل ممنهج استخدامًا فاعلًا - وأحيانًا فتّاكًا - مثلًا هويات جماعة مختارة لديها مواقف عدائية تجاه جماعات أخرى، علاوة على الإقلال من شأن هويات أخرى عديدة تخص البشر أيضًا، بما فيه الترابط الواسع لإنسانيتنا المشتركة. نحن نحتاج، في مقاومتنا العنف الموجّه، إلى فهم واضح بقدر الإمكان للطرائق والوسائل التي يتأثر من خلالها تفكير عدد كبير من الناشطين فيتخذ اتجاهًا عنيفًا. في مقاومة الإرهاب والوحشية، فإن النزاع على العقول البشرية هو على الأقل بالأهمية نفسها التي لتحقيق الانتصارات على أرض المعارك.

279. هذا يجب أن لا يكون أمرًا يصعب فهمه، نظرًا إلى الطبيعة الظاهرة للعنف العالمي والإرهاب، وللطريقة التي تجري بها عملية التجنيد في التجمعات السكانية، وأيضًا الطريقة الني تُستخدم فيها الإحباطات المنتشرة على نطاق واسع والمظالم من أجل بناء مناخ ملائم للعنف، مع التساهل مع الأعمال العنيفة (التي غالبًا ما يُنظر إليها باعتبارها «عنف انتقامي»). لكن التأثيرات العملية لهذا الوضع، صعبة أكانت أم لم تكن، لم تحظ بالانتباه الذي تستحقه. وينصبّ تركيزنا على إبراز نتائج هذا الفهم العام بوضوح.

280. وبسبب طبيعة الموضوع المدروس، فإن بعض استنتاجاتنا هو أكثر عمومية من بعضها الآخر، مع التوصية باستخدام نهج يتعلق تحديدًا باستخدام تعددية الأطراف وطريقة الكومنولث الراسخة في الحوار مع الاعتراف بالكرامة المتبادلة. لقد طالبنا الأمين العام بتطوير خطوات ملموسة يمكن الحكومات الأعضاء، بناءً على ظروفها المحددة، أن تجد مفيدًا أخذها في الحسبان. وتحث الهيئة الدول الأعضاء على أن تفحص هذه المقترحات بتأنٍ كما طُرحت.

281. في حين أن السياسات الخاصة يجب أن تعتمد على ظروف معينة وتختلف من بلد إلى آخر، تريد الهيئة أن تؤكد الأهمية البالغة للموافقة

على بعض أولويات السياسة العامة في الوقت الحاضر. وهنا بالضبط يمكن الكومنولث أن يؤدي دورًا غاية في الأهمية، بسبب تاريخه وخبرته في الحوار، وتعددية الأطراف والمبادرات المدنية. وهذا شيء له أهميته وإفادته للكومنولث نفسه، لكنه أيضًا، كما طرحنا، له أهمية واسعة بالنسبة إلى دول أخرى. لدى الكومنولث بالفعل شيء ليقدمه إلى عالمنا الشرس والمضطرب، علاوة على ذلك لديه دافع ليؤكد التزاماته من جديد وليستخدم بشكل أكمل هذه الالتزامات في العمل من أجل السلام والكرامة.

كلمة الختام

المقدمة الأصلية

عندما طلب مني الأمين العام أن أترأس هيئة الكومنولث هذه، شعرت بأنه شرفني بذلك، وشعرت في الوقت نفسه بالتحدي. كان رائعًا أن أعمل مع هذه المجموعة غير العادية، الحكيمة فوق العادة، وقد تألفت من أشخاص يتحلون بالمعرفة وبعد النظر، جرى انتقاؤهم من دول عدة مختلفة من الكومنولث، ويحضرون معهم ثروة ضخمة من الخبرات والتبصر لاجتماعاتنا وتفاعلاتنا.

كنا على دراية بصعوبة المهمة التي أوكلها إلينا الأمين العام، وأيضًا بطبيعتها المُعتبَرة جدًا، في ضوء القرار الذي اتُّخذ في اجتماع رؤساء حكومات دول الكومنولث في عام 2005، «للبحث عن مبادرات لتعزيز التفاهم والاحترام المتبادل» في أنحاء الكومنولث كافة. تكمن أهمية التفاهم والاحترام جزئيًا في قيمتهما الذاتية - فهما بالفعل جزآن لا يمكن الاستغناء عنهما للعيش بطريقة لائقة، وبسلام وانسجام بعضنا مع بعض - لكن الأهمية تكمن أيضًا في مساهمتهما في احتواء عنف الجماعات وإرهابها اللذين أصبحا سمات هدامة للعالم المعاصر.

أفعال الإرهاب والقتل هي، بالطبع، أنشطة إجرامية تستدعي تدابير أمنية فاعلة، ولا يمكن لأي تحليل جدي لعنف الجماعات أن يبتدئ من دون ذلك الفهم الأساس. لكن التحليل لا يمكن أن ينتهي هناك، نظرًا إلى أن كثيرًا من المبادرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يمكن استخدامها من أجل

مواجهة وإفشال الدعوى التي يستند إليها مثيرو العنف والإرهاب، لاستقطاب الجنود المشاة الناشطين والمتعاطفين السلبيين. عملية التجنيد هي معركة من أجل كسب عقول الناس، باستخدامٍ أساسٍ للمشاعر المرتبكة والمنطق البدائي. إن عدم الاحترام الذي يغذي المجموعات المستهدفة، وأيضًا عدم الفهم الموجّه إلى العالم هما قسمان لا يتجزّآن من عملية التحريض على العنف والإبقاء عليه. ولهذا السبب يجب أن تمتد المعركة ضد الإرهاب وعنف الجماعات أبعد من ضبط الأنشطة الإجرامية ومواجهة التحديات العسكرية، على الرغم من أهمية الثانية.

نهتم في هذا التقرير اهتمامًا خاصًا بما أطلقنا عليه عبارة «مسارات مدنية للسلام». وتتضمن الطرائق والوسائل للسعي نحو هذه المسارات المدنية - بعكس العسكرية - أدوات كثيرة جدًا، تتنوع من المواجهة الفكرية لقراءات مرتبكة وملتهبة للعالم (مثل المعتقدات غير المختبرة والتي تفترض صراعًا حتميًا بين «حضارات» مختلفة) إلى التغيرات المؤسساتية - الحكومية وغيرها - التي يمكن أن تسهّل لمجموعات مختلفة من الناس رؤية بعضهم بعضًا كبشر لهم اهتمامات وانتماءات متنوعة ولا حاجة إلى أن يكونوا في شقاق مستمر. هناك أيضًا ثغرات مؤسساتية علينا أن نعيها؛ فعلى سبيل المثال، قد يقلل التركيز الأحادي التفكير على توسيع الحوار بين المجموعات الدينية جديًا المشاركات المدنية الأخرى المرتبطة باللغة، والأدب، والأعمال الثقافية، والتبادل الاجتماعي والالتزام السياسي الذي يساعد في مقاومة استغلال الفروق الدينية الذي يبدأ عبر التقليل من شأن الانتماءات الأخرى. المعركة من أجل كسب عقول الناس لا يمكن ربحها على أساس فهم ناقص لغنى الفروق الاجتماعية التي تجعل البشر متنوعين بطرائق متميزة، بدلًا من اصطفافهم في جانبين متعاكسين لانقسامٍ عملاق واحد: ديني، عرقي، قومي أو أيّ كان.

إذا كانت التغييرات المؤسساتية الضرورية للسعي من أجل المسارات المدنية للسلام تتطلب وضوح الفكر، فهذه التغيرات تتطلب أيضًا سياسات

منظمة، وبرامج ومبادرات لها امتداد كاف. من جهة أخرى، علينا أن نفهم أن الغبن الاقتصادي، والإذلال الاجتماعي والحرمان من الحقوق السياسية لها دور في توليد عدم الاحترام والعداوة، لكن علينا أيضًا أن نتخذ الخطوات العملية الضرورية لإحداث تغييرات صعبة وغالبًا ضرورية في الطريقة التي ينظَّم بها العالم، من أجل إزالة مصادر العداوة الأكثر عمقًا، بقدر الإمكان. لقد حاولنا من خلال فحص روابط الحرمان - الماضي والحاضر - وفحص تكوّن الكراهية، أن نحدد الاهتمامات المركزية التي قد تُرشد بطريقة مفيدة الحكومات المعنية للقيام بتغييرات مؤسساتية، وذلك على صعيد فردي أو جماعي. لكن المسارات المدنية للسلام غير محصورة بالأنشطة الحكومية وحدها؛ فتغذية عدم الاحترام والعداوة قد تقاوَم أيضًا بالإعلام، والعمليات السياسية، والنشاطات التربوية والوسائل الأخرى لتوليد التفاهم المتبادل. لدينا أيضًا مجالات معينة للتركيز يمكن أن يكون لها أولوية في ما نسميه «الطريق إلى الأمام»، ونأمل أن يُتبع ذلك ببرنامج عمل سيطوّره الأمين العام للكومنولث بالتشاور مع الحكومات الأعضاء في شأن توصيات تخص سياسة محددة.

ما كان محوريًا في عملنا هو النهج التقليدي للكومنولث في استخدام تعددية الأطراف، محققين أفضل استخدام ممكن للحوار والنقاش. يشترك معظم الأعضاء في هذه الهيئة في الاعتقاد أن الجهد الذي بُذل للتغلب على آفة الإرهاب وعنف الجماعات في العالم كان من الممكن أن يكون أفضل بكثير لو استُخدم نهج تعددية الأطراف استخدامًا أكبر. لكن بما أنه لا يوجد أي جدوى من توجيه أصابع الاتهام، فقد ركّزنا عوضًا عن ذلك على ما يمكن عمله هنا والآن، لجعل العالم مكانًا آمنًا أكثر مما هو عليه حاليًا.

لقد طرحنا أن استرشادنا بتقليد الكومنولث المتعدد الأطراف له فوائد جمّة يقدّمها لجميع دول الكومنولث، وحتى لدول ما وراء حدودنا. نحن نعيش في عصر الترابط العالمي الكبير، وللكومنولث واجبات ليس تجاه نفسه فحسب،

بل أيضًا تجاه العالم ككل. ولقد سمحنا لأنفسنا بمناقشة لا ما يمكن أن نفعله نحن لأنفسنا فحسب، وإنما ما يمكن أن نقدِّم للآخرين الذين يشاركوننا هذه الأرض أيضًا، والذين عليهم سوف يعتمد أيضًا أمننا وسلامنا. بهذا المعنى، هذا التقرير هو محاولة متواضعة لتقديم فهم مستند إلى الكومنولث للمتطلبات المدنية للسلام العالمي.

أمارتيا سِنْ

كامبردج، 9 آب/ أغسطس 2007

رسالة تقديم للتقرير

8 آب/ أغسطس 2007

معالي السامي المقام دونالد س. ماكينون
الأمين العام للكومنولث
مارلبورو هاوس
لندن SW1Y 5HX

عزيزي الأمين العام،

نحن نشعر بأن قرارك بتعييننا أعضاء لهيئة الكومنولث هذه في شأن الاحترام والتفاهم هو امتياز كبير جدًا لنا. إن توكيلنا مهمتنا قد تم في اجتماع رؤساء حكومات الكومنولث في مالطا في عام 2005، وقد قمنا بإعداد هذا التقرير من أجلك كي تقدّمه في الاجتماع القادم لرؤساء حكومات الكومنولث في كامبالا، أوغندا، في تشرين الثاني/ أكتوبر 2007. لقد عملنا كأفراد أعضاء في دول الكومنولث، لا كممثلين لأي حكومة أو أي منظمة غير حكومية.

لقد حاولنا أن نكتشف ونفحص مضمون وأهمية الاحترام والتفاهم بين المجتمعات والجماعات المختلفة، بما فيه جماعات المعتقد، والأثر الواسع النطاق لهذه المواقف في تحقيق حياة متناغمة ومزدهرة في داخل دول الكومنولث. وأولينا انتباها خاصًا للطريقة التي يبني بها العنف والإرهاب المستند إلى الجماعات، في أحيان عديدة، تحريضهما على عدم الاحترام وعلى عدم فهم الكيفية التي يعمل بها العالم. كما ناقشنا كيف يمكن مواجهة

هذه الشرور من خلال المسارات المدنية، بواسطة استخدام أفضل للعوائد الاجتماعية للاحترام المتبادل والتفاهم الأكمل.

بالفعل، مع انتشار العنف المستند إلى جماعات اليوم، والطريقة التي يميل فيها إلى تخريب حياة البشر وتدمير المجتمعات السلمية، ركزنا تركيزًا خاصًا على مساهمات المسارات المدنية البناءة للسلام في منع العنف وتعزيز السلام، استنادًا إلى الأهمية الشديدة للاحترام والتفاهم. السياسات التي شرحناها هي، بالطبع وفي الأساس، صالحة للاستخدام في دول الكومنولث، لكننا نعتقد أن هذه السياسات يمكن أن تجد استخدامًا أوسع أيضًا.

نتقدم بالشكر العظيم إلى مستشارَينا البروفسور شاميت ساغار والدكتورة ساره لادبري للمساعدة الكبيرة التي قدّماها لعملنا من خلال مساهماتهما القيمة.

نود أن ننتهز هذه الفرصة أيضًا لنشير إلى التعاون وإلى المساعدة الرائعة التي تلقيناها من السكرتاريا، ولا سيما من ألكسندرا جونز، وديزي كوبر، وماثيو نيوهاوس. إن القيام بهذا العمل بطريقة مرضية ضمن الحدود الضيقة لوقت قصير نسبيًا، كان من الممكن أن يكون مستحيلًا لولا مساعدتهم. ونحن نود أن نتقدم لهم بالشكر.

في الختام، نود بالطبع أن نعبّر عن شكرنا لك لمنحنا فرصة العمل على هذه المشكلة المهمة، ولتوجيهك البحث من خلال استهلالك المتبصر. ونأمل كثيرًا جدًا أن يجد رؤساء حكومات الكومنولث هذا التقرير مفيدًا لمداولاتهم.

المخلصون لك

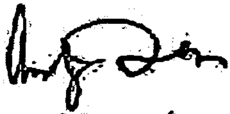

أمارتيا سِنْ

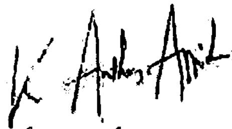

كوامي أنطوني أبيا

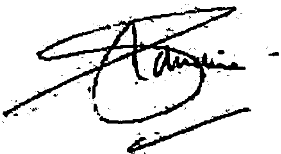

جون ألدردايس

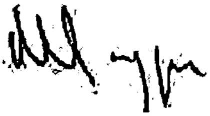

نولين هايزر

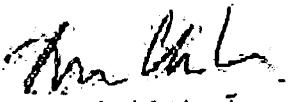

آدريان كلاركسون

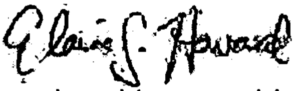

إيلاين سيهواتاني هاورد

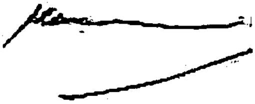

كمال حسين

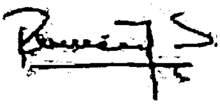

رالستون نتلفورد

وانغاري موتا ماثاي

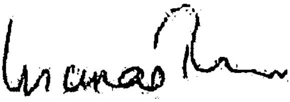

لوسي ترنبول

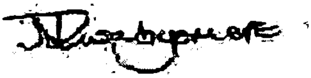

جوان روابيومير

أمارتيا سِنْ

أمارتيا سِنْ أستاذ في الاقتصاد والفلسفة في جامعة لامونت وفي جامعة هارفرد. عمل رئيسًا لجمعية الاقتصاد القياسي (Econometric Society)، والجمعية الاقتصادية الهندية، والجمعية الاقتصادية الأميركية، والجمعية الاقتصادية الدولية. كما شغل قبلًا منصب رئيس فخري لمؤسسة أوكسفام وهو الآن مستشارها الفخري. ولد سِنْ في الهند، ودرس في كلية بريزيدنسي (Presidency College) في كالكوتا، ثم في كلية ترينيتي (Trinity College) في كامبردج. أما الوظائف التي شغلها فتشمل منصب أستاذ في الاقتصاد السياسي في جامعة أكسفورد (Oxford)، وأستاذ في الاقتصاد في جامعة دلهي وفي كلية لندن للاقتصاد. ومن بين الجوائز التي حصل عليها أمارتيا سِنْ جائزة بهارات راتنا(*)، وميدالية أيزنهاور، وجائزة جورج س. مارشال، ووسام الاستحقاق البرازيلي العلمي (the Brazilian Ordem do Merito Cientifico (gra-Cruz))، وزمالة الشرف (المملكة المتحدة)، وميدالية أدنبره، وجائزة نوبل في الاقتصاد. كتب أمارتيا سِنْ تُرجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة، وتتضمن **الاختيار والرفاه الاجتماعي** (*Choice and Social Welfare*) (1970)؛ **عن اللامساواة الاقتصادية** (*On Economic Inequality*) (1973، 1997)؛ **الفقر والمجاعات** (*Poverty and Famines*) (1981)؛ **الاختيار، والرفاه والقياس** (*Choice, Welfare and Measurement*) (1982)؛ **الموارد، والقيم والتنمية** (*Resources, Values and Development*) (1984)؛

(*) جائزة بهارات راتنا (Bharat Ratna) هي أعلى تكريم مدني في الهند، يمنح للخدمة غير العادية في الفنون والأدب والعلوم، واعترافًا بالخدمة العامة من الدرجة الأولى [المترجمة].

عن الأخلاق والاقتصاد (*On Ethics and Economics*) (1987)؛ مستوى المعيشة (*The Standard of Living*) (1987)؛ اللامساواة تُفحص مجددًا (*Inequality Reexamined*) (1992)؛ التنمية بما هي حرية (*Development as Freedom*) (1999)؛ العقلانية والحرية (*Rationality and Freedom*) (2002)؛ الهندي المحاجج (*The Argumentative Indian*) (2005)؛ والهوية والعنف: وَهْم المصير (*Identity and Violence: The Illusion of Destiny*) (2006)؛ وكتب أخرى غيرها.

مصادر إضافية

بين عامي 2011 و2012، قامت سكريتاريا الكومنولث بالتخطيط للمضي قدمًا في برنامج عمل شامل في مجال المسارات المدنية للسلام بما فيه المبادرات التالية:

- «الحوار الشبابي ومنتديات العمل» التجريبية في دول الكومنولث من أجل تسهيل النقاشات والأفعال في شأن قضايا المسارات المدنية للسلام بهدف تعزيز التفاهم والاحترام، والتسامح وثقافة التعايش السلمي من خلال الحوار والأنشطة الشاملة للجميع.

- حزمة الموارد على المسارات المدنية للسلام. حزمة الموارد المقترحة سوف تتضمن وحدات تدريبية وتعليمية على المسارات المدنية للسلام تتعلق بموضوعات مثل الاحترام والتفاهم، الهويات المزدوجة، التسامح، النزاع، العنف والحوار.. إلخ. سوف يتم تطويرها بالاستناد إلى منهجية تعتمد المتعلم محورًا للعملية التربوية حيث يستخدم الطلبة والمتدربون والمتدربات الألعاب، وأداء الأدوار، والقصص، والتمارين للتعلم والتطبيق على مفاهيم المسارات المدنية للسلام والقيم من خلال المشاركة فعليًا في تلك الأنشطة.

- برامج التدريب لصحافيي الكومنولث. هناك مجموعة من البرامج التدريبية المقترح تطويرها لأجل صحافيي الكومنولث وموظفي الإعلام على الموضوعات ذات الصلة بالمسارات المدنية للسلام مثل «كيفية تقديم تقرير مسؤول عن النزاعات»، «مهارات لتطوير السرد من وجهات نظر متعددة»، «تعزيز ثقافة التسامح من خلال الإعلام» و«دور الإعلام في بناء الثقة»... إلخ.

- نشر كتاب يتضمن الممارسات الجيدة للمسارات المدنية للسلام.
الكتاب المقترح سوف يعرض حالات دراسة أدّت فيها الفئات الشابة والنساء والتربية والإعلام دورًا إيجابيًا في منع النزاعات وتعزيز السلام. هذا الكتاب المرجعي سوف يُستخدم في التربية على المسارات المدنية للسلام وفي البرامج التدريبية.

أي معلومات إضافية عن هذه التطورات، مع موارد رقمية أخرى لها علاقة بالمسارات السلمية للسلام إضافة إلى هذه المادة المنشورة، سوف تكون متوافرة في صفحة السلام والمجتمع الديمقراطي (Peace and Democratic Society) على موقع «ناشرو الكتاب المفتوح»: http://www.openbookpublishers.com/product.php/78

الثبت التعريفي

الاختزالية الاقتصادية (Economic Reductionism): هي نظرية تعتبر العامل الاقتصادي هو العامل الوحيد المؤثر في غيره من العوامل الاجتماعية، مثل العنف. وهذه النظرية متأثرة إلى حد كبير بالفلسفة الماركسية.

الأغلبية البسيطة (simple majority): على الفائز أن يحصل على أكثر من نصف الأصوات.

الأمن القومي (National Security): يُستخدم أحيانًا مرادفًا لـ «أمن الدولة»، ويركّز أساسًا على الحفاظ على ما يُنظر إليه باعتباره متانة قومية، والحفاظ على العلاقات الاقتصادية ببقية العالم بشروط معقولة، والحفاظ على الحكم من التدخل الخارجي، والسيطرة على الحدود. بينما التعريف الحديث يركز على العلاقة بأمن البشر الذين يعيشون في هذه الدول.

إعلان مبادى الكومنولث (Declaration of Commonwealth Principles): هو إعلان صدر عن الاجتماع الذي عقده الكومنولث في سنغافورة في عام 1971 في شأن مبادئ الكومنولث وهويته، وينص على أنه رابطة تطوعية تضم دولًا مستقلة تتشاور وتتعاون في ما يتعلق بالمصالح المشتركة لشعوبها والترويج للتفاهم على الصعيد الدولي والسلام العالمي.

بهارات راتنا (Bharat Ratna): هي جائزة تكريمية أنشئت في عام 1954 للأعمال المتميزة في الفنون والآداب والعلوم. وكان أول هندي حازها هو العالم الشهير شاندراسخارا فينكاتا رامان. أما أمارتيا سن فنالها في عام 1999 لمساهمته في مجالي الأدب والتربية.

التعددية البسيطة (Simple Plurality): الفائز هو الذي يحصل على أكثر الأصوات بغضّ النظر عن عدم حصوله على الأغلبية المطلقة.

الحكم بالنقاش (government by discussion): هو فكرة تطبيقية للديمقراطية التي اشتهر بها جون ستيوارت مِل. وهو ضد استبداد الجماعة أو الفرد في الحكم. وهذا ينسجم مع مبدئه بحرية الفرد والتنوع والعدالة، وحق الفرد في إبداء الرأي. وفي ذلك يقول مِل إن البشر جميعًا لو اجتمعوا على رأي، وخالفهم في هذا الرأي فرد واحد، لما كان لهم أن يسكتوه، وبالمثل، لا يجوز لهذا الفرد إسكاتهـــم حتى لـو كانت لـــه القوة والسلطة. الحكم بالنقاش يعطي الجميع فرصة التعبير، والحق لكل فرد في أن يُستمع إليه من أجل اتخاذ القرارات.

الداليت (Dalit): تعني فئة منبوذة تأتي في أسفل سلم النظام الاجتماعي الديني، ونتيجة هذا الوضع، يعتنق أفراد هذه الطائفة ديانات أخرى مثل الإسلام، والمسيحية والبوذية كما هي الحال في الهند.

طالبان (Talban): تعني الطلبة في الباشتو (اللغة الإيرانية في أفغانستان الشرقية وجزء من باكستان). وهي حركة محاربين إسلامية أصولية من قبيلة الباشتون. حكمت أجزاء كبيرة من أفغانستان، وكانت عاصمتها كابول التي اعتبرت الإمارة الإسلامية لأفغانستان بين عامي 1996 و2001. وحصلت على اعتراف من باكستان، والمملكة العربية السعودية. أهم قادة حركة طالبان هو الملا محمد عمر، ومركز نشأتها هو مدينة قندهار.

الفصل العنصري (Apartheid): هو سياسة العزل العنصري السياسي والتمييز الاقتصادي والعرقي ضد مجموعة بعينها. وعلى سبيل المثال، في جنوب أفريقيا، كان التمييز ضد السود، وفي فلسطين، ضد الفلسطينيين.

فلورا غوفورث (Flora Goforth): بطلة مسرحية قطار الحليب لا يتوقف هنا بعد

الآن (*The Milk Train Does Not Stop Here Anymore*) لتينيسّي وليامز، «الحياة كلها ذاكرة باستثناء اللحظة الواحدة التي تمر من قربك بسرعة هائلة حتى بالكاد تلتقطها حينما تمر».

الكومنولث (The Commonwealth): هو منظمة رابطة الشعوب البريطانية المعروفة بـدول الكومنولث. والكومنولث عبارة عن اتحاد طوعي مكون من 53 دولة جميعها من ولايات الإمبراطورية البريطانية سابقًا، باستثناء موزمبيق ورواندا. تضم رابطة الكومنولث الحديثة نحو ثلث دول العالم، ويصل تعداد شعوب هذه الدول مجتمعة إلى 1.7 مليار نسمة يشكّلون ربع سكان العالم. كما تضم دول الكومنولث الثلاث والخمسون بعضًا من أغنى دول العالم، وبعضًا من أفقرها أيضًا، وبعضًا من أكبر دول العالم مساحة، وبعضًا من أصغرها. وخلافًا لهيئة الأمم، ليس لرابطة الكومنولث ميثاق. فهي ليست رابطة تحكمها القوانين، بل إن الدول الأعضاء فيها يوقّعون عددًا من الإعلانات أو القرارات التي توثق المقاييس والمبادئ المشتركة. أهم هذه الإعلانات «إعلان سنغافورة» لعام 1971 و«إعلان هيراري للكومنولث» لعام 1991. كان إعلان هيراري اتفاقًا مهمًا أكد ما تؤمن به رابطة الكومنولث: الترويج للديمقراطية والحكم الصالح، واحترام حقوق الإنسان وسيادة القانون، وتنمية اقتصادية واجتماعية مستمرة.

مجموعة الثماني أو مجموعة الدول الصناعية الثماني (The Group of Eight (G8)): تضم الدول الصناعية الكبرى في العالم، وهي الولايات المتحدة الأميركية، اليابان، ألمانيا، روسيا الاتحادية، إيطاليا، المملكة المتحدة، فرنسا، وكندا. يمثل مجموع اقتصاد هذه الدول الثمانية 65 في المئة من اقتصاد العالم، وتشكّل أغلبية القوة العسكرية لأن سبع دول من الثمانية تحل في المراكز الأكثر إنفاقًا على التسلح وتحوز تقريبًا جميع الأسلحة النووية عالميًا). تتضمن أنشطة المجموعة مؤتمرات على مدار السنة ومراكز بحث سياسية تتجمع مخرجاتها في القمة السنوية التي يحضرها زعماء الدول الأعضاء.

يمثِّل الاتحاد الأوروبي أيضًا في هذه القمم. وتتناوب الدول الأعضاء في مجموعة الثماني سنويًا على رئاسة المجموعة. تضع الدولة الحائزة الرئاسة الأجندة السنوية للمجموعة وتستضيف القمة لتلك السنة.

منهج التنمية البشرية (Human Development Approach): يعطي منهج التنمية البشرية الأولوية للغنى الحقيقي للناس؛ مثل الصحة، والعمر المديد، والتعليم، وإمكان الحصول على الخدمات، وأيضًا مدى مشاركة الناس في صنع القرار واختيار قادتهم، وإمكان الوصول إلى المعلومات والمعرفة، والأمان وحرية التعبير، والحرية الثقافية والسياسية. والغرض الرئيس من التنمية هو توسيع خيارات الناس من حيث المبدأ، أما الغنى المرتبط بالاقتصاد فهو عامل ثانوي.

منهج واحدية الهوية (singular identity or solitarist identity): هو المنهج الذي ينظر إلى البشر باعتبارهم أعضاء في جماعة واحدة مُعرّفة فقط بحضارة الجماعة الأصلية أو بدينها.

الناتج القومي الإجمالي (gross national product): هو الذي يحسب قيمة السلع والخدمات التي ينتجها سكان منطقة ما بغضّ النظر هل هذا الإنتاج الاقتصادي يُنتج محليًا أو في خارج هذه المنطقة.

الناتج المحلي الإجمالي (gross domestic product): هو إحدى الطرائق لقياس حجم الاقتصاد. ويحسب قيمة السلع والخدمات المنتجة من الموارد الموجودة محليًا في منطقة ما خلال فترة زمنية معينة.

نظام البنشايات (Panchayat system): يعني حرفيًا الحاكمية من خلال «مجلس الخمسة». وهو نظام يعرف بممارسة الديمقراطية على صعيد القاعدة الشعبية. وهو نوع من الحكم الذاتي على مستوى القرية.

ثبت الأعلام

إدموند سبنسر (Edmund Spenser): عُرف بقصيدته الملحمية ملكة الجنيات التي يمتدح فيها الملكة أليزابيت الأولى. ويُعتبر رائد الشعر الإنكليزي الحديث، وأحد أبرز الشعراء العظماء الذين كتبوا باللغة الإنكليزية. ولد في لندن في عام 1552. وكان يطمح من شعره إلى أن ينال مكانًا في البلاط. وبالفعل، قدّم هناك عمله الأكثر شهرة ملكة الجنيات. ومن الجدير بالذكر أن سبنسر كانت له أفكار عنصرية ضد الإيرلنديين بلغت حدّ المناداة بالإبادة. توفي في عام 1599 وهو لم يتجاوز السادسة والأربعين. سُمّي سبنسر شاعر الشعراء، وتأثر بشعره كل من وليام وردسوورث، وجون كيتس، ولورد بايرون، وألفرد تينيسون، وآخرين. أما قصيدته اللافتة والتي أثّرت في الشعراء المحدثين فهي إبيثاليميون أي «قصيدة زفاف»، وتألفت من 365 بيتًا بحسب أيام السنة.

إنغا هولد ماركان (Inga Huld Markan): هي المسؤولة التنفيذية عن مركز التاريخ والاقتصاد في جامعة كامبردج، المملكة المتحدة.

بوذا: هو غوتاما بودا واسم بوذا (أو بودا) يعني الساهر أو اليقظ، وهو مؤسس دين البوذية. ولد في حوالى عام 558 ق.م. في إقليم ساكيا (جنوب النيبال). تزوّج في السادسة عشرة، وترك البيت الزوجي في التاسعة والعشرين ليعيش اختبارات روحيّة ويعلن عقيدته، ومات وهو في الثمانين من عمره. لكنّ كتّاب سيرة حياته أضافوا إليها بعض الأمور الملحمية الأسطورية كي تكون حياته قدوة، ومنحوا مؤسس ديانتهم صفة قدسية إلهية. وتظهر هذه الملامح في الفن البوذي والعبادات والطقوس.أمضى بوذا خمسين سنة من حياته يعلّم

عقيدته، وأسّس جماعةً من الرهبان الرجال أوّلًا ثمّ من النساء. واهتم بتعليم أبناء النبلاء والمحاربين لأنهم مثقفون، ولأن إيمانهم بالسحر والخرافات أقل من الطبقات الأخرى، فعاداه الكهنة البراهمانيون لأن عقيدته تنفي دورهم في التوسط لإيصال الأتمان (الأنا) إلى البراهمان (الطاقة الكونية). وهذا من شأنه أن يحرمهم المال والذبائح.

تشينوا أشيبه (Chinua Achebe): هو مربٍ، وناشر، روائي وشاعر وناقد نيجيري، عُرف روائيًا من أول رواية نشرت له وهي **الأشياء تتهاوى** (*Things Fall Apart*) التي كانت من أكثر الكتب المقروءة في الأدب الأفريقي الحديث. ولد في عام 1930 وحاز جائزة القديس لويس، وجائزة مان بروكر الدولية، وجائزة اللوتس وجائزة السلام للكتب الألمانية المباعة. كما نال جائزة الشعر للكومنولث. منحته شهادة دكتوراه شرف ثلاثون جامعة وكلية.

تينيسّي وليامز (Tennessee Williams): هو اسم الشهرة، أما الاسم الحقيقي فهو توماس وليامز (Thomas Lanier Williams). تينيسّي من مواليد عام 1929، أما اسمه تينيسّي فقد لقبه به زملاؤه في الجامعة عندما علموا أنه من الجنوب، وتينيسي هي بلدته. حصل على جائزة بوليتزر لقصته عربة شارع اسمها الرغبة. معظم مسرحياته اقتبست للأفلام، ولاقت إقبالًا. توفي في عام 1983.

جورجي سامبايو (Jorge Sampaio): من مواليد عام 1939 في لشبونة، البرتغال. بدأ حياته السياسية بالالتحاق بكلية القانون في جامعة لشبونة وبعد تخرجه في عام 1961، عمل محاميًا، والتحق بالحزب الاشتراكي في عام 1978. انتخب رئيسًا للبرلمان الوطني البرتغالي بين عامي 1979 و1984، وكان عضوًا في الهيئة الأوروبية لحقوق الإنسان، ثم رئيسًا لها. انتخب رئيسًا للبرتغال بين عامي 1996 و2006. عيّن بعد ذلك مبعوثًا خاصًا للأمين العام للأمم المتحدة للقضاء على السل. وفي عام 2007، اختير «الممثل الأعلى للأمم المتحدة للتحالف من أجل الحضارات».

جون ستيوارت مِل (John Stuart Mill): هو فيلسوف واقتصادي بريطاني، ولد في لندن في عام 1806، وكان البكر في أسرة كبيرة من تسعة أولاد، أما والده جيمس مل فكان أحد كبار أهل العلم والمعرفة في القرن الثامن عشر. عاش جون مِل بعيدًا من تأثير التيارات الرومنسية الجديدة. مدح العقلانية والمنهج الإمبيريقي، والديمقراطية والمساواة، وهاجم نظرية النفعيين، ومُنظرها جيريمي بنثام (Jeremy Bentham)، كما هاجم التعصب الديني والإيمان بالحقائق البدهية التي لا يمكن إقامة الدليل عليها ونتائجها اليقينية التي أفضت في رأيه إلى التنازل عن المنطق. طالب بحق الاقتراع للمرأة، ثم انتخب نائبًا عن وستمنستر (Westminster) في عام 1865، وشارك في المناقشات في شأن المسألة الإيرلندية، وأبدى تعاطفًا مع السود في جامايكا، وانتقد الأحزاب، لذا لم يفاجأ حين لم ينتخب مجددًا في عام 1868، فعاد إلى عزلته في منزل صغير في سانت فيران، حيث انكب على القراءة والكتابة مكرسًا لها وقته كله. يرى أن أسمى المبادئ هي حرية الفرد والتنوع والعدالة وصولًا إلى السعادة البشرية. ويقول أيضًا: «إن البشر جميعًا لو اجتمعوا على رأي، وخالفهم في هذا الرأي فرد واحد، لما كان لهم أن يسكتوه، بالقدر نفسه الذي لا يجوز لهذا الفرد إسكاتهم حتى لو كانت له القوة والسلطة». ومن أقواله أيضًا: «إنها العداوة المتأصلة بين الحضارات التي تجعلهم يميلون، وهذا ما برهنته هذه النظرية المتعالية، إلى الاشتباك بعضهم مع بعض. ويبرر ذلك بقوله: «إننا إذا أسكتنا صوتًا فربما نكون قد أسكتنا الحقيقة، وإن الرأي الخاطئ ربما يحمل في ثناياه بذور الحقيقة الكامنة، وإن الرأي المجمع عليه لا يمكن قبوله على أسس عقلية إلا إذا دخل واقع التجربة والتمحيص، وإن هذا الرأي ما لم يواجه تحديًا من وقت إلى آخر فإنه سيفقد أهميته وتأثيره».

خالدة ماجمدر ضياء الرحمن (Khaleda Majumder Ziaur-Rahman): هي من مواليد بنغلادش في عام 1945، وابنة رجل الأعمال طيابا ماجمدر. تزوجت ضياء الرحمن، أحد أبطال التحرير الذي أصبح رئيسًا لجمهورية بنغلادش، وأسس حزب بنغلادش الوطني. بقيت خالدة بعيدة من عالم

السياسة والحياة العامة وتفرغت لتربية ولديها حتى اغتيال زوجها. فعيِّنت نائبة رئيس حزب بنغلادش الوطني، واستلمت الرئاسة بعد أن تقاعد الرئيس من العمل السياسي، إلى أن تمت انتخابات الحزب، وصارت رئيسة بالانتخاب. ومن الجدير بالذكر أن خالدة ضياء الرحمن اعتقلت سبع مرات خلال حكم الجنرال إرشاد. وقادت تحالفًا من سبعة أحزاب، ومع حزب رابطة عوامي الذي كانت تقوده شيخة حسينة، أسقِط الحكم الأوتوقراطي للجنرال إرشاد الذي دام نحو تسع سنوات. في عام 1991، تولت خالدة ضياء الرحمن منصب رئيس الوزراء الذي تحتله امرأة أول مرة، وذلك بعد انتخابات نزيهة، فشكّلت الحكومة. يُشهد لها أنها استطاعت أن تحدث فرقًا في مجال التعليم، وأدخلت إلزامية التعليم في المرحلة الابتدائية، والتعليم المجاني للفتيات.

دزموند توتو (Desmond Tutu): كان توتو (1931) كبير أساقفة جنوب أفريقيا، حائز جائزة نوبل للسلام في عام 1984، وجائزة ألبرت شويتزر الإنسانية، وجائزة الحرية في عام 1986. أعلن دعوته إلى العمل من أجل السجناء والفقراء والمقهورين والمعزولين والمحتقرين، فاتُّهم بالشيوعية والدعوة إليها، لكنه استمر حتى أصبح في نهاية السبعينيات من أبرز الوجوه المسيحية المعارضة لسياسة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا. وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة من الحكومة إلا أنه استمر يعيش ما يقول: «لا البيولوجيا ولا لون البشرة هما اللذان يحددان قيمة الإنسان، بل إن ما يحدد هذه القيمة هو كون الإنسان مخلوقًا على صورة الله». وفي إحدى جمله الشهيرة يقول: «إن الله لا ينتظر أن يصبح الإنسان صالحًا، وهو لا يحبنا لأننا صالحون بل نحن صالحون لأنه يحبنا». في عام 1975 أصبح أول عميد أسود للكنيسة الأنغليكانية في جوهانسبرغ. وطوال سنوات الستينيات والسبعينيات اشتهر توتو بصوته العالي المناهض للعنصرية، وزادت مجاهرته بأفكاره القوية بعد أن انتُخب رئيسًا للأساقفة في كيب تاون في عام 1986. وفي آذار/ مارس 1988 أعلن رفضه المطلق لأن يعامل الرجل الأسود «كخرقة تمسح بها الحكومة أحذيتها». وفي عام 1989 رحب بخطوات الإصلاح التي

أعلنها الرئيس دي كليرك، بعد توليه السلطة، ومن ضمن تلك الإصلاحات، الإفراج عن السجين نلسون مانديلا. استلهم توتو في نضاله ضد العنصرية في الثمانينيات أفكار نظيره الأميركي، داعية حقوق الإنسان في الستينيات الدكتور مارتن لوثر كينغ. في عام 1995 طلب مانديلا الذي أصبح رئيسًا من توتو أن يرأس «لجنة الحقيقة والمصالحة» التي كانت مهمتها جمع الأدلة على الجرائم اللاإنسانية واللاأخلاقية في عهد التفرقة العنصرية، على أن تتولى اللجنة تحديد إن كان أولئك الذين اعترفوا بتورطهم في تلك الجرائم يستحقون العفو أم لا. استمر عمل اللجنة برئاسة توتو حتى آب/ أغسطس 1998. وكان الفضل لدزموند توتو في استخدام مصطلح «أمة قوس قزح» للتعبير عن مرحلة ما بعد نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا بعد عام 1994. ومنذ ذلك الحين صار هذا المصطلح يعبِّر عن التنوع العرقي في جنوب أفريقيا.

شيخة حسينة (Sheikh Hasina): مولودة في بنغلادش في عام 1947. سياسية ورئيسة حزب رابطة عوامي بنغلادش منذ عام 1981، وهي أكبر أولاد الشيخ مجيب الرحمن، مؤسس بنغلادش ورئيسها الأول. نجح حزبها في انتخابات عام 2008، وتولت منصب رئيس الوزراء. ساهمت مع خالدة ضياء الرحمن في إطاحة الحكم الفردي للجنرال حسين إرشاد.

صموئيل هنتنغتون (Samuel Huntington): عالم سياسي من مواليد عام 1931، عمل قاضيًا، ثم سياسيًا، وشارك في الثورة الأميركية. صار رئيسًا للكونغرس على مستوى القارة، ثم حاكم كونكتيكت حتى وفاته. عرف صموئيل هنتنغتون بنظريته في صراع الحضارات التي تنص على أن الهويات الدينية والثقافية سوف تكون المصدر الرئيس للنزاع بعد الحرب الباردة في العالم، وقد ضمّن هذا في كتاب **صراع الحضارات والنظام العالمي** (*The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*).

عاموس عوز (Amos Oz): عاموس عوز من مواليد عام 1939 واسمه الأصلي عاموس كلاوزنر. كاتب وروائي وصحافي إسرائيلي، بروفسور في الأدب

في جامعة بن غوريون في بئر السبع. اعتبر منذ عام 1967 من أبرز الدعاة والمؤيدين لفكرة الدولتين لحل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. حاز عددًا من الجوائز بينها وسام الفنون والآداب برتبة ضابط في فرنسا (Officier des Arts et des Lettres) في عام 1984، وجائزة فرانكفورت للسلام في عام 1992، ووسام الشرف (Légion d'Honneur) من الرئيس الفرنسي جاك شيراك في عام 1997، وجائزة أمير أستورياس للآداب (Premios Principe de Asturias) في إسبانيا، في عام 2007.

كورين ثروسبي (Corin Throsby): كاتبة وباحثة في جامعة كامبردج، متخصصة في الأدب الرومانسي.

كنزابورو أوي (Kenzaburo Oe): ولد كنزابورو أوي في عام 1935، في قرية مطوقة بالغابات. عندما بلغ الثامنة عشرة ذهب إلى العاصمة طوكيو، وفي السنة التي تلت التحق بدائرة الأدب الفرنسي حيث تتلمذ على يد البروفسور كازواوتانابي، المتخصص في فرنسوا رابليه، الكاتب الفرنسي الذي بدأ حياته راهبًا وانتهى أديبًا. أثرت فكرة الواقعية لدى رابليه في أوي لإعادة النظر في تاريخ بلاده، والحكايات التي سمعها منذ صغره، وإعادة تنظيم الحكايات التي روتها النساء له في صغره وشكّلت خلفيته. وبينما كان يدرس الأدب الفرنسي، نال جائزة عن قصته القصيرة **الصيد** (*The Catch*) ثم عن روايته الأولى **رشف البرعم، قتل الحمل** (*Bud-Nipping, Lamb Shooting*). تأثر كثيرًا بنظرية ميشال باختين عن ثقافة الناس، ما حفزّه على كتابة **الصرخة الصامتة** (*The Silent Cry*)، كما أن ولادة ابنه بإعاقة عقلية، جعلته يكتب عن تعايشه مع هذا الوضع الصعب في كتابه **شأن شخصي** (*A Personal Matter*)، وعلّمنا أن نتجاوز جنوننا (*Teach Us to Outgrow our Madness*) علاوة على عديد من المؤلفات. حاز أوي جائزة نوبل للأدب في عام 1994.

كوينتس هوراتيوس فلاكوس، أو هوراس (Quintus Horatius Flaccus): شاعر روماني تميزت قصائده بموضوعات الحب والصداقة والفلسفة. ولد

في عام 65 ق. م. وتوفي في عام 8 ق. م.، تلقى تعليمه في روما، ثم أثينا حيث تعلّم الإغريقية والفلسفة. كان شاعرًا غنائيًا وناقدًا أدبيًا لاتينيًا من زمن أغسطس قيصر، قيل بأن له تأثيرًا في الشعر الإنكليزي. أصر هوراس على أن الشعر يجب أن يقدِّم السعادة والإرشاد. عُرف الشاعر بالقصائد الغنائية والمقطوعات الهجائية. قاتل هوراس إلى جانب جيش بروتوس الثائر بسبب اغتيال يوليوس قيصر. أعماله عن القصائد الغنائية جعلته يشتهر شهرة كبيرة، ومن بينها بحث أرس بويتيكا (*Ars poetica*) الذي احتوى قواعد لتركيب الشعر. تتناول كتبه غالبًا الحب والصداقة والفلسفة، وقد أثرت أعماله في الغرب منذ عصر النهضة حتى القرن التاسع عشر.

مارسيل بروست (Marcel Proust): روائي فرنسي، من أبرز أعماله سلسلة روايات **البحث عن الزمن المفقود** (*À la recherche du temps perdu*) التي تتألف من سبعة أجزاء نشرت بين عامي 1913 و1927، وهي اليوم من أشهر الأعمال الأدبية الفرنسية. تستعرض كتاباته تأثير الماضي في الحاضر. كان بروست ناقدًا ومترجمًا واجتماعيًا أيضًا. ولد في باريس في عام 1871 لعائلة غنية، وعاش هناك ودرس القانون والأدب. جعلته ارتباطاته الاجتماعية يرتاد غرف الضيوف الفخمة لدى النبلاء. كتب عددًا من المقالات للصحف الباريسية، ونشر القصص أيضًا مثل المتع والأيام (1896). ابتعد عن المجتمع بعد إصابته بمرض الربو في عام 1922.

محبوب الحق (Mahbub ul Haq): من مواليد عام 1934 في ولاية البنجاب (قبل التقسيم). فرّت عائلته إلى باكستان بعد المجازر التي حدثت في القارة الهندية. تركت الحرب الطائفية أثرًا عميقًا فيه رافقه طويلًا. درس في جامعة كامبردج في المملكة المتحدة، حيث التقى أمارتيا سن الذي صار صديق عمره. سافر إلى الولايات المتحدة ونال الدكتوراه في الاقتصاد، ثم واصل دراسات ما بعد الدكتوراه في جامعة هارفرد. عمل محبوب الحق مديرًا لتخطيط السياسات في البنك الدولي، ثم تسلّم منصب وزير المالية في باكستان، ثم المستشار الخاص للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة. يُعتبر

أهم إنجازاته ابتكار مؤشر التنمية البشرية الذي أصبح أحد أكثر المؤشرات المستخدمة في قياس التنمية البشرية في دول العالم كلها.

نادين غورديمر (Nadine Gordimer): كاتبة وناشطة سياسية من مواليد جنوب أفريقيا في عام 1923. حازت جائزة نوبل للأدب في عام 1991، وتمكنت في كتاباتها من أن تطرح أفكارها في قضايا التمييز العنصري، ولا سيما في أفريقيا، وهذا أدى إلى منع بعض أعمالها مثل شعب تموز (*July's People*). بدأت غورديمر بقصص الأطفال، وكانت لا تزال في السادسة عشرة من العمر. ثم انتقلت إلى القصة القصيرة التي اعتبرتها الشكل الأدبي الأنسب للعصر. كان لاعتقال صديقتها في عام 1960، ومذبحة شاربفيل أكبر الأثر في دفعها إلى الالتحاق بالحركة المناهضة للتمييز العنصري. عملت في محاضراتها في جولاتها المختلفة على فضح التمييز العنصري الذي يمارس ضد السود في جنوب أفريقيا. بعد انتهاء حقبة التمييز العنصري، التحقت بحركة الأيدز. فاق عدد رواياتها 15 رواية، عدا عشرات القصص القصيرة. تناول معظم أعمالها علاوة على القضايا السياسية، التوترات النفسية الناتجة من التمييز العنصري، والبعد الأخلاقي. تدور موضوعات أعمالها حول الحب والممارسات السياسية، كما تناقض علاقات السيطرة من خلال شخصيات عادية. حصلت نادين غورديمر على جوائز عديدة.

نجيب محفوظ (Naguib Mahfouz): روائي مصري حاز جائزة نوبل للأدب في عام 1988. وُلد في عام 1911، وتوفي في عام 2006. كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات واستمر منتجًا حتى عام 2004. تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها ثيمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالم. من أشهر أعماله الثلاثية أولاد حارتنا التي مُنعت من النشر في مصر منذ صدورها حتى وقتٍ قريب. في حين يُصنف أدب محفوظ باعتباره أدبًا واقعيًا، فإن موضوعات وجودية تظهر فيه. محفوظ أكثر أديبٍ عربي اقتبست أعماله إلى السينما والتلفزيون. سُمي باسم مركب تقديرًا من والده عبد العزيز إبراهيم للطبيب أبو عوف نجيب باشا محفوظ الذي أشرف على ولادته المتعسرة.

نلسون روليهلالا مانديلا (Nelson Rolihlahla Mandela): ولد في عام 1918، وهو الرئيس الأسبق لجمهورية جنوب أفريقيا وأحد أبرز المناضلين والمقاومين لسياسة التمييز العنصري التي كانت متبعة في جنوب أفريقيا. لقّبه أفراد قبيلته بـ «ماديبا» (Madiba) وتعني «العظيم المبجل». اعتبر مانديلا المهاتما غاندي ملهمه في حياته فاعتمد فلسفته في نبذ العنف وفي المقاومة السلمية ومواجهة المصائب والصعاب بكرامة وكبرياء.

ولد نلسون مانديلا في قرية صغيرة تدعى ميزو (Mvezo) في منطقة ترانسكاي. كان والده رئيس قبيلة، وتوفي عندما كان نلسون لا يزال صغيرًا، فانتخب مكان والده، وبدأ إعداده لتولي المنصب منذ كان في السابعة، فإذا بمانديلا أول عضو في عائلته يذهب إلى المدرسة، حيث أعطته معلمته الآنسة مدنغان (Miss Mdingane) اسم «نلسون». تابع مانديلا دراسته في معهد كلاركبيري (Clarkebury)، الذي يُعتبر الأول للاتصال بالثقافة الغربية. عندما بلغ التاسعة عشرة (1937) انتقل إلى هيلدتاون (Healdtown)، وكلية ويسليان في فورت بيوفورت، ودرس القانون في جامعة ويتووترسراند. بدأ مانديلا المعارضة السياسية لنظام الحكم في جنوب أفريقيا الذي كان بيد الأقلية البيضاء، وكان هذا الحكم ينكر الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأغلبية السوداء في بلدها. في عام 1942 انضم مانديلا إلى المجلس الأفريقي القومي، الذي كان يدعو إلى الدفاع عن حقوق الأغلبية السوداء في جنوب السنغال. وفي عام 1948، انتصر الحزب القومي في الانتخابات العامة، وهو الحزب الذي يحكمه البيض في جنوب أفريقيا، وله خطط وسياسات عنصرية، منها سياسات الفصل العنصري، وإدخال تشريعات عنصرية في مؤسسات الدولة. وفي تلك الفترة أصبح مانديلا قائد حملات المعارضة والمقاومة. وبعد تقاعده في عام 1999 تابع تحرُّكه مع الجمعيات والحركات المنادية بحقوق الإنسان في العالم. ونال عددًا كبيرًا من الميداليات والتكريمات من رؤساء دول العالم وزعمائها. وحرّك عدد من آرائه جدلًا مثيرًا في الغرب مثل آرائه في القضية الفلسطينية ومعارضته السياسات الخارجية للرئيس الأميركي جورج دبليو بوش، وغيرها. شغل مانديلا منصب رئاسة المجلس الأفريقي

(من حزيران/ يونيو 1991 - إلى كانون الأول/ ديسمبر 1997)، وأصبح أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا (من أيار/ مايو 1994 - إلى حزيران/ يونيو 1999). وخلال فترة حكمه شهدت جنوب أفريقيا انتقالًا كبيرًا من حكم الأقلية إلى حكم الأغلبية، لكن ذلك لم يمنع بعضهم من انتقاد فترة حكمه لعدم اتخاذ سياسات صارمة لمكافحة الأيدز من جانب، ولعلاقاته المتينة بزعماء معارضين للسياسات الأميركية، كالرئيس الكوبي فيدل كاسترو، من جانب آخر. في عام 1985 عُرض على مانديلا إطلاق السراح مقابل إعلان وقف المقاومة المسلحة، إلا أنه رفض العرض. وبقي في السجن حتى 11 شباط/ فبراير 1990 عندما أثمرت مثابرة المجلس الأفريقي القومي، والضغوط الدولية عن إطلاق سراحه بأمر من رئيس الجمهورية فريدريك دي كليرك الذي أعلن إيقاف الحظر الذي كان مفروضًا على المجلس الأفريقي. حصل نلسون مانديلا مع الرئيس فريدريك دي كليرك في عام 1993 على جائزة نوبل للسلام.

إذا اختصرنا نضال مانديلا نبدأ بشباط/ فبراير 1962 عندما اعتُقل وحُكم عليه لمدة خمس سنوات بتهمة السفر غير القانوني، والتدبير للإضراب. وفي عام 1964 حكم عليه مرة أخرى بتهمة التخطيط لعمل مسلح والخيانة العظمى فحكم عليه بالسجن مدى الحياة. خلال سنوات سجنه الثماني والعشرين، أصبح النداء لتحرير مانديلا من السجن رمزًا لرفض سياسة التمييز العنصري. وفي 10 حزيران/ يونيو 1980 نشِرت رسالة استطاع مانديلا إرسالها إلى المجلس الأفريقي القومي قال فيها: «اتحدوا! وجهزوا! وحاربوا! إذ ما بين سندان التحرك الشعبي، ومطرقة المقاومة المسلحة، سنسحق الفصل العنصري». كان مانديلا في البداية يدعو إلى المقاومة غير المسلحة ضد سياسات التمييز العنصري، لكن بعد إطلاق النار على متظاهرين عُزَّل في عام 1960، وإقرار قوانين تحظر الجماعات المضادة للعنصرية، قرر مانديلا وزعماء المجلس الأفريقي القومي فتح باب المقاومة المسلحة.

نيشا هارنام (Neesha Harnam): تخرجت في جامعة كامبردج، دائرة علم الاجتماع، وعملت في مجال البحث.

ويلفرد أوين (Wilfred Owen): شاعر إنكليزي له قصائد كثيرة تنتقد الحرب. طُلب للجيش عند اندلاع الحرب، وقتل في أثنائها قبل أسبوع واحد من توقيع الهدنة. عُرف شعره بالعاطفة والواقعية، وبالإيقاع المتنوع. قصيدته «نشيد للفتى المحكوم عليه» (Anthem for doomed Youth) أثرت في مواقف كثيرين من الحرب.

المراجع

Appiah, Kwame Anthony. *The Ethics of Identity*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005.

_______. *Cosmopolitanism: Ethics in a World of Strangers*. New York: Norton, 2006.

Clarke, Charles. «Global Citizens and Quality International Education: Enlarging the Role of the Commonwealth.» Speech delivered to the Royal Commonwealth Society, 15 November, 2006 (London, 2006).

Estlund, Cynthia. *Working Together: How Workplace Bonds Strengthen a Diverse Democracy*. New York: Oxford University Press, 2003.

Gregorios, Archbishop of Thyateira and Great Britain. «Submission to the Commonwealth Commission on Respect and Understanding.» 7 February, 2007.

Grimmett, Richard F. «Conventional Arms Transfers to Developing Nations, 1998-2005.» The Library of Congress, Congressional Research Service, 2006. http://opencrs.com/document/RL33696/ (accessed 26 May 2011.)

Hossain, Kamal. «Question of the Violation of Human Rights and Fundamental Freedoms in Any Part of the World: Report of the Situation of Human Rights in Afghanistan.» Submitted by Mr Kamal Hossain, Special Rapporteur, in accordance with Commission on Human Rights resolution 1998/70. E/CN.4/1999/40. United Nations: Commission on Human Rights, 24 March, 1999.

Malik, M. «Discrimination, Equality and Community Cohesion.» In *Muslims in the UK: Policies for Engaged Citizens*. Budapest: Open Society Institute, 2005.

Mani, Rama. *Beyond Retribution: Seeking Justice in the Shadows of War*. Malden: Polity Press, 2002.

Moskos, Charles. «Success Story: Blacks in the Military.» *The Atlantic* 257, no. 5 (1986).

National Crime Records Bureau. *Crime in India 2005*. Delhi: Government of India, 2006.

Plummer, David and L. Irwin. «Grassroots Activities, National Initiatives and HIV Prevention: What Explains Australia's Dramatic Early Success in Controlling the HIV Epidemic?» *International Journal of STI & AIDS* 17, no. 12 (2006).

Putzel, J. «Globalisation, Liberalisation and Prospects for the State.» *International Political Science Review* 26, no. 1 (2005).

Royal Commonwealth Society. «Submission to the Commonwealth Commission on Respect and Understanding, 16 February, 2007'. Scarman, Leslie George, Baron. *The Brixton Disorders 10-12 April 1981: Report of an Enquiry*. Cmnd 8427. London: HMSO, 1981.

Sen, Amartya. «Human Rights: Is there a Commonwealth Perspective?» First Commonwealth Lecture, delivered 7 May 1998, London.

______. *Reason before Identity: Romanes Lecture 1998*. Oxford: Oxford University Press, 1999.

______. *Identity and Violence: The Illusion of Destiny*. New York: Norton; London: Penguin, 2006.

Stewart, F. «Policies towards Horizontal Inequalities in Post-Conflict Reconstruction.» Centre for Research on Inequality, Human Security and Ethnicity (CRISE), Working Paper 7. University of Oxford: Queen Elizabeth House, 2005.

Taylor, Charles. Winner of the Templeton Prize for «Progress TowardResearch or Discoveries About Spiritual Realities.» (14 March, 2007).

Tevoedjre, Albert. *Winning the War Against Humiliation*. Report of theIndependent Commission on Africa and the challenges of the Third Millennium. Cotonou: UNDP, 2002.

United Nations Department of Economic and Social Affairs. *Social Dimensions of International Migration*. New York: United Nations, 2004.

______. *Trends in Total Migrant Stock: The 2005 Revision*. New York: United Nations, 2005.

United Nations Development Fund for Women (UNIFEM) Annual Report

2000.

______. Annual Report 2004-2005.

______. Annual Report 2006-2007.

المصادر

Alam, M.Y. and Husband, C., «British-Pakistani Men from Bradford.» Joseph Rowntree Foundation, 2006.

Albro, R. «The Future of Culture and Rights for Bolivia's Indigenous Movements.» Paper presented at Carnegie Council Fellows Conference, 13-15 June, 2005.

Alderdice, Lord. «The Individual, the Group and the Psychology of Terrorism.» *International Review of Psychiatry* 19, no. 3 (June 2007a).

______. «Introduction, Northern Ireland Assembly Companion - Rulings, Convention and Practice.» Northern Ireland Assembly, TSO Ireland, Belfast, Northern Ireland, 2007b: 1-6. Appiah, K.A. *The Ethics of Identity.* Princeton: Princeton University Press, 2005.

______. *Cosmopolitanism: Ethics in a World of Strangers.* New York: W.W. Norton & Company, 2006.

Atran, S. «Global Network Terrorism.» Briefing to National Security Council, White House, 28 April, 2006; available at www.au.af.mil/au/awc/awcgate/whitehouse/atrannsc-042806.pdf (Last accessed 26 May 2011.)

Blick, A., Choudhury,T. and Weir, S. *The Rules of the Game. Terrorism, Community and Human Rights.* A Report for the Joseph Rowntree Reform Trust by Democratic Audit. University of Essex: Human Rights Centre, 2007, Briefing Summary.

Butalia, U. «Women and Communal Conflict: New Challenges for the Women's Movement in India.» In C. Moser and F. Clark (eds) *Victims, Perpetrators or Actors: Gender, Armed Conflict and Political Violence.* London: Zed Books, 2001.

Brighton, S. «British Muslims, Multiculturalism and UK Foreign Policy: 'Integration' and 'Cohesion' in and Beyond the State.» *International Affairs* 83, no. 1 (2007).

Brown, D. «A Polyglot of Peoples: Ethnic Diversity and Leadership in the Caribbean Public Sector.» Published in Spanish as 'La Poliglotia de Pueblos: Diversidad Etnica y Liderazgo en el Sector Publico del Caribe.» In Oviedo, J. (ed) *Estrategias de Gestion Publica*. Republica Dominicana: Pontificia Universidad Catolica Madre y Maestra, 2004.

Castles, S. and Kosack, G. *Immigrant Workers and Class Structure in Western Europe*. Institute of Race Relations. London: Oxford University Press, 1973.

Cesari, J. *When Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and the United States*. New York: Palgrave 2004.

Chaitin, J. «Stories, Narratives, and Storytelling.» In Guy Burgess and Heidi Burgess. (eds) *Beyond Intractability*. Conflict Research Consortium. Boulder, Colorado: University of Colorado, July 2003.

Clarke, R. A. *Against All Enemies: Inside America's War on Terror*. New York: Free Press, 2004.

Cohen, A. *Two-Dimensional Man*. London: Routledge and Kegan Paul, 1974.

Control Arms Campaign (Amnesty, Oxfam and IANSA). «Guns or Growth: Assessing the Impact of Arms Sales on Sustainable Development.» (June 2004).

Coussey, M. «Framework of Integration Policies.» Strasbourg: Council of Europe, 2000.

Cramer, C. «Inequality and Conflict: A Review of an Age-Old Concern. Identities, Conflict and Cohesion Programme.» Paper 11, UNRISD, October, 2005.

Davultoglu, A. *Civilizational Transformation and the Muslim World*. Kuala Lumpur: Mahir Publications, 1994.

Dench, G. Garron, K. and Young, M. *The New East End: Kinship, Race and Conflict*. London: The Young Foundation, 2006.

Eyben, R. and Ladbury, S. «Building Effective States: Taking a Citizen's Perspective.» Development Research Centre on Citizenship, Participation and Accountability, Institute of Development Studies, University of Sussex, 2006.

Falk, R. «False Universalism and the Geopolitics of Exclusion: The case of Islam.» *Third World Quarterly* 18 (March 1997)

Fearon, J. and Laitin, D. «Explaining Interethnic Cooperation.» *American Political Science Review* 90, no. 4 (1996).

Friedman, T. L. *Longitudes and Attitudes: Exploring the World after September 11th*. New York: Farrar, Straus and Giroux, 2002.

Fukuyama, F. «Identity and Migration.» *Prospect Magazine* 131 (Feb. 2007).

George Washington University Homeland Security Policy Institute and The University of Virginia Critical Incident Analysis Group. «NETworked Radicalization: A Counter-Strategy.» 2007.

Gilley, B. «Against the Concept of Ethnic Conflict.» *Third World Quarterly* 25, no. 6 (2004).

Harb, M. and Leenders, R. «Know Thy Enemy: Hizbullah, «Terrorism» and the Politics of Perception.» *Third World Quarterly* 26, no. 1 (2005).

Heyzer, N. «Women, War and Peace: Mobilising for Peace and Security in the 21st Century.» The 2004 Dag Hammarskjold Lecture. Uppsala, 2004.

Huntingdon, S.P. *The Clash of Civilizations: And the Remaking of World Order.* New York: Simon and Shuster, 1998.

International Crisis Group. «Nepal's Maoists: Their Aims, Structure and Strategy.» Asia Report No. 104, 27 October, 2005.

Kepel, G. *The War for Muslim Minds: Islam and the West.* Cambridge, MA: The Belknap Press, 2004.

King, R. and Ladbury, S. «The Cultural Reconstruction of Political Reality: Greek and Turkish Cyprus since 1974.» *Anthropological Quarterly* 55 No. I (1984).

Koh, H. H. «Preserving American Values: The Challenge at Home and Abroad.» In Strobe Talbott and Nayan Chanda (eds). *The Age of Terror: America and the World after September 11*. New York: Basic Books, 2002.

Lewis, B. «The Roots of Muslim Rage.» *Atlantic Monthly* 266, no. 3 (September 1990).

Malik, M. «Discrimination, Equality and Community Cohesion.» In *Muslims in the UK: Policies for Engaged Citizens*. Budapest: Open Society Institute, 2005.

Mamdani, M. *Good Muslim, Bad Muslim: America, the Cold War and the Roots of Terror.* New York: Three Leaves Press, Doubleday, 2004.

McGuire, P. and Eyben, K. «What Now? Reflections Report on a Political Education Project with Young Adults in the Rural Loyalist Community.» Supported by International Voluntary Service. Northern Ireland, 2004.

Messina, A. *The Logic and Politics of Post-war Immigration*. Cambridge: Cambridge University Press, 2007.

Mirza, M. Senthilkumaran, A. and Ja'far, Z. *Living Apart Together: British Muslims and the Paradox of Multiculturalism.* London: Policy Exchange, 2007.

Nettleford, R. «The Commonwealth - Reconnection and Renewal: A Voice from the Caribbean.» *The Commonwealth Lecture*, Oxford, 2003.

Open Society Institute. «Monitoring Minority Protection in the EU: The Situation of Muslims in the UK.» EU Monitoring and Advocacy Program (EUMAP). Budapest: OSI, 2002.

Page, B. «The Second Death of Liberal England.» MORI, 2004.

Perera, S. «The Ethnic Conflict in Sri Lanka: A Historical and Socio-Political Outline.» World Bank, Washington, D.C., 2000.

Putnam, R.D. *Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community*. New York: Simon and Shuster, 2000.

Putzel, J. «Globalization, Liberalization, and Prospects for the State.» *International Political Science Review* 26 no. 1 (2005).

Qureshi, A. «Detention in the Name of the War on Terror: Violations of International Humanitarian and Human Rights Law.» Paper presented at the Bertrand Russell Peace Foundation Conference at the European Parliament on 20 October, 2005.

Ramadan, T. *Western Muslims and the Future of Islam*. Oxford: Oxford University Press, 2004.

Saggar, S. «Boomerangs and Slingshots: Radical Islamism and Counterterrorism Strategy.» *Journal of Ethnic and Migration Studies* 35, no. 3 (2009).

فهرس عام

-أ-

آسيا: 129، 146، 157

الإبادة الجماعية: 59، 122

أبو غريب (سجن): 147

أبيا، كوامي أنطوني: 41، 43

الاتحاد السوفياتي: 33، 146

اتفاق بلفاست (1998): 43

اتفاقات جنيف (1988): 142

اتفاقية بون (أفغانستان/ 2001): 142

الإثنية: 55، 95، 132-133

الاحترام: 49، 52، 55-56، 58-68، 75-77، 79-81، 84-86، 95-96، 102، 107-108، 112، 117، 121، 128-129، 131-133، 135، 137-138، 143-144، 147-151، 153، 155، 165، 169-170

أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001: 51، 59، 156

الأحزاب السياسية (ضمن دول الكومنولث): 119، 148-149

الأحزاب المعارضة (ضمن دول الكومنولث): 108، 140

أحمد أباد (مدينة في الهند): 32، 91

الاختزالية الاقتصادية: 28-29، 33، 38

الإذلال: 13، 52، 54، 70، 72، 96-98، 100، 149، 157، 167

الإرهاب: 9-10، 14-15، 37، 49، 51، 59، 67-69، 71، 73، 89، 117، 140، 143، 145، 147،

153، 156، 158، 163، 165-
167، 169

الإرهابيون: 11، 37، 70، 72-73،
80-81، 148، 151، 156

استراتيجية الأمم المتحدة لأفغانستان
(أيلول/سبتمبر 1998): 142

أستراليا: 113-114، 123، 150

الاستعمار: 52، 95-96، 99، 146

أشيبه، تشينوا: 24

الأصولية: 33، 83

الإعلام: 13، 54، 75، 96، 109،
121-124، 126، 149، 161،
167

إعلان مبادئ الكومنولث (سنغافورة
1971): 63

- التأكيد عليه مرة ثانية (هراري
1991): 63

الاغتصاب: 67، 80

الأغلبية البسيطة: 60، 119

أفريقيا: 96، 97، 129، 146، 157

أفغانستان: 27، 33، 44، 56، 66،
68-69، 110، 117، 142

الاقتصاد السياسي: 27، 36، 38، 91

الالتزام السياسي: 12، 142، 166

ألدردايس، جون: 41، 43

الأمم المتحدة: 57-58، 111، 116،
122، 138، 142، 147، 155

- تقرير تحالف الحضارات: 12،
126، 147

- قرار مجلس الأمن بشأن المرأة
والسلام والأمن (1325): 44،
102

الأمن: 16، 18، 32، 56، 71،
143-144، 154-157، 161-
163

الأمن الإنساني: 14-19

الأمن القومي: 15-16، 18

الأمن الوطني: 143

أميركا اللاتينية: 105، 146

الانتخابات: 10، 108، 113، 118،
140-141، 148، 161

انتخابات المجلس الأعلى الدستوري
في أفغانستان (حزيران/يونيو
2002): 110

الإنترنت: 46، 65، 122، 124

الانتماء: 9-12، 14، 22، 24، 50،

53، 59، 74، 86، 101، 107، 114-116، 122، 157، 159، 166
الانتماء الديني: 119
الانتماء العرقي: 119
الانقسامات الطائفية: 32، 39، 57، 59، 157
أوريغن، كيت: 110
أوي، كنزابورو: 19
أوين، ويلفرد: 26
إيرلندا: 34-35، 89
إيرلندا الشمالية: 43، 89، 100-101، 107، 120، 125، 133، 144

-ب-

باكستان: 69، 111، 117
باندرانايكه، سيريمافو: 111
برنامج سفراء الشباب من أجل عيش إيجابي: 129
بروست، مارسيل: 24، 39
بريطانيا: 11، 34، 69، 89-90، 158
البطالة: 143
بنغلادش: 12، 33، 44، 111، 134
بوتو، بينظير: 111
بوذا: 15
البؤس الاقتصادي: 27
بومباي (مومباي): 32، 91

-ت-

التدخل أحادي الجانب: 137، 139، 144
التربية: 49، 176
التربية غير الطائفية: 54
ترنبول، لوسي: 41، 46
التشاركية: 50، 108، 124، 143، 149-150
التطرّف: 51، 60، 75، 108، 122، 130، 143، 147، 157
التطرّف الديني: 12، 33، 38، 69، 115
التعاون (بين دول الكومنولث): 85، 150، 155، 170
التعاون الاجتماعي: 13، 85

التعاون الإقليمي: 150
التعاون السياسي: 13
التعاون العسكري: 60، 140
التعاون المتعدد الأطراف: 143
تعددية الأطراف: 12، 56، 64، 70، 138، 142، 154-156، 163-164، 167
التعددية الثقافية: 12، 53
التعليم: 17، 55، 77، 102، 131-135، 146، 157
التغيير العالمي: 162
التغيير المؤسسي: 166
التفاهم: 13، 49، 51-52، 54-56، 61-68، 71، 76-77، 79، 84، 86، 107، 112، 117، 121، 125، 128-129، 131-133، 135، 138، 143، 150، 153، 155، 162، 165، 167، 169-170
التفاوض: 50، 140
تقرير هيئة الكومنولث في شأن الاحترام والتفاهم: 153
التكنولوجيا: 46، 59، 67، 121
التماسك الاجتماعي: 55، 85، 132
التماسك السياسي: 157
التمكين: 18، 85، 97، 130-131، 134
التمييز العنصري (جنوب أفريقيا): 31، 38، 59، 64، 66، 91، 105، 139
التنمية الاجتماعية: 14، 64، 85، 110، 145
التنمية الاقتصادية: 14، 50، 61
التنمية البشرية: 16-18
التواصل: 102، 104، 109، 139، 150، 159، 161
توتو، دزموند: 38
تيفودجري، ألبرت: 96

-ج-

الجريمة: 14، 29-31، 70، 79، 90، 102
جنوب أفريقيا: 22، 31، 38، 51، 66، 105، 110، 117، 139-141، 158
جنوب شرق آسيا: 146

جونز، ألكسندرا: 170

الجيش: 76، 94

-ح-

الحوكمة: 102، 130، 134

الحرب الباردة: 144، 146

الحرب العالمية الأولى (1914-1918): 11، 26

الحرب العالمية الثانية (1939-1945): 26

الحرب على الإرهاب: 68-70

الحرب ضد الإذلال: 98

الحرمان الاجتماعي: 18، 20، 27-28، 32-34، 37، 52، 89، 91، 99، 167

الحرمان الاقتصادي: 35

الحرمان من الحقوق السياسية: 13

حسين، كمال: 44

الحق، محبوب: 16-17

حقوق الإنسان: 50، 61، 63-65، 146-147

الحكم بالنقاش: 10، 102، 107، 109، 113، 119

حلول أحادية الجانب: 137

الحوار: 10-14، 50، 54، 56، 63-66، 71-73، 92، 107، 116-117، 121، 124، 127، 139، 147، 149، 150، 153-157، 161، 163-164، 166

حوارات بين الأديان: 11-13

-د-

الدول الجزر: 50، 150

دول الكومنولث: 9، 15، 50-51، 57-58، 64، 68، 111، 119-120، 153، 155، 157، 161-162، 165، 167، 169-170

الديمقراطية: 10، 36، 38، 50، 61، 64-66، 68-69، 70، 73، 75، 108، 110، 113، 117-118، 120، 130، 140-143، 146، 148-149

الديمقراطية متعددة الإثنيات: 142-143

-ر-

روابيومير، جوان: 41، 46

رواندا: 36، 102، 117

-ز-

زراعة الأفيون: 143

زيمبابوي: 56، 141، 149

-س-

ساغار، شاميت: 47، 170

سامبايو، جورجي: 12-13

سبنسر، إدموند: 35

سكارمان (تقرير/1982): 52

السلطة السياسية: 32، 37، 72، 75، 86

السلوك: 66، 81، 109، 119، 159

السلوك السياسي: 107

السلوك غير العادل للدول: 144، 150

السلوك القمعي: 37، 118

السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأميركية: 125

السياسة العلمانية: 12

سيراليون: 140

-ش-

الشرطة: 67، 70، 76، 90، 94

الشرق الأوسط: 35-36، 38، 146

-ص-

الصراع: 21، 29، 76، 104

صراع الحضارات: 20-21، 23، 73-74

الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي: 146-147

-ض-

ضياء الرحمن، خالدة: 111

-ط-

الطائفية الدينية: 22، 33

طالبان (حركة): 111، 143

-ظ-

الظلم: 27، 36-37، 56، 72، 76-77، 81، 84-85، 91، 96، 99، 102، 132، 144-146، 148، 150، 158

-ع-

عدم الاحترام: 49، 51، 61-63، 70، 79-80، 90، 96، 149، 153، 166-167، 169

اللامساواة: 20، 27-29، 32-33، 37، 51-52، 55، 91-95، 98، 132، 145، 160

اللامساواة الاجتماعية: 28، 39، 92

اللامساواة الاقتصادية: 13-14، 32، 39، 89، 92-93

اللامساواة السياسية: 91

العراق: 35، 56، 68، 69، 141، 147، 154

العرق: 14، 24، 31، 36، 39، 53، 55، 59، 61، 64، 74، 76، 93، 95، 119، 131-132، 158-159

العمليات الديمقراطية السياسية: 141

العنصرية: 38، 59، 91

العنف: 9-10، 14-20، 24-29، 31-39، 49، 51-53، 59-61، 67-69، 71، 74، 76، 79-82، 85-86، 89، 91، 93-96، 100-102، 104، 107، 115، 117، 121، 123، 128، 133، 135، 137-138، 141، 143-144، 147-149، 153، 157، 159-161، 163، 166، 169

العنف الجسدي: 28، 80-81

العنف الديني: 12، 31-33

العنف السياسي: 9، 73، 79، 82

العنف العالمي: 20، 22-23، 59، 154، 163

عنف الجماعات: 11، 14-15، 29، 56، 59-60، 89، 124، 153-154، 165-167، 169-170

العنف المرتبط بالإرهاب: 80

العنف الموجّه: 163

العنف النفسي: 80

عوز، عاموس: 24

العولمة: 83-84، 145

-غ-

غاندي، أنديرا: 111

غاندي (المهاتما): 25

غوانتانامو (سجن): 147

غورديمر، نادين: 19، 24، 39

غوفورث، فلورا: 35

-ف-

الفئات الشابة: 50، 55، 64-65، 69، 74، 81، 100، 104، 109، 111-112، 114، 122-123، 127-131، 134-135، 147، 162

الفروقات الدينية: 13، 32، 91

الفصل العنصري: 31، 139

الفقر: 16، 18، 20، 27-37، 52، 64، 67، 89، 91، 97-98، 129

فلسطين: 35، 56، 117، 147-148

-ق-

قائمة أعمال الإرهاب وقوانين العقوبات (TACC): 27

القاعدة (تنظيم): 37

القانون الدولي: 70، 139، 145-147

القومية: 11، 22، 25-26، 36، 86

-ك-

كاسترو، فيدل: 190

كالغاكوس (زعيم اسكتلندي): 34

كالكوتا (كولكاتا): 29-32، 89

كباح، أحمد تيجان: 140

كلاركسون، أدريان: 41، 44

كوبر، ديزي: 170

-ل-

لادبري، سارة: 47، 170

لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا (1995): 105، 158

ليبيريا: 104

-م-

ماثاي، وانغاري موتا: 41، 45

مانديلا، نلسون: 38، 51

المجتمع المدني: 12، 50، 53-54، 64، 69-71، 75، 101، 104، 108-109، 113، 120، 129، 156، 160

مجموعة الدول الثماني: 146

محفوظ، نجيب: 24

المسارات المدنية للسلام: 9-11، 13، 15، 36، 38، 52، 57-58،

61، 162-161، 167-166، 170
المساواة: 76، 131، 133، 159
المساواة الجندرية: 50، 61، 76، 103، 110، 124
المسلمون: 32، 100
المشاركة السياسية: 53-54، 107-108، 112، 117، 159-161
المشاركة السياسية للنساء: 102، 109-111، 160-161
المصالحة: 38، 98، 101، 104-105
المظالم: 35، 53-54، 57، 69، 72، 74، 82، 89-90، 95-96، 98-101، 138، 140-141، 144-146، 150، 158-159، 161، 163
المعتقد الديني: 84-85، 115، 133-134
مِل، جون ستيوارت: 10
المناعة الأحادية الجانب: 148
المناهج المتعددة الأطراف: 56-57، 139
المواطنة: 12، 91، 97، 115، 121

-ن-

الناتج القومي الإجمالي: 17
الناتج المحلي الإجمالي: 17
النزاع: 13، 20، 23، 25، 28-29، 51، 63-64، 67-68، 73، 83، 89، 91، 95، 98-102، 104، 108، 117، 122-125، 128-129، 134، 141-142، 146، 155-156، 163
النزاع الدولي: 57
النزاع السياسي: 27، 43
النزاع العرقي: 31
النزاع القومي: 38
نظام التجارة العالمي: 56، 150
النظام الدولي: 138، 144
نيجيريا: 140
نيوزيلندا: 150
نيوهاوس، ماثيو: 170

-هـ-

هاورد، إيلاين سيهواتاني: 41
هايزر، تولين: 41، 44

الهجرة: 14، 91، 93

الهجمات الإرهابية: 70-71، 80

هنتنغتون، صموئيل: 51

الهند: 83، 89-90، 103، 117

الهندوس: 21، 23، 32، 33، 134

هوراس (شاعر روماني): 26

الهويات الأحادية البعد: 82-84

الهويات المتعددة: 12، 32، 74، 84، 86-87، 95، 115

الهوية: 20، 22، 36، 45، 55، 80، 87، 96، 115، 117، 122، 157

الهوية الدينية: 11، 33، 69، 74، 95، 133، 159

الهوية القومية: 25، 53

الهوية الوطنية: 35، 80، 115، 157، 159

هيئة الحقيقة والمصالحة لجنوب أفريقيا (1995): 105، 158

-و-

واجد، حسينة (الشيخة): 111

واحدية الانتماء: 11، 22

واحدية الهوية: 25

الولايات المتحدة الأميركية: 69، 125، 150، 156

وليامز، تينيسّي: 35

وود، جورجينا: 110

-ي-

يوغسلافيا: 117

هذا الكتاب

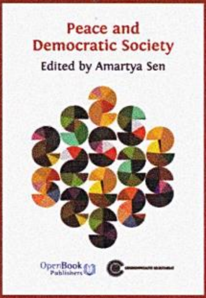

هو نتاج عمل وجهد كبيرين قامت بهما هيئة الكومنولث في شأن الاحترام والتفاهم في خلال اجتماع رؤساء حكومات الكومنولث في مالطا في عام 2005، والمتضمن في التقرير المقدم في اجتماع رؤساء حكومات الكومنولث في كامبالا، أوغندا، في تشرين الثاني/نوفمبر 2007. عمل أعضاء هيئة التقرير بوصفهم أفرادًا أعضاء من دول الكومنولث، وليس بوصفهم ممثلين لأي حكومة أو أي منظمة غير حكومية. وحاولوا أن يكتشفوا مضمون الاحترام والتفاهم بين المجتمعات والجماعات المختلفة، بما فيها مجموعات المعتقد، والعلاقة في ما بينهما، والأثر الواسع النطاق لهذه المواقف في توفير حياة متناغمة ومزدهرة داخل دول الكومنولث. أولت الهيئة انتباهًا خاصًا إلى الطريقة التي يُبنى فيها العنف والإرهاب المستندان إلى جماعات دينية أو إثنية أو قومية...إلخ، في كثير من الأحيان، على التحريض المرتكز على المظالم التاريخية وعلى عدم فهم الطريقة التي يعمل بها العالم. ومع انتشار عنف الجماعات، والطريقة التي تميل فيها إلى تخريب حياة البشر وتدمير المجتمعات السلمية، ركز التقرير على المساهمات البناءة للمسارات المدنية للسلام، استنادًا إلى الأهمية الشديدة للاحترام والتفاهم. وقد قام العالم الكبير أمارتيا سِن بمراجعة التقرير وتحريره وتقديمه على صورة هذا الكتاب.

المحرر

أمارتيا سِنْ (Amartya Sen) أستاذ الاقتصاد والفلسفة في جامعة لامونت وفي جامعة هارفرد. شغل سابقًا منصب أستاذ الاقتصاد السياسي في جامعة أكسفورد، وأستاذ الاقتصاد في جامعة دلهي وفي كلية لندن للاقتصاد. ترجمت كتبه إلى أكثر من ثلاثين لغة، منها: **الاختيار والرفاه الاجتماعي** (1970)، و**حول اللامساواة الاقتصادية** (1973)، و**الفقر والمجاعات** (1981)، و**الاختيار، الرفاه والقياس** (1982)، و**الموارد، القيم والتنمية** (1984)، و**حول الأخلاق والاقتصاد** (1987)، و**مستوى المعيشة** (1987)، و**اللامساواة تفحص مجددًا** (1992)، و**التنمية بما هي حرية** (1999)، و**العقلانية والحرية** (2002)، و**الهندي المحاجج** (2005) و**الهوية والعنف: وهم المصير** (2006)، وكتب أخرى غيرها.

المترجم

روز شوملي مصلح كاتبة وشاعرة، من مواليد بيت ساحور-فلسطين. من مؤلفاتها: **المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية وصنع القرار** (2012). ومن ترجماتها: **مليون توقيع للنساء الإيرانيات، حملة من أجل المساواة: القصة الداخلية** لنوشين خراساني (2011)؛ و**انتصارات على العنف: لضمان سلامة النساء والفتيات** لمهناز أفخمي وهالة وزيري (2013). كما ترجمت شعرًا مجموعة من القصائد لثلاثة شعراء فلسطينيين أميركيين، ورسائل من **الغيتو الفلسطيني** للينا الجيوسي.

- فلسفة وفكر
- اقتصاد وتنمية
- لسانيات
- آداب وفنون
- تاريخ
- علم اجتماع وأنتروبولوجيا
- أديان ودراسات إسلامية
- علوم سياسية وعلاقات دولية

السعر: 8 دولارات

ISBN 978-614-445-081-9

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies